الحياة ...
حسب الوصايا

الوصايا العشر

كيف نطبق الوصايا في عالمنا اليوم؟

د.ق. ستيوارت بريسكو

الوصايا العشر

الحياة حسب الوصايا

د. ق. ستيوارت بريسكو

Originally published in USA under the title:
«The Ten Commandments».

الوصايا العشر

الترجمة : داليا وهيب
المطبعة : سان مارك - ت: ٢٣٤١٨٨٦١١
الطبعة : العربية الأولى ٢٠١١

P.T.W للترجمة والنشر
تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ـ ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)



E-mail: ptw@ptwegypt.com
www.ptwegypt.com

رقم الإيداع : ٢٠١١/٣٧٨٤
ISBN: 978 - 977 - 443 - 103 - 6

الفهرس

تمهيد

كتاب آخر عن الوصايا العشر؟

نعم، سأخبرك بالسبب! عندما قرأت عددًا من الكتب الجادة بشأن هذا الموضوع، وجدت أن معظمها تعامل مع أمور كانت محل اهتمام ومخاوف في تلك الأيام التي نُشرت فيها هذه الكتب، ولكنها لم تذكر إلا القليل -إن وجد- عن الأمور التي نواجهها اليوم. على سبيل المثال بدا أن أحد الكُتَّاب مهتم للغاية بمسألة حفظ السبت، ولكنه لم يقل شيئًا عن الإجهاض والحرب النووية، وذلك لسبب واضح، ألا وهو أن هذه الأمور لم تكن بمثابة مشكلة في أيامها، لهذا حاولت في هذا الكتاب أن أطبق الوصايا القديمة على العصر الحديث.

هذا بالإضافة إلى أنه أثناء دراستي للوصايا ولهجي فيها، تحدثت مع كثيرين عنها، واكتشفت أنه على الرغم من أن الجميع يحترمها ويوقرها، إلا أنه لا يمكنهم تذكُر الوصايا! لهذا وعظت عن الوصايا في الكنيسة التي أرعاها، وقدمت سلسلة من الحلقات التليفزيونية التي تناولت الوصايا العشر، وكانت هناك الكثير من الاستجابات.

د. ستيوارت بريسكو

مقدمة

افتــرض أن صديقًا دعــاك للعب في الخريف في مســاء يوم الأحد، وأخبرك أن لديه تذاكر رائعة، وأنت تعرف أن إحدى الفرق المفضَّلة لديك ســتلعب كرة القدم في منطقتك، لهذا يمكنك أن تتخيل ما يدور في ذهنه، على الرغم من أنه لم يقل هذا.

وتسأل: «من يلعب؟»

يجيب صديقك: «لا أعلم، فلم يخبروني».

يبــدو هذا غريبًا ولكنه يملك حس الدعابة، لهذا تعتقد أنه يقول إنه يريد أن يجعلهــا مفاجأة، ولا يريد أن يخبرك بها الآن، فتحاول أن تدفعه قائلا: «أين سيلعبون؟»

فيجيب: «أعتقد أننا ســنقود الســيارة إلى الإستاد الكبير». وتعتقد أنك قد كشفته.

وفي يوم الأحد، تصلان إلى الإســتاد، والكل يتطلع إلى مباراةٍ جيدةٍ، إلا أن صديقــك يبدو متوترًا لا يعرف ما إذا كان في المكان الســليم، ولم يقل الكثير، لهذا تسأل الرجل الذي بجوارك في الطابور: «من يلعب؟»

فيجيبك: «لم يخبرونا».

فتتساءل: «هذا مضحك! هل يمكن أن يكون في نفس موقفي أيضًا؟»

تجدان مقاعدكما معًا وتسألان من حولكما، لكن يبدو أنه لا أحد يعرف الإجابة، فتشعر بأنك مُشوَّش للغاية.

تبدأ بعض الأنشــطة في الملعب، ولكنك لم ترَ أبدًا شيئًا مثل هذا؛ حيث يخرج أناس يرتــدون كل أنواع الملابس، ولا يرتدون الزي الرســمي،

وسرعان ما يبدو هذا أمر غير مهم، لأنه ما من أحد معه كرة، ولا أحد يهتم بالعارضة، كل شخص يفعل ما يريده. يجلس البعض في وسط الملعب، في حين أن هناك آخرين يضطجعون عليه، وقليل من الرجال يجرون هنا وهناك، وينطلقون في تشجيع اللاعبين، ولكن لا أحد يعرف أين يذهب وماذا يفعل، يبدو أن هناك كثيرين يحاولون أن يلعبوا من جانب ثم من الجانب الآخر.

يصرخ البعض، والبعض الآخر يهمس بابتهاج. يقف رجل ويبدأ في الصراخ طلبًا للمساعدة، ولكن كل من حوله يتجاهلونه. ويدخل آخرون في شجار ولا أحد يهتم، يجلس المتفرجون أو يقفون أينما يريدون، ولا يعيروا انتباهًا لهؤلاء الذين يحاولون رؤية الملعب، ثم لا يمضِ وقت طويل فتقرر -غاضبًا- أن ترجع إلى منزلك.

ربما يبدو هذا غريبًا -أو حتى سخيفًا- ولكني أود أن أظهر لك أن هذه اللعبة المجنونة تعكس حالة مجتمعاتنا؛ فقواعد اللعب ليست من بين الأفكار الشائعة في وقتنا هذا، انظر إلى الأسلوب الذي نعيش به سواء كأفراد أو كجماعة.

أولاً، ستلاحظ أنه لا يوجد هدف في مجتمعاتنا؛ فإننا نفتقر إلى الإجماع بشأن ما نحن بصدده، وبشأن أين نتجه، تختلف الآراء وتمزقنا الفلسفات، حتى نجد الناس يتساءلون: «القواعد؟ قواعد من؟»، فتُظهر مجتمعاتنا نفورًا تامًّا تجاه السلطات، وأي شيء يخبرنا بما يمكننا فعله، أو الأسوأ، ما لا يمكننا فعله.

وفي رغبتنا المفرطة أن نكون أحرارًا لنفعل ما يرضينا، لا نندهش من أننا نعاني من التشويش وعدم المعرفة في مجتمعاتنا وحياتنا الشخصية.

فهــؤلاء الذيــن يدافعون عن مســألة اللا قواعد واللا أهــداف للمجتمع، ويُشجِّعوننا على أن نفعل ما نريد في أي وقت، وفي أي مكان، وتحت أي ظروف، يقودونا في النهاية إلى نمط حياة مشابه لهؤلاء اللاعبين في هذه اللعبــة الفوضوية في ملعب لا تحكمه القوانين. تخيل نفســك محبوس في تلك اللعبة التي بلا هدف كل أيام حياتك، ربما ليس عليك أن تتخيل الكثير؛ لأن كثيرين يوصونا بمثل هذا النوع من المجتمع اليوم، فقد رأينا النتائج.

أعتقد أن التشــويش والافتقار للهدف وعدم الأمل في مجتمعاتنا يرجع بصفة مباشــرة إلــى الافتقار للإجماع على أن هنــاك مبادئ، وأن هناك قواعد وأن هناك أشــياء يجب أن تُفعَل وطرق لكي نفعل بها هذه الأشياء. أعتقــد أن الله في الوصايا العشــر قد حدد بعض الأشــياء لنا، وأن تلك الوصايا تقدم لنا قاعدة رائعة.

من أين تأتي الوصايا؟

لم يظهر الله فجأة من السماء كي يعطي لموسى الوصايا العشر، لا، بل عمل أولاً في حياة رجل اسمه إبراهيم، تكلم الله مع إبراهيم ووعده وقطع عهدًا معه بأنه سيكون إلهًا لنسله وذريته، وأنهم سيكونون شعبه.

اعتقد إبراهيم أن هذا عهد غريب؛ لأنه في سن التاسعة والتسعين وزوجته ســارة في سن التســعين، وليس لديهما أولاد. وعندما أخبر إبراهيم زوجته تصرفت بطريقة هيستيرية من الفكرة، ولكن لا زال الله يفي بوعوده، ومضى الوقت وأصبح لسارة وإبراهيم ولد، وبعدها رزق ابنهما بابن، وحتمًا أصبح له أولاد، وأولاد، وأولاد، وينتهي بك الأمر لتصل إلى بني إسرائيل.

أتى بنو إســرائيل لأرض مصر واستعبدهم المصريون، وقضوا وقتًا عصيبًــا هناك، وبكوا وندبوا حظهم، ولم يروا أنهم شــعب الله، ووعدهم

الله بأرض، ولكن لم تكن لديهم أية أراضي، أين تلك الوعود؟ لم يحصلوا عليها! وعدهم بكل الصلاح، ولكنهم لم يحصلوا على أي منها؛ فهم محبوسون في مصر.

سمع الله صرختهم وأقام موسى، وأخبر موسى أنه سيحررهم، وفي خروج مهيب أخرج الله الشعب من مصر، وأخذهم في البرية، ووضعهم في أرض الموعد. حدث الخروج، الذي يُظهر بصورة واضحة نعمة الله وقوته.

بعد مضي ثلاثة أشهر، جلس الشعب في البرية، وهو مكان غير صحي، دعا الله موسى جانبًا، وطلب منه أن يقابله على الجبل، وينتظر الشعب أسفل الجبل، وفي لقائه مع موسى جدَّد الله عهده (خروج١٩: ٤-٦)، وأكَّد من جديد على وضعهم الخاص، وذكَّره بتلك الأرض الخاصة المميزة، مرةً أخرى يخبرهم أنهم شعبه، وأنه حقًا إلههم.

ثم قال الله لموسى: «بناءً على العهد الذي جددته، أريدك أن تسمع تعليماتي، ويجب عليك أن تأخذها إلى الشعب»، لهذا أعطى الله الوصايا العشر لموسى.

ما معنى العهد؟

ما الهدف من تلك التعليمات؟ في (تثنية ٦: ٥) - بعد أربعين سنة من الخروج- يُذكِّر موسى الشعب بكل تلك الأشياء، ويقول بيان عظيم: «فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ». هذا هو الموضوع الأساسي لعهد الله مع شعبه، هو إلههم وهم شعبه، وهم معًا في علاقة حب.

أعتقد أنه في مرحلة ما يتساءل كثيرون: «عفوًا، يا الله كيف أحبك؟»

ما الإجابة؟ أنت لا تحب الله بالمشاعر، ولا بحماسة متوهجة، ولا بالأفكار الرومانسية، ولكنك تحب الله بأن تُظهِر أنه هو المُتسلِّط على حياتك، وتُظهِر هذا بأن تفعل ما يقول، لهذا، يعطينا الله عشر وصايا، عشر تعليمات ويقول: «إن أردت أن تعرف كيف تحبني افعل هذا... ثم ستكون قادرًا على أن تُظهِر ما إذا كنت تحبني أم لا»، وبعدما قطع الله العهد، تكلم مع موسى وقال: «يريد الشعب أن يعرف كيف يحبني، اخبرهم أن يفعلوا هذه الوصايا، وأعطهم الوصايا العشر».

إن راجعت ما ورد في (تثنية ١٠)، (لاويين ١٩)، ستجد موضوعًا ثانيًا في هذا العهد؛ فلا يجب أن يحب الشعب الله وحسب، ولكن يجب أن يحبوا أقرباءهم كأنفسهم. والآن لدينا سؤال آخر: «عفوًا، من هو قريبي، وما معنى أن أحب قريبي؟ وكيف أحب نفسي؟»

كانت الوصايا العشر هي إجابة الله على هذا السؤال أيضًا، وتفسر لنا هذه الإرشادات كيف نحب؛ لأن الله أعطانا عهد المحبة والنعمة، وجعل ارتباطًا وثيقًا بين المحبة والوصايا العشر.

اقرأ (تثنية ٦: ٢، ١٨) وستكتشف أن الله أيضًا مهتم بأن يعيش المجتمع حياةً جيدةً، ربما يطلق عليها: «الحياة الجيدة». توضح الوصايا العشر أيضًا كيفية تطوير المجتمع ليكون مجتمعًا سليمًا؛ فعندما يتبع الناس وصايا هذا العهد، سيكتشفون - لدهشتهم وفرحهم - أن لديهم حياة كاملة وغنية، وستجتمع أسرتهم معًا، ويعم الرخاء على المجتمع.

«كيف نحب الله؟»

«كيف أحب قريبي؟»

«كيف نحيا حياةً جيدةً؟»

ستساعدنا الوصايا العشر.

لقد جعلت الوصايا العشر بني إسرائيل يدركون ما معنى أن يكونوا هم شعب الله، أمام كل الأمم الأخرى؛ فكل الأمم الأخرى لديها قوانين وأعراف ومبادئ للعمل، وقد كانت الوصايا العشر هي القوانين والأعراف ومبادئ العمل لشعب الله المختار.

← شروط العهد

كان لكل بلد صغيرة ملك، ووفقًا لبعض الأبحاث الحديثة في المعاهدات القديمة في الشرق الأوسط القديم، في بعض الأحيان يأتي الملك العظيم الذي يملك على كل المنطقة، ويضرب الممالك الصغيرة بقسوة، وينتهي أمر الممالك الصغيرة وقد أصبحت جزء من الأملاك الأكبر الخاضعة لهذا الملك الأكثر قوة. عندما يحدث هذا، يوقّع الملك الكبير على معاهدة مع الملوك الأصغر، ليعرفوا أنه هو المتسلط وأن الملوك الأصغر توابع أذلاء، وتحوي المعاهدة شروط محددة، أولاً تخبر الجميع بمن هو الملك وبكل شيء عن قوته، والجزء الثاني يخبر كيف يتعامل مع الملوك الأصغر بكل عطف وإحسان، ويشير الجزء الثالث إلى الكيفية التي يجب أن يعيشوا عليها وفقًا لهذه المعاهدة، والجزء الرابع يصدق على كيف يحدث هذا، ويذكر أين يتم الاحتفاظ بنسخة من المعاهدة، ويذكر الجزء الخامس قائمة بالبركات التي ستحدث لهؤلاء الذين يحفظون تلك المعاهدة واللعنات إن خرقوها. ويشرك الجزء السادس والأخير آلهة الأمم للشهادة على توقيع تلك المعاهدة.

ما علاقة هذا بالوصايا العشر؟ اكتشف الباحثون الذين أجروا هذا البحث أنه عندما تقارن سفري الخروج والتثنية مع المعاهدات القديمة، ستجد أن الوصايا تتبع نفس الشكل، وعندما نتحدث عن الوصايا تحديدًا فإن الله هو الملك العظيم، وشعب إسرائيل هم مملكة كهنة الله، فيعبِّر عن إحسانه تجاههم، ويوضح العشر مبادئ التي يتوقع أن يعيشوا بها،

ويعطيهم تعليمات بشـــأن كيف يتوقع منهم أن يعيشـــوا بناءً على عهدهم ومعاهدتهم معه.

ماذا عنا؟

ما معنى الوصايا العشـــر لنا اليوم؟ يصف «جـــي أي باكر» التفكير الأخلاقـــي اليـــوم بهذه الطريقة: «لقـــد افترضنا أن الاستكشـــاف الذاتي والاكتشـــاف الذاتي مهمة أساسية؛ فأي وسيلة توصلنا إلى هذه الغاية ولا تتعدى على حرية الآخرين أو تدمر معيشـــتهم سيُسمَح بها، والتسامح مع السـلوك المتعدي يجب أن تتم ممارسته على أنه فضيلة حضارية وواجب عام». ولكن كيف تعمل النظرية في المجتمع؟

افتـــرض أنك قررت أن تذهب إلى حفل موســـيقي، فتذهب إلى مركز الفنون المحلية وتكتشـــف أنه ليس الحفل الموســـيقي العادي، على سبيل المثال تلاحظ أن عازف الطبل يبدو أنه يصدر أصوات صاخبة من طبوله، وتتجمع ســـحب الدخان فوقها، يبدو أن هذا مدهش للغاية، ولكن الأسوأ أن البوق مزروع به كرنب وقرنبيط، وهناك بقايا غسيل على آلة القيثارة.

يأتي قائد الأوركســـترا، ويلاحظ كل هذا ويصر على أن يصححوا كل هـــذا، ويخبرهم: «لن ينجح هذا، لن أتســـامح مع هذا»، لهذا تخلصوا من الصخب، والخضروات والغسيل.

كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟

لا، لأنهم عندما بدأوا العزف، أمسك عازف الطبول بالمطرقة، واقترب منه عازف البوق، وتبعهم عازف الطبل، بجوار الجانب الأيمن من الفتحة! إنها تعطي النوعية الخطأ من الصوت، وفيما تأتي عازفة الكمان بقوســـها بجوار آلتها، فإنها تضعها في أنف عازف الكلارينت.

فيقول قائد الأوركسترا: «حسنًا، يا شباب، الآن، توقفوا، ولتبدأوا من جديد معًا»، هكذا يجب أن يكون كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟

لا، ليس بعد. يرفع قائد الأوركسترا عصاه، وتعزف الآلة النحاسية الموسيقى الجنائزية، ويعزف عازف آلة النفخ أنغام موسيقى راقصة، ويعزف عازف الآلة الوترية رقصة فينيا وكلها رائعة للغاية ولكن عندما تعزف جميعًا معًا فإنها تصيب المرء بالتشويش.

يقول قائد الأوركسترا: «هيا، توقفوا عن كل هذا، دعونا نعزف السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، أصبح لديهم الآن توجُّه، لماذا؟ لأنه شرح للآلات الفردية، وبدأ يأخذ في اعتباره العلاقة بين الآلة والأخرى، وقد جمع بينها في موضوع مشترك.

في الوقت الحالي يقول مجتمعنا: «لسنا بحاجة إلى موضوع مشترك، فعلينا أن نقبل أي نوع من أنواع السلوك الخارج، يجب أن نكون ناضجين تجاه هذا، فمهما كان ما تريد أن تفعل فهو أمر جيد»، ولكن هذا يشبه أن تجعل الآلة النحاسية تعزف الموسيقى الجنائزية والآلات الأخرى تعزف مقطوعاتها المحببة، ولا يمكننا أن نفعل كل هذا في ذات الوقت، فنحن بحاجة إلى الاتفاق جميعًا على شيء واحد مثل الأوركسترا، نحن بحاجة للموضوع الذي تقدمه لنا الوصايا العشر.

← الوصايا والمؤمن

والآن هذا يقودنا إلى سؤالين، الأول: «هل تمثل الوصايا العشر أي أهمية بالنسبة للمؤمنين؟» قد يقول البعض بكل تأكيد: «لا، فلسنا تحت الناموس، ولكننا في النعمة»، وقد يجيب آخرون بقول بولس: «لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا» (غلاطية ٢: ١٦)، وهكذا لم نذكر

شيئًا عن الوصايا العشر، إذ أن كلا الرأيين مفادهما: «إن الوصايا العشر ليس لها علاقة بما نفعله اليوم».

عندما يتحدث بولس عن الناموس في هذا الجزء من رسالته إلى غلاطية، فإنه يتناول مشكلة معينة في الكنيسة، فقد تطرق إلى كل جوانب العالم، وقال للناس: «لا يمكنكم أن تتبرروا أمام الله بأن تعيشوا حياة صالحة؛ لأنه لن يمكنك أن تعيش حياة صالحة بالدرجة الكافية، فلو اعترفت بأنه لا يمكنك أن تحيا حياة جيدة بالدرجة الكافية فستكون منفتحًا على غفران الله، لا على فضائلك، ولكن على خصائص الله وصفاته، فيمكنك أن تتبرر أمام الله، بناءً على اختيار الله الحر لا على فضائلك، فهذا بالنعمة، ومن خلال قبولك للأمر بالإيمان، لا من خلال اجتهادك للحصول عليه» وقد قدم لنا بولس هذه الرسالة، وآمن بها كثيرون.

ثم أتى اليهود وقالوا: «لا يا بولس، ليس الأمر هكذا؛ إذ يخضع المؤمنون الحقيقيون للناموس بكل تفاصيله بكل دقة» لم يكن هؤلاء يقصدون الوصايا العشر فقط، وإنما يعنون أكثر من ستمائة دقيقة، فقد فرض هؤلاء الذين يأخذون الناموس بطريقة حرفية هذا الناموس على الناس، وكأنهم يقولون: «تتبرر مع الله عندما تفعل كل الأمور كما هي، وتفعل كل شيء بنفس الدقة طوال الوقت».

يقول بولس: «لا، لسنا تحت هذا النظام على الإطلاق، حتى لو كنا كذلك، فأعمال الناموس لا يمكن أن تبررنا، نحن مُبرَّرون بالنعمة بالإيمان»، ولكنه لا يقول: «اسمعوا أيها المؤمنون، نحن تحت النعمة، وهذا يعني أنه لا يوجد أي قواعد، بمعنى أن كل شيء مباح».

كيف نعرف هذا؟ لأن الرب يسوع قال: «لم آت لأنقض الناموس، ولكني أتيت لأتممه» وكلمة أتممه تعني حرفيًا «أن أعطيه المعنى الكامل»، خضع الرب يسوع للوصايا العشر وقدم مثالاً حيًا لهم، والأكثر من هذا، قال بولس إننا إن سلكنا بالروح فسنتمم بر الناموس.

هل للوصايا العشر أية أهمية بالنسبة لنا اليوم؟ بالطبع نعم، ليست كوسيلة للتبرير، ولكن كوسيلة لإظهار أننا تبررنا. لست تحت الناموس، ولكنك تحت النعمة؛ لهذا فبقوة الروح يمكنك أن تتمم بر الناموس كما هو في الوصايا العشر.

← ***الوصايا وغير المؤمن***

ثم يأتي سؤال: «هل هذه القوانين لها أية علاقة بغير المؤمنين أيضًا؟» يخرج مجتمعنا بكل أنواع الإجابات عن هذا السؤال، يقول البعض عن الوصايا: «إنها بسيطة للغاية، ولن أقبلها»، يقول آخرون: «إنها كلها نسبية، أنت بحاجة إلى أخلاقيات خاصة بمواقف محددة، ولن ينجح معيار واحد فقط». تخبرنا مجموعة ثالثة: «الوصايا سلبية للغاية، ولا أحبها، لا... لا...» تقول الأرواح الحرة: «يجب أن أكون حرًا لكي أكون نفسي، لا مكان لتلك الأفكار التي عفا عليها الزمن، والقواعد الصارمة». لدى البعض نوع من الاستسلام للحياة بعيدًا عن الوصايا لاهتمامهم بأمور العالم.

لكن انظر إلى كتابك المقدس، وستكتشف أنه قبلما يدخل الله في عهد مع إبراهيم بفترة طويلة، استخدم نفس المبادئ في الخليقة، فالله يضع في ضمير الإنسان الأشياء التي يركز عليها بمنتهى الحزم في وصاياه، يقول سي أس لويس في كتابه «The Abolition of Man» أنك إن راجعت عددًا من المجتمعات والثقافات القديمة، فستجد اتفاقًا مدهشًا في

معاييرهــا الأخلاقية على الرغم من أنها ثقافات متباينة، في الواقع يقول: لدى الإنسان فهم أساسي لتلك المعايير التي يريدها الله لكل الناس.

انظر إلى ما كان على الأنبياء أن يقولوه عن الوصايا العشـــر، فطوال الوقت يقولـــون للناس: «اتحدوا معًا، واعملوا مـــا تخبرنا به الوصايا». ولكنهم يتوقعون أن شعب العهد إسرائيل لن يذعنوا لتلك الوصايا وحسب ولكـــن يومًا ما ســـيكتب الله تلك النواميس على قلوبهـــم، وهذا معناه أنهم ســـيرغبون في إتمـــام تلك الوصايا، ولكن الأنبياء قالـــوا أيضًا إن هؤلاء ســـيأتون من كل الأمم، ليس من المجموعات الصغيرة لشـــعب إسرائيل، ولكـــن من كل أمم العالم! فالهدف من وصايـــاه هي أن تكون مبادئ لكي ترشـــد الأفراد، والشـــركات والمجتمع عامة، ولو كان هذا صحيحًا فإن الفشـــل في الإذعان لتلك النواميس وإهمال الوصايا سينتج عنه نتائج سيئة للغاية بالنسبة للمؤمنين وغير المؤمنين.

ماذا نفعل بهذه الوصايا؟

كثيـــرًا ما يتكلم المؤمنون كما لو أنهم فعلاً يعرفون الوصايا، ولكن كم عدد مَن يســـتطيعون كتابتها دون الرجوع إلى كتبهم المقدســـة؟ كم عدد الناس من خارج الكنيســـة الذين يقولون إنهم يعيشـــون وفقًا لتلك القواعد ويمكنهم أن يسردوها؟

ربما تســـأل: «ماذا نفعل بالوصايا العشـــر؟» أولاً يجب أن نستخدمها كبوصلة، لكي ترشـــدنا للاتجاهات؛ فقد كان مـــن الممكن أن تتغير حياة كثيرين تغييرًا جذريًا لو أنهم أخذوا الوصايا بجدية.

تحدثـــت مؤخرًا مع شـــاب، وقـــد أتى لي هذا الشـــخص المضطرب فـــي ظروف اقتصاديـــة صعبة للغاية، وكانت حياتـــه عبارة عن فوضى

اجتماعيـــة، وقال لي: «ذهني مليء بــكل الأفكار الغريبة، فأنا مُحبَط من الناحية المالية، ولا أود أن أقول لك الأمور التي أفكر فيها».

سألته: «كأن تكتب شيكات بدون رصيد؟»

«نعم، كيف عرفت؟»

فأجبتــه بلطف: «لقد عملت كمفتش في أحد البنوك» ثم ســألته: «هل فكرت في تعطيل بنك؟» فأخبرني: «نعم». فســألته: «ألهذا السبب أنت هنا؟» فأجابني: «نــعــم».

ثم اســتطرد قائلاً: «أنا خائف من تلك الأصوات التي تدور في رأسي وخائف من اليأس الذي أشــعر به في قلبي، ولكن شيئًا واحدًا يمنعني بقوة وهــو أنني أعرف أن هــذا الأمر خاطئ، لأن الكتــاب المقدس يقول: لا تسرق».

لقد عملت الوصايا العشـــر في حياة هذا الشــباب كلِجــام لكي توقفه، ويمكن أن تعمل هكذا مع الآخرين أيضًا، حتى مع هؤلاء الذين لا يتفقون معها من الناحية الفكرية.

ربما تعمل الوصايا أيضًا كمؤشــر لقياس مدى محبتنا لله، هل لنا آلهة أخرى؟ هل هناك تماثيل نعبدها بدلاً منه؟ هل نتســامح مع الاستهانة باسم الله؟ تُقيّم تلك القوانين سلوكنا لكي تُظهِر كيف نحبه.

تعمل الوصايا أيضًــا كمرآة لتُظهِر لنا الحقيقة، فعندما ننظر إلى مرآة كلمــة الله، ماذا نكتشــف؟ الحق الذي يصفه الكتــاب المقدس في كلمات: «بالنامــوس معرفة الخطايا» تأتي أمامنــا. فعندما نحملق في تلك المرآة نرى عيوبنا، وعيوب العالم من حولنا، وعندما يخبرنا المجتمع أنه بوسعنا أن نفعل ما نريد طالما أننا لا نتعدى على حرية الآخرين، فعادة ما يخبرنا بأن نفعل ما يصفه الله بأنه خطأ؛ فبغض النظر عن مدى محاولة المجتمع

الجـــادة أن ينكره؛ فإن المجتمع مخطئ، وليس الله! عندما ننظر في المرآة نرى حقيقة خطيتنا.

أخيرًا، يمكن أن تعمل الوصايا العشر كحارس لكي تأتي بنا إلى المسيح، يســتخدم بولس هذا التعبير، وهو يقصــد أن الوصايا يمكن أن تأخذنا إلى هذا المدى، فهي تأتي بنا إلى نقطة ندرك عندها ضعفنا وفشــلنا وخطيتنا. ثم يمكنها أن تقدمنا للمسيح، الذي يمكنه وحده أن يأتي لنا بالغفران وبالقوة لكي نحيا بطريقة مختلفة، قال البعض إن الوصايا هي مرآة ولكنها ليست صـابون، فـهي تُظهِر لي حقيقة نفسي، ولكن التطهير هو فقط بدم يسوع، وموته نيابةً عني، حيث يُطهِّر ما تُظهِر المرآة أنه خطأ.

نحتاج ومجتمعنا أن نســأل هذا الســؤال: «من يحتــاج إلى الوصايا العشر؟» نحن بحاجة إلى الإجابة، التي هي ببساطة: «كلنا». عندها يجب أن نكون قادرين على فهم السبب.

الوصية الأولى



من هو الأول؟

عندما قضى بنو إسرائيل ما يقرب من ثلاثة أشهر في البرية، دعا الله موسى جانبًا، وذكَّره أنه قد دخل في عهد مع الشعب وأعطاه تعليمات بشأن كيفية المعيشة، وقال إنه يتوقع منهم أمرين أساسيين: أولاً يجب أن يحبوا الرب إلههم بكل قلوبهم وبكل أفكارهم، وبكل قوتهم، ثانيًا: يجب أن يحبوا أقرباءهم كأنفسهم.

إننا نحتاج إلى مزيد من التفاصيل لنعرف كيف يمكننا أن نفعل هذا مثلنا مثل بني إسرائيل، وقد أجابنا الله بالوصايا العشر. ما معنى أن نحب الله بكل قلوبنا؟ في الوصية الأولى نتعلم أن هذا معناه أنه يجب أن يكون الله هو أهم ما في حياتنا، كيف يمكننا أن نعيش بحق في علاقة العهد معه؟ يجب أن نُخضِع كل شيء له. فمعنى أن نحبه بكل قلوبنا وبكل أرواحنا وبكل قوتنا، أن نتخذ قرارات ملموسة للاعتراف به كمسيطر على حياتنا، فمحبة الله تعني أن نجعله هو الأول في حياتنا، وبالتالي نؤكد من جديد على هذا القرار ونتأكد من أننا نرى أنه ما زال هو المتحكم في حياتنا، ولكي نفعل هذا لابد وأن نكون على دراية بالمنافسين الذين يريدون أن يحتلوا مكانه، ولابد وأن نفهم طبيعة الله ونختار على هذا الأساس.

ما هي المنافسة؟

«عندما تدخلون أرض كنعان» قال الله لبني إسرائيل: «ستجدون منافسين، ستجدون آلهة أخرى تحاول أن تأخذ مكاني، عندما تواجهون هذه الآلهة يجب ألا تأخذ مكاني». (أو هناك ترجمات أخرى تقول: بجانبي).

أراد الله أن يعدَّهم للثقافة المختلفة وللهيكل الديني الذي سيجدونه في كنعان، وقد حذرهم كي يحيوا بين الكنعانيين كشعب مختلف لله، فلا يجب

أن تأخــذ مكان الله أية آلهة أو هياكل ثقافيــة، «يجب ألاَّ تكون أكثر مني أهمية، فيجب ألاَّ تطيعوا أحد سواي» اقرأ رسالته.

ماذا عن تلك الآلهــة الأخرى؟ كيف أتت للوجود؟ لكي نفهم هذا علينا أولاً أن ندرك غريزة الإنســان الفطرية؛ فإن الآخرين لديهم هذه الغريزة أيضًا، قال «إدموند بروك»: «الإنسان بطبيعته حيوان ديني». وقد اقتبس «كالفين» عن «سيســرو» عندما قال: «هناك بذرة دين مزروعة في كل البشــر». فأينما التقيت بإنسان لا تجده أبدًا يشعر بأنه هو البداية والنهاية، لا يهم كيف نخفي جيدًا هذه الغريزة، فلو أننا أمناء ســنعترف أننا بحاجة لشــيء أكبر، شيء آخر، شيء أوسع، نريد شــيئًا مفيدًا لنا، شيء يتدخل نيابة عنا، شيء يهتم بنا، شيء لنتطلع له.

في (رومية ١: ١٨ – ٢٠) يُظهِر بولس عمل الله في كل هذا:

لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ. الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ. لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ. لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ. قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ. حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ»

يقول بولس إن كل شــخص على وجه الأرض لديه بعض المعرفة بوجود قوة عظيمة، لأن الله جعل الأشــياء غير المرئية لروحه مرئية من خلال الخليقة، ويخبرنا (مزمور ١٩) بشــيء مشابه لهذا، فيقول داود: «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ» أتخيل أن داود عندما كتب كان يفكر في تلــك الليالي الطويلة الهادئة التــي قضاها يبحث عن غنمه ويحملق في الســماء، منبهرًا بعظمتها وبعظمة الخليقة، فقد رأى في الخليقة صورةً، إعلانًا، لمجد الله.

لا شيء من هذا يخبرنا أن الجميع بطبيعتهم لديهم نفس الفهم لطبيعة الله أو معرفة به، ولكنها تؤكد أن الإنسان مقيَّد دينيًا، إذن كيف وصلنا إلى كل تلك النهايات المختلفة، على الرغم من أننا بدأنا بنفس الغرائز؟

يخبرنا بولس أن الإنسان قد قَمَع هذه المعرفة التي قدمها له الله في الخليقة؛ فالإنسان يريد أن يهرب مما أظهره الله له، ويريد أن يترك القليل الذي يعرفه عن الله بالفطرة. ويصف الرسول تلك الاتجاهات على أنها جوهر شر الإنسان.

لقد خُلقنا على صورة الله، ومع ذلك سقطنا، وبما أننا تركنا علاقتنا معه، فقد دخلت حياتنا كل أنواع التحفُّظات، وقد أصبحت براعة الإنسان التي لا يمكن إنكارها براعة منحرفة، وقد تسبب هذا في وصول الإنسان إلى تلك النتائج المختلفة، ومعظمها خاطئ.

عندما دخل بنو إسرائيل أرض كنعان، كان عليهم مواجهة تلك الانحرافات في شكل العبادة الوثنية، فقد كان أهل كنعان معتمدين بالكامل على القوى الطبيعية مثلهم مثل البدائيين في كل مكان، وفي مثل تلك المجتمعات يفهم الجميع أنه عليك أن تلقي البذور في الوقت المناسب، وأن الحرارة يجب أن تكون سليمة، وأن الأمطار يجب أن تأتي في موعدها، وأن التربة يجب أن تكون خصبة لكي ينتج عنها حصاد جيد. يدرك هؤلاء ما ننساه في مجتمعاتنا التكنولوجية الحديثة، فلا يمكننا أن نحيا في عالمنا دون تلك القوى الطبيعية القوية.

حاول البدائيون في كنعان أن يتعرفوا على تلك القوى الطبيعية، وقرروا أن لديها قوة الآلهة، عندما سمعوا صوت الرعد أطلقوا عليه إله الرعد، وعندما رأوا بريق الشمس رأوا الإله وراء الشمس، وتعرفوا على

آلهة الخصوبة والنماء، وسريعًا ما انتهى بهم الأمر بآلاف الآلاف من الآلهة، جميعها تُحدِث ضجيجًا للاستحواذ على الانتباه، فعندما استخدموا فطرتهم الدينية المنحرفة، استنتجوا من الوقائع أنه يوجد خمسة آلهة، وهي مجموعة الآلهة التي كانت تُمثِّل أساس وثنيتهم.

اعتقد الكنعانيون أنه يجب عليهم استرضاء آلهة الخصوبة وآلهة المحاصيل، وأدركوا أن هناك رابطة واضحة للغاية في تفكيرهم بين خصوبة التربة، وخصوبة زوجاتهم، بمعنى آخر، فإن المحاصيل والجنس أصبحا مترادفين، وقد أصبحت عبادة آلهة الخصوبة عبادة للأمور الجنسية. وفي إبداعهم المنحرف أخرجوا كل أنواع الأنشطة الجنسية المنحرفة باسم الدين، ونتيجة لهذا ذكر «جون برايت» وهو أحد الباحثين البارزين في دراسة العهد القديم: «لا يقدم لنا دين الكنعانيين أية صورة جميلة، فهو شكل مختل ومنحرف من الوثنية».

ما علاقة هذا بنا؟ الكثير، إذ أننا نحيا في ثقافة وثنية مُعقَّدة، فمثلنا مثل الإسرائيليين، دُعينا لنكون شعب الله في وسط ثقافة لا تمجِّد الله، وفي الحال، نواجه كل أنواع المشكلات، وكل أنواع الاهتمام، وكل أنواع الفرص، نحيا في مجتمع التكنولوجيا الماهر العقلاني المُعقَّد، وننسى الرب أيضًا، ونجد أنه من السهل للغاية أن نكون منتمين انتماءً اسميًّا له، وندفعه للوراء، فيما نتبع آلهة المجتمع، فهو لم يعد يحتل المكانة الأولى.

ماذا يشبه الله؟

لكي نقاوم هذا الميل فيما بيننا، أخبرنا الله عن نفسه في قوانينه، فهو لم يُعطِنا عشرة اقتراحات، ولكنه أخبرنا ببعض البيانات القوية للغاية في الوصايا العشر، وبدون أن يضع لها مقدمات عظيمة. فهو ببساطة يقول: «أنتم أيها الشعب، هكذا يكون الأمر، أريدكم أن تعرفوا هذه الأشياء».

← الله الفريد

في الوصية الأولى -التي تشكِّل أساسًا للوصايا العشر- يعلن الله عن نفسه لنا، فيخبرنا أنه لن يقبل أي شيء أقل من المكانة الأولى في قلوبنا، وقد أعطانا إعلانًا في (تثنية ٦: ٤، ٥): «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ».

لاحظ «الرب إلهنا رب واحد»، يا له من وصف حازم عن طبيعة الله، يخرج للكنعانيين، الذين صنعوا آلهتهم بُناءً على التفكير العقلاني والمنطق، جلس الكنعانيون ونظروا لقوة الطبيعة العظيمة، ووراء كل قوة حددوا إلهًا، وأعطوه اسمًا، ثم جمعوا معًا هيكلاً للآلهة وحاولوا أن يفكروا ما هي علاقة كل هذه الآلهة ببعضها البعض، وسريعًا ما أنشأوا دينًا قائمًا على إبداع الإنسان.

على النقيض من هذا، يبدأ الله بنفسه، ويعلن عن ذاته ويقول: «ليس عليك أن تجلس وتفكر في الآلهة، لأني أنا هو الإله، وسأعلن لك عن نفسي: الرب إلهك، رب واحد».

وهذا يعني أمرين مهمين: أولاً، يقول الله إنه الإله، وهو الإله الوحيد، وهو إله فريد، وهذا له مغزى ومعنى بالنسبة لأناس يسيرون في البرية؛ فعندما كانوا خاضعين لقيادة المصريين، واجهوا أوقات عصيبة، ولكن الله وعد أن يُخرِجهم وينقذهم منها، وقبلما يفعل ذلك، كانت لديهم مسابقة كبيرة بين الرب وآلهة المصريين، ففي مواجهة وجهًا لوجه، هزم الله آلهة المصريين، لهذا عندما قال الله إنه رب واحد، وهو الإله الوحيد، عرفوا أنه يقول إنه أعظم من كل الآلهة الأخرى.

ثانيًا، عندما قال الله عن نفسه إنه الرب، فهذا معناه أن هناك وحدة

في شخصه؛ فعادةً ما تناقض الآلهة الأخرى بعضها البعض. بافتراض أن الوثنيين لديهم مشكلة مع الرعد -أي كل أنواع العواصف التي تنشأ من الأرض- وبدا أن إله الرعد فعلاً متضايق، لهذا فقد أعطوه جزءًا من تقدماتهم، ولكن إله الرعد تضايق في وقت كانوا فيه بحاجة لكي يعطوا إلهة الحبوب والخصوبة اهتمامهم، فلو أنهم قدموا تقدماتهم لإله الرعد، فربما تتضايق هذه الإلهة وعندها ماذا سيحدث على الأرض عندما يلقون بالبذور؟ يشعرون أنهم مُمَزَّقون، فكيف يمكنهم إرضاء الجميع، محاولين أن يجعلوا كل الآلهة الذكور والإناث سعداء؟

قال الله لإسرائيل: «انظروا! هذا لا يحدث معي؛ فأنا الله، ولا أناقض نفسي، ولا تجدونني أحارب ضد نفسي».

← الله هو الله

بالإضافة إلى أنه يقول لشعبه: «أنا هو الله»، فالله يقول إنه الله، وهذا معناه أنه يتحدث بسلطان، فكل أفعاله تُظهِر بوضوح سيادته الفائقة والواضحة، فقد أظهر هذا الفعل لكل بني إسرائيل في كل ما فعله لهم.

← الله كريم

أخيرًا يريد الله أن يتذكر شعبه أنه كريم؛ ففي بداية الوصايا العشر يذكِّرهم: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر، أرض العبودية» فقد أظهر الله نعمته، إذ أخذ عبيد جبناء ضعفاء بلا معين، مهمَّشين وغير منظمين، مضغوطين من خاطفيهم، وتدخَّل نيابة عنهم، وأخرجهم من الأَسْرِ وأعطاهم أرضًا، لم يكونوا ليحصلوا عليها تحت أي ظروف.

ذكَّر الله بني إسرائيل بكرمه مقارنةً بالآلهة الأخرى، الذين كان عليهم أن يسترضوها، وقال الله: «انظروا إلى ما أعطيتكم».

← **إله واحد كريم**

بما أننا نحيا في هذا المجتمع الذي يمتلئ بكل أنواع الآلهة، وكل أنواع الأفكار، وكل أنواع الفلسفات، فإننا بحاجة ماسة إلى إله كريم وقوي وفريد. إذ نشعر بأننا نقع في تجربة اتباع الآلهة أو المفاهيم الأخرى، ونستكشفها، وربما نجد أنفسنا نعبدها. تذكر أننا لا نعبد الله الذي أخرجنا من العبودية، ولكنه هو من تدخَّل نيابة عنا من خلال موته على الصليب، وأنقذنا من الموت والجحيم. فإلهنا لم يأتِ بنا لأرض لبن وعسل، بل أعطانا الحياة الأبدية من خلال ابنه، ربنا يسوع المسيح. إلهنا لم يملأ نهر النيل بالدم والضفادع وكل أنواع الحشرات الزاحفة، ولكنه أقام يسوع من الموت. إلهنا هو إله الإعلانات الذي يوصينا قائلاً: «لا تهينوني بأن تأتوا بكل الآلهة الأخرى إلى جواري، لا تتجرأوا على إهانتي بأن تضعوا تلك الآلهة في مكانة تسبقني. لماذا؟ لأني أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، مكان العبودية، ومن عبودية الخطية، وأنا الرب، وأنا الإله الواحد».

مخالفة الوصية

قال الله تلك الوصية القوية: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي»، ومع ذلك نميل أن نسأل: «لماذا لا يكون لنا آلهة أخرى؟» حسنًا، لِمَا لا؟ لو أننا نظرنا إلى قصة بني إسرائيل، يمكننا أن نرى على الفور ما يحدث لو أننا عارضنا طبيعة الله، فسريعًا سنسقط في محاولة التوفيق ما بين المعتقدات أو الفلسفة الحسية!

التوفيق ما بين المعتقدات

التوفيق ما بين المعتقدات يسحب مجموعة كبيرة من الأشياء المتباينة معًا ليحاول أن يُخرِج منها شيئًا كاملاً، واجه بنو إسرائيل ذلك الموقف في كنعان، عندما دخلوا المدينة، فقد كان الملك الصغير في تلك المدينة

لديـــه مجموعة خاصة من الآلهة -الآلهة المحلية- وعندما اســتولى بنو إســـرائيل على المدينة، وأطاحوا بالملك، واجهــوا تجربة جمع الآلهة والاحتفاظ بها لأنفسهم، ثم دخلوا المدينة التالية، وبها ملك صغير وكومة صغيــرة من الآلهـــة مختلفة عن كل الآلهة الســـابقة، وهزموا المدينة، واحتفظوا بتلك الآلهة أيضًا، وفي وقت بســيط، أصبح «يهوه» مجرد فكرة نظرية في أذهان كل بني إســـرائيل، وكانت لديهم مجموعة كبيرة من الآلهة التي جمعوها خلال فتـــرة الترحال، وبالتالي، فقدوا الوصية الأولى في خضم هذا الزحام.

لنفس الســـبب حذر الله شـــعبه من أن يدخلوا فـــي علاقات زواج مع الكنعانيين، فلو أنك تزوجت من كنعانية، فأنها لن تتزوجني وحســـب، بل عائلتـــي أيضًا، فتأتي بآلهتها معها، وهذا معناه أنها تزوجتني، وعائلتي، وآلهتي، وفـــي وقت قليل، ينتهي الأمر ببني إســـرائيل وهم يدينون بدين يمكن أن يكون متوافقًا مع الكثير من المعتقدات وغير مقدس. وقد حذرهم الله من أن ينســـوا إلههم الذي أخرجهم من أرض مصر، حتى لا يصبحوا مضطربين تمامًا.

يمكننا أن نرى وندرك إخفاق بني إسرائيل وخطاياهم، ولكن ماذا عنا؟ نعترف بأننا نُكـــرّم الرب، ولكن مجتمعنا لا يكرّمه، ونســـتمع لمجتمعنا ونطيعه، ونتنافس فيه، وســـواء كنـــا نحب ذلك أم لا، فنحن جزء منه، إن أردنا الاستمرار في هذا، نعتقد أنه سيكون علينا أن نستمع له، ونوافق عليه ونتوافق معه. فماذا يحدث؟ نلغي تفرُّد الرب وتميُّزه؛ فلم يعد يحتل المكانة الأولى، وينتهي بنا الأمر بمســـيحية تتماشـــى وتتوافق مع كل المعتقدات الأخرى.

وفي توافقنا هذا مع المعتقدات الأخرى، لدينا الجرأة لكي نأتي بالأشياء

السيئة للغاية التي مات لأجلها الرب يسوع، فنريد الحرية لفعل هذه الأشياء السيئة وجعلها أمر معتاد في حياتنا مع المسيح الذي مات ليحررنا منها، ولهذا تأتي لنا الكلمة عبر القرون: «لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي». لماذا؟ لأن يسوع هو الرب القائم، وهو الأول.

← ***المادية***

أظهرت وثنية الكنعانيين المادية والحسية؛ فالإنسان يملك تلك الحسية التي أعطاه الله إياها، ولكن مثلها مثل أي شيء آخر فيه، فإنه يمكن أن تُشوَّه، فكل الحواس التي أعطانا الرب إياها أعطاها لنا لكي نستخدمها في فهمه وتقديره، ولكننا نستخدمها في الكثير من الأمور بطريقة خاطئة، ففي بعض الأحيان نسمح لحواسنا أن تسيطر علينا للغاية حتى ننحي الحق الذي نعرفه جانبًا، ونصبح أناس حسيين للغاية، والآن لو أن بني إسرائيل -الذين كانوا أناس حسيين للغاية- دخلوا في منطقة مملوءة بالوثنية الحسية المغرية، فسيواجهون بعض الخطر الحقيقي، فهم محاطون بأمور حسية جذابة فاحشة، لرغباتهم الداخلية غير المهذبة والنزوات والميول المتقلبة، فلو أنهم لم يحافظوا على أنفسهم في الطريق السليم، سيتبعون آلهة أخرى، وسينتقلون إلى مناطق أخرى، وسيبعدون عن الإله الحقيقي. هذه هي المشكلة الموجودة في مجتمعنا اليوم، فالوثنية التكنولوجية المعقدة تنتشر في مجتمعنا اليوم وتخترق حواسنا الداخلية غير المهذبة، ونجد أن الأمر برمته فاتن وجذاب، ومغري للغاية، فلو أننا لم نتذكر أن الرب إلهنا إله واحد، وأنه يتعامل معنا بكل كرم، وأنه أخرجنا من بيت العبودية، ودخل معنا في عهد نعمة، فسينتهي بنا الأمر ونحن نبعد أميالاً كثيرة عن الله، ومحاطين بكل أنواع الحسية وكل لعنة، وسنكون تائهين، فعلينا أن نكرم الرب.

ما هو الاختيار؟

كيف نتجنب هذا؟ أولاً، يجب أن نختار، في (يشوع ٢٤: ١٤، ١٥)

في نهاية حياة هذا القائد يذكّر يشــوع الشــعب بإله العهــد قائلاً: «فَالآنَ اخْشَــوْا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكَمَال وَأَمَانَةٍ. وَانْزِعُوا الآلِهَــةَ الَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمْ فِــي عَبْرِ النَّهْــرِ وَفِي مِصْرَ. وَاعْبُدُوا الرَّبَّ. وَإِنْ سَــاءَ فِي أَعْيُنِكُــمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ. فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِــكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُــدُونَ: إِنْ كَانَ الآلِهَةَ الَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمُ الَّذِينَ فِي عَبْرِ النَّهْرِ. وَإِنْ كَانَ آلِهَةَ الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِهِمْ. وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ الرَّبَّ».

وضع يشــوع تحديًا أمام هؤلاء الناس الذين شــهدوا صلاح الله وقوته ونعمته، «أنتم تعيشون في تناقض تام مع ما قاله الله، وقد حان الوقت لكي تتغيروا، اختاروا في هذا اليوم أي طريق تريدون أن تسلكوا فيه».

كان لإيليا مواجهة مماثلة؛ فقد كان يعيش في وقت الملك أخآب، الذي كان متزوجًــا من إيزابل وهي امرأة مــن صيدا، وعندما أتت لأخآب جلبت معها آلهتها، لهذا أصبح لدينا الآن آلهة صيدا و«يهوه» وهي فوضى كبيرة، وظهر الصراع، وفي النهاية وقف إيليا على جبل الكرمل وقال للشــعب: «لو كان يهوه هو الله فاعبدوه، وإن لم يكن هو الله فانســوا الأمر، ولو كان البعل هو الله فاعبدوه». وقد خرج بتلك المقولة: «إلى متى تعرجون بين الفرقتين؟»

وكأنــه يقول: «لا يمكنــك الاحتفاظ بالأمرين؛ فــلا يمكنك الاحتفاظ بالكعكة وأكلها في ذات الوقت، أي إمَّا أن تحتفظ بها وإما أن تأكلها».

قال يسوع: «لا يمكن أن تعبد الله والمال، فعليك أن تقرر من هو سيدك».

واليوم، نواجه نفس القرار، هل الله هو الله؟ هل المسيح هو السيد؟ إن أردت أن تعرف الله والمسيح اكتشف لو أنك ستتبع الأمر من خلال الأمور المتضمنة في هذا القرار. اســأل نفســك: «ما الذي يريده المسيح الرب مني؟» الإجابة:

ولاء نقــي، لكي أتجاوب بمحبة معه بســبب محبته العظيمــة لي، «ما الذي يســتحقه؟» بما أنه قدم نفسه لي، فيجب أن أعطيه نفسي بلا تحفظ، «ما الذي يطلبه المسيح الرب مني؟» أولاً مكانًا في مشاعري، لكي يكون هو الشخصية المهيمنة والمسيطرة في حياتي، الإله الوحيد الحقيقي، فالاختيار لك.

لم يجد البعض أنفســهم في موقف ليواجهوا ضرورة اتخاذ هذا القرار الأساســي، فيســألك الله: «إلى متى تنوي أن تعرج بين الفرقتين؟» إلى متى تشــعر بأنك قد حصلت على كفايتك من الله لكي تكون متدينًا، ولكن ليس بالدرجة الكافية لكي تتغير؟ إلى متى ستشــعر بأن المسيح سيرضى بإكرامــك له بالدرجة الكافيــة حتى لا تذهب للجحيــم، ولكنك لا تكرمه بالدرجة الكافية حتى يمكنك أن تحيا كما لو أنك تحبه؟ إلى متى ســتقول: «المســيح هو الرب» ومع ذلك فهناك أشياء كثيرة تأتي قبله في المكانة؟ «اختر!» فهو يطلب منك أن تختار.

← قيَم الاختيار

بمجرد أن نتخذ هذا الاختيار المبدئي، نكون بحاجة إلى تقييمه، وهكذا فإن آلهة الكنعانيين خدعوا الإسرائيليين، هكذا فإن الآلهة في مجتمعنا وفي عُرفنا الثقافي يمكن أن تخدعنا، وتغوينا بعيدًا عن محبة الله.

في نهاية كل يوم، اســأل نفســك: «هل كان يســوع المسيح ربًّا على حياتي اليوم؟ هل خدمتــه اليوم بأمانة؟ هل أحبه بعمق؟ هل أعبده وحده؟ هل كل الآلهة الصغيــرة الأخرى في حياتي لا تجد لها مكانًا في إيماني؟ هل أحيا بمعايير مزدوجة، هل أحيا حياة مزدوجة؟» ماذا ســتجد؟ لو أنك أمين فإن إكرام الرب سيتطلب سلوكًا مستمرًا مهذبًا للطاعة والاتكال على الله بما في ذلك التوبة والرجوع والتجديد.

اليوم يجب أن أقرر: «من سأخدم، من سيكون ربًا وسيدًا على حياتي؟»

الـوصية الثـانية

«لا تصنع لك تمثالاً
منحوتاً، ولا صورة ما
مما في السماء من
فوق، وما في الأرض من
تحت، وما في الماء من
تحت الأرض، لا تسجد
لهن ولا تعبدهن،
لأني أنا الرب إلهك

إله غيور، أفتقد ذنوب
الآباء في الأبناء في
الجيل الثالث والرابع
من مبغضي، وأصنع
إحساناً إلى ألوف
من محبي وحافظي
وصاياي».

(خروج ٢٠: ٤-٦)

جعل الإله على صورة الإنسان

يقول «توماس واتسون» من القرن السابع عشر: «تنهينا الوصية الأولى عن عبادة الآلهة المزيفة، ولكن الوصية الثانية تمنعنا عن عبادة الله الحقيقي بطريقة مزيفة وخادعة». وهكذا تقدم كلمات واتسون القليلة وصفًا لجوهر الوثنية.

عندما يرغب واعظ أن يتحدث عن عبادة الأوثان، فإما أن يجد هذا الموضوع من أسهل الموضوعات التي يعظ بها أو على العكس تمامًا، أي أنه أصعب موضوع. فإن أراد اتخاذ المسلك السهل، يأخذ قصاصة ورق صغيرة صفراء، ويجلس، ويضع قائمة بكل آرائه وأحكامه المسبَّقة، ويدَّعي أنها آراء وأحكام شخص آخر، أو ربما يقول لنفسه: «والآن ما الشيء الذي أريد أن أحث الشعب أن يفعله؟» ثم يضع قائمة بالأشياء التي يشعر بأنها تضايقه، ويدعوها «الأصنام التي يعبدها الشعب» ويلقي باللوم عليهم. أما إذا أراد أن يتخذ المسلك الصعب، فعليه أن يحاول إيجاد الأمور الضمنية التي يذكرها الكتاب المقدس فيما يتعلق بعبادة الأصنام، ويعظ عنها. أود التعامل مع هذه الوصية باتخاذ المسلك الصعب، وأريد أن أقدم لك تطبيقًا عامًا للآيات الكتابية التي تسمح للروح القدس أن يتحدث إلى قلبك عن تلك الأمور.

الله يدين عبادة الأوثان

يدين الله بوضوح عبادة الأوثان في الوصية الثانية، لهذا لا يمكننا أن نخطئ رد فعله تجاه هذا الأمر، فهو لا يحابي عبادة الأوثان تحت أي قناع ويقدم لشعبه إرشادات محددة.

← لا تصنع تماثيل

لاحظ أولاً أن الوصية الثانية تنهيك عن أن تصنع تماثيل، فيقول الله

لشعبه: «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا. وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ. وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ. وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ». يطلق بعض الناس على هذا «علم الكونيات العبري التقليدي المكون من ثلاث طبقات»، والذي يعني ببساطة أن العبرانيين اعتقدوا أن الكون يتكون من ثلاث مستويات، السماوات والأرض والماء تحت الأرض، يطبق آخرون هذا بطريقة أكثر تحديدًا فيقولون إنه عندما تتحدث عن المخلوقات فوق الأرض، فالمقصود هو القوى الروحية، أما المخلوقات التي على الأرض فيقصد بها الأشياء المادية، وما تحت الأرض أي الراقدين بسبب الموت والحياة الغريبة بعد الموت.

لا يهم كيف ترى هذا الوصف، فالأمر في النهاية يصب في شيء واحد، ففي كل منطقة من الكون لا يمكنك أن تستخدم أي شيء لتصفه بأنه الخالق، فلا يوجد أي شيء مادي أو روحي أو غريب أو وحوش خفية يمكنها أن تأخذ مكانة الله في حياتك، فلا تمثل الخالق بأي من تلك الأشياء المخلوقة. هذه قاعدة أساسية.

← لا تعبد التماثيل

ثانيًا: يقول الله: «يجب ألا تصنع لك تماثيل، ولا تسجد لها ولا تعبدها»، فأن تصنع تمثالاً هذا شيء، وأن تعبده هذا شيء آخر، هكذا يمكنني أن أقول إن لديَّ بعض التماثيل في حجرة مكتبي في المنزل.

عندما قمت بزيارة الهند، ركبت السيارة مع راعٍ صديق، وكان يجب أن أحرك حقيبة صغيرة حتى أتمكن من الجلوس، وعندما أمسكت بها أصدرت صوتًا، فسألته: «ما هذا؟»

فأجاب صديقي وقال: «سأتخلص من تلك الأشياء».

فسألته: «ما هي؟»

فأخرج أحدها ورأيت قطعة جميلة من القطع النحاسية الهندية، فسألته: «هل ستتخلص من كل هذا؟»

فأجاب: «نعم، فهذا تمثال هندوسي، وقد آمنت العائلة صاحبة التمثال بالرب يسوع مؤخرًا واعتمدت، لهذا سآخذ تماثيلها بعيدًا، فقد تركوها وسأتخلص منها».

قلت: «أود أن آخذ أحدها». فوجد صديقي الراعي صعوبةً في فهم السبب وراء طلبي هذا، فقلت: «إنها قطعة جميلة من النحاس. وعلى قدر معرفتي لن تكون صنمًا، إلا إذا سجدت لها وعبدتها»، فأعطاني تلك القطعة النحاسية بتباطؤ، وأوصاني أن أصلي لأجل الهندوس الضائعين في ظلام الوثنية في كل مرة أنظر فيها لتلك القطعة النحاسية.

يقول الله إنه لا يجب أن نمثل الخالق بأي شيء مخلوق، ولا نقدم العبادة أو التكريس -اللذين لا يستحقهما إلا الله وحده- لأي شيء.

ربما يبدو من الغريب أن أقول هذا لقرَّاء القرن العشرين، إلا أننا أيضًا لدينا تماثيل. قال «هربرت سكولسبرج» في كتابه «Idols for Destruction»: «إن أي شخص لديه تسلسل هرمي للقيم، لابد وأنه يضع شيئًا ما على قمة الهرم، وأيًا كان هذا الشيء فهو إلهه الذي يخدمه». هل لديك تسلسل هرمي للقيم؟ بالطبع لديك، هل تقول عن أشياء إنها جيدة وأخرى سيئة؟ أشياء أفضل وأخرى أسوأ؟ إن كانت إجابتك بنعم، فهذا معناه أنه لديك تسلسل هرمي للقيم.

كيف يمكنك أن تميِّز الجيد من السيئ؟ كيف يمكنك أن تقيس الأفضل والأسوأ؟ لابد وأنه لديك معايير للتقييم، فهناك قمة للهرم، والشيء الذي يحتل تلك القمة هو أهم شيء بالنسبة لك؛ فهذا هو الإله الذي تخدمه، وهذا هو ما قصده سكولسبرج.

يجب أن نقيّم هذا الذي يحتل قمة الهرم، فلو أننا سلمنا هذه القمة لله، فإننا بهذا قد نزعنا عبادة الأصنام.

← لا تحسب رد فعل الله بطريقة خاطئة

يقول الله في رفضه لعبادة الأوثان: «لا تُسِئ حساب رد فعلي تجاه هذا الأمر». يخبرنا (خروج٢٠: ٥) «لأنّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُور». لا نريد التفكير في هذا الجانب من شخصية الله، يقرأ كثيرون هذه الآية، ولا يقرأون ما بعدها، ولكن يجب أن نتذكر أنه لا يوجد تضارب بين صفات الله، إذ تعمل قداسة الله وغيرته معًا، لهذا يظهر الله قداسة غيورة، وغيرة مقدسة.

ربما يمكننا أن نفهم بشكل أفضل إذا عرَّفنا الغيرة على أنها «حماس لما هو صائب، والتزام كامل وتام بالتمسك بكل ما هو صواب». وهكذا، فإن الله غيور، كامل ومستقيم لهذا سيصر على أن يتبوَّأ مكانته السليمة في مركز الكون، وفي قلوب مخلوقاته. وسيقاوم بقوته الجبارة أي شيء يحتل هذه المكانة.

ربما نكره فكرة أن الله غيور، ونتجنب فكرة أنه يعاقب أولاده على خطايا الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، فيقرأ كثيرون هذا ويقولون: «لو كان هذا هو إلهك، فحسنًا هنيئًا لك، ولكن لديَّ إله آخر، شكرًا». ولكن فكر للحظة، لو أنك ذهبت إلى طبيب نفسي، فهذا معناه أنك ستمضي قُدُمًا في جلسات العلاج النفسي، وسيحدد الطبيب مشكلاتك العاطفية عندما يلقي نظرة على ماضيك، وربما يلقي نظرة أيضًا على أبويك، وجدودك لماذا؟ ربما لا تعرف السبب، إلا أن الطبيب النفسي هكذا يؤكد على طبيعة الله، وذلك لأنك وصلت إلى ما أنت عليه الآن بسبب تأثير آبائك وأجدادك.

هكذا يقول الله: «لو لم تكن لي المكانة السليمة في حياة الناس، ولو

أخذت الأشـياء الأخرى مكانتي، فإن العواقب والتداعيات تنتقل حتمًا من جيل لآخر». مرة أخرى يدين الله عبادة الأوثان».

← لا تنسَ رحمة الله

يضيف الله قائلاً: «لا تنسَ نعمتي!»، وهو الأمر الذي يتناقض بوضوح مع مسألة أنه يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، ويستمر ليقول: «إني أظهر محبتي» (الكلمة العبرية المستخدمة هنا هي hesed، والتي تعني محبة، ورحمة، ونعمة ولطف. وهي كلمة شاملة وجميلة للتعبير عن كلمة «عهد» في العهد القديم). يُظهِر الله تلك المحبة واللطف والرحمة والنعمة لآلاف، ويتناقض التركيب اللغوي المستخدم في اللغة العبرية إلى الجيل الثالث والرابع مع آلاف الأجيال. تذكر أنه عندما يتحدث الله بصرامة، فهذا لا يتناقض مع كونه مستعدًا لكي يتصرف بنعمة وكرم، فنعمته دائمًا أكبر جدًا من أحكامه، وقد وضح بولس هذا عندما قال: «وَلٰكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا». (رومية ٥: ٢٠)

← انتبه!

لا يتعامل الله مع هذه القضية في الوصايا العشر فقط، بل يذكرها في كل الكتاب المقدس. استخدم الأنبياء أيضًا عددًا من الكلمات الحادة والواضحة فيما يتعلق بعبادة الأصنام. تذكر أن الله حذر بني إسرائيل -عند دخولهم أرض الموعد- أن يبتعدوا عن آلهة الكنعانيين. عندما تنظر إلى خدمة الأنبياء تدرك أن بني إسرائيل تجاهلوا هذا التحذير، كما يقول (إرميا ١٠: ٢-٥):

«لاَ تَتَعَلَّمُوا طَرِيقَ الأُمَمِ. وَمِنْ آيَاتِ السَّمَاوَاتِ لاَ تَرْتَعِبُوا، لأَنَّ الأُمَمَ تَرْتَعِبُ مِنْهَا. لأَنَّ فَرَائِضَ الأُمَمِ بَاطِلَةٌ. لأَنَّهَا شَجَرَةٌ يَقْطَعُونَهَا مِنَ الْوَعْرِ. صَنْعَةُ يَدَيْ نَجَّارٍ بِالْقَدُومِ. بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ يُزَيِّنُونَهَا، وَبِالْمَسَامِيرِ وَالْمَطَارِقِ يُشَدِّدُونَهَا فَلاَ تَتَحَرَّكُ. هِيَ كَاللَّعِينِ فِي مَقْثَأَةٍ فَلاَ تَتَكَلَّمُ! تُحْمَلُ حَمْلاً لأَنَّهَا لاَ تَمْشِي! لاَ تَخَافُوهَا لأَنَّهَا لاَ تَضُرُّ، وَلاَ فِيهَا أَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا».

تمتلئ كتب الأنبياء الآخرين بالكثير من الآيات المشابهة، لتذكِّر شعب الله بعـدم جدوى هذه الآلهة التي منعهم الرب عن عبادتها، ومع ذلك يميل الإسـرائيليون لعبادة تلك الآلهة التي بلا نفع أو قوة أو قيمة. وقد حذرهم الأنبياء أن يتركوها كما لو كانت وباء.

في العهد الجديد، لا يقول يسوع الكثير عن عبادة الأوثان فيما عدا تلك المقولة: «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ. لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ. أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ» (متى٦: ٢٤). وقد قال القليل عن عبادة الأوثان؛ لأن من يخدمهم لم تكن لديهم مشكلة مع هذا الأمر.

لكـن عندما انتقل بولس إلى عالم الأمم، وجد كل أنواع عبادة الأوثان، وواجـه في كورنثوس الذين كانوا يقدمـون لحومًا للأوثان. واليوم نقول: «من يهتم بهذا، وما شـأننا به؟» اهتم المؤمنون من أهل كورنثوس بهذا الأمر، واهتم به بولس، سـيقدم الوثنيون تقدماتهم من اللحوم للأوثان؛ أي الضلع الرئيسـي الذي تغذى على الحبوب، وهو من أجود أنواع اللحم، إذ يقدمون الأفضل للأوثان. ولكن شـهية الأوثان ضعيفة بينما شهية الكهنة قوية؛ لهذا ترك الكهنة القليل للأوثان وأخذوا الأكثر والأفضل لأنفسـهم، وما زال لديهم أكثر مـن احتياجهم لهذا أعطوا البعض للجزارين، وباعه الجـزارون للمطاعم. فإن أردت الحصول على وجبة شـهية؛ فعليك أن تأخذ أصدقائك لأفضل المطاعم في مدينة أفسـس، وعندما تطلب الكتف ستحصل على الوجبة المقدمة للأوثان.

قال المؤمنون: «لا يمكننا التوجه للمطاعم، ولا يمكننا أن نطلب أفضل الأجزاء من اللحم، لأن هذا كله قد ذُبح للأوثان». فقد رأوا الأمر على أنه قضية كبيرة.

ماذا قال بولس؟ أخبرهم الرسول بولس: «الأوثان ليسوا شيئًا في أنفسهم، ولكن الأمر يتعلق بالقوى الشريرة التي تقف وراءهم، لهذا احترزوا لأنفسكم من عبادة الأوثان بسبب تلك القوى التي تقف وراءها، والتي ستبعدكم عن الله، فلتكن منتبهًا للغاية لأنك قد تزج بنفسك في المتاعب. ولكن في كولوسي وأفسس يقول إن: «الطمع أو الشهوة عبادة أوثان». لماذا؟ لأن الطمع والشهوة معناهما أنني قد كرست نفسي تمامًا لتلك الأشياء المخلوقة بدلاً من أن أقدم نفسي للخالق.

خطر عبادة الأوثان

ربما تسأل: «ما المشكلة؟» ربما مازالت تشعر بأنك مثل الصبي الصغير الذي تناول العشاء مع والديه في إحدى الليالي، ثم تفوه بكلمة كان قد تعلمها في المدرسة في ذلك اليوم، وأراد أن ينطق تلك الكلمة عدة مرات، لم ينتبه الأب الجالس في مكتبه كثيرًا لتلك الكلمة بل لم يلحظها، ولكن أمه أبعدته عن المائدة، وطلبت منه أن يمكث في غرفته طوال الليل ولا يخرج منها.

بعدما ذهب الصبي لغرفته، هبت عاصفة رعدية قوية، وومض الضوء وأصدر الرعد صوته، وانهمرت الأمطار. ورق قلب الأم، وهي تتساءل كيف حال طفلها، فتسللت إلى غرفته وفتحت الباب بهدوء، وهناك رأت ابنها الصغير محملقًا في النافذة، وسمعته يقول: «يا الله، كل هذا حدث بسبب كلمة صغيرة؟»

هل تشعر كما لو أن الله قد أصبح -بطريقة ما- يبالغ في مواقفه تجاه عبادة الأصنام؟ هل هي فعلاً مشكلة كبيرة؟ بالتأكيد نعم، فتسأل: «لماذا؟» لأن عبادة الأصنام خطيرة، وربما تؤثر على حياتك الروحية في سبعة طرق.

← تحويل الوسائل إلى غايات

بما أن الجميع يعرفون بفطرتهم أن الله موجود، فإنهم يودون التجاوب مع تلك الحقيقة، فيبحثون عن طرق للتجاوب مع الله، ويلجأون إلى ثقافتهم، وإلى الأشياء التي يصنعوها، ويستخدمون براعتهم في إخراج أشياء تساعدهم على فهم تلك الأمور غير المرئية، ويدخلون في عبادة الأصنام، فعندما يستخدمون أشياءً ملموسة للوصول إلى الأشياء غير الملموسة، تأخذ تلك الأشياء الملموسة مكانة الأشياء غير الملموسة وتتحول الوسيلة إلى غاية في حد ذاتها، ويفعلون ما نهاهم الله عنه، فيأخذ المخلوق مكان الخالق.

ربما تبدو هذه أمور وثنية صرفة، ولكنها لا تعفي المؤمنين، هل لاحظت من قبل أنه على الرغم من أننا نستخدم العديد من الأساليب في عبادة الله إلا أنه في بعض الأحيان تصبح تلك الأشياء مهمة للغاية بالنسبة لنا لدرجة أننا نفقد كل رؤية لله الذي نعبده، وتصبح أشكال العبادة غايةً في ذاتها؟ على سبيل المثال، عندما لم يكن بإمكان الناس في القديم القراءة، وضعت الكنائس طقوسًا لتساعد الجميع على حفظ الآيات الكتابية، وكان هذا معينًا للغاية، ولكن عندما أصبحنا نعبد الطقوس بدلاً من الله، فقدت تلك الطقوس مكانتها والغرض منها ألا وهو «المساعدة».

لا أهاجم الطقوس؛ فلكل كنيسة بعض أشكال الطقوس، ولكن الغرض من هذا المثال هو أن أُظهر كيف يمكن أن يأخذ الشيء المخلوق مكانة الخالق في حياة المؤمن.

← استبدال الأشخاص بالأشياء

إن عبادة الأصنام تجعل الأشياء أكثر أهمية من الشخص، فالله لم يعلن عن نفسه كقوة أو كيان أو شيء، ولكن كشخص يمكننا أن ندخل في علاقة معه، فنشاركه الصداقة التي نعرفه من خلالها ونحبه، ونتجاوب بامتنان

معــه، ولكن من يعبد الأصنام يرتكب خطأً فادحًا؛ إذ أنه يســتبدل الأفراد بالأشــياء، ففي البداية قد يضع أشياءً جيدةً مكان الله، ولكن قد تتحول تلك الأشياء الجيدة إلى سيئة. على سبيل المثال، قد تحل الخدمة محل الرب في الأهمية، أعرف هذا جيدًا؛ لأنه حدث معي!

في مرحلة ما من عملي، بدا كما لو أن الأيام التي أعظ فيها ســتنتهي، وعلى الرغم من اســتمرار هذا الوضع لسنوات عديدة، إلا أن الكثير من الفرص الرائعة الجديدة انفتحت أمامي. ثم بدأت أعاني من مرض هددني بالتوقف عن كل شيء، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي عانيت فيها من الاكتئاب، ولم أشعر بالسعادة على الإطلاق بوضعي؛ إذ كنت أقول لنفسي إنني متضايق للغاية لأني أحب الوعظ عن الرب يســوع، ثم تكلم الله بقوة لقلبي قائلاً: «ســتيوارت بريسكو، هل تحب الوعظ عن الرب يسوع أكثر من محبتك للرب يسوع الذي تعظ عنه؟» الإجابة كانت: «نعم»، وعرفت أني متضايق من الرب يســوع لأنه لا يمكنني أن أعظ عنه. فلو أنني فعلاً مهتم بالرب يسوع نفسه لن أهتم بما إذا كنت سأعظ عنه أم لا. شعرت كما لــو أن روح الله يقول: «عندما تعيد ترتيب الأمور في نصابها الصحيح، ربما تعظ مرة أخرى، ولكنك لن تعظ إلى أن يحدث هذا».

عندما يصبح شــيء جيد مهمًّا للغاية بالنسبة لنا، فإنه يتملكنا، ونشعر بالحماس الشديد تجاهه لدرجة أننا نعبد أنفسنا بدلاً من أن نعبد الرب، كما حــدث مع خدمتي، التي تحولت إلى عبادة أصنام، ودمرت الخطية فعالية هذه الخدمة وتأثيرها.

← وضع الخيال في مكانة فوق الإعلان

إضافة إلى كل ما ســبق، فإن عبادة الأصنام تضع خيال الإنسان فوق إعلان الله، انظر إلى بعض أشكال الآلهة التي صنعتها الثقافات المختلفة،

وستندهش من خيال من صنعوها، فبعض الآلهة المصرية لها شكل الجسد البشـــري ورأس تمساح أو ثور أو أســـد. عندما فكر هؤلاء الناس في إله قوي، بدا لهم أنه لا يوجد شـــيء أكثر قوة في غضبه من التمســـاح، أكثر شجاعة وإقدامًا من الأسد، وهكذا؛ لهذا استخدموا خيالهم لكي يصنعوا آلهة رائعة تعبر عن مفاهيمهم.

الله هو الـــذي منحنا الخيال، ولكن خيالنا أيضًا ســـقط، فهو ليس نقيًا، ولكنه تحول إلى خيال منحرف، كيف؟ من خلال تفكيرنا الذي لا يتبع حق الله، بل يتبع الأوهـــام. فكما قال «جي أي باكر»: «الصور المعدنية هي عواقب الصور الذهنية». فبدلاً من أن يقبل عابد الأصنام نفســـه كإنسان مخلـــوق على صورة الله، يحاول أن يعيد تشـــكيل الله على صورته هو، فيحاول أن يجعل هذا الإله في حجم «مريح» بالنسبة له.

مـــاذا يحدث إذا فعلنا هذا؟ يدمر الخيال حياتنا، ونبتعد عن الحق ونلجأ إلى الوهم، لأننا نجد أنفســـنا بعيدين عن العالم الحقيقي، وبعيدين كل البعد عن الحق.

ربما نفعل هذا من خلال محاولتنا أن نجعل الله شـــيئًا شبيهًا ببابا نويل، فلا يعجبنا الله المذكور في الكتاب المقدس، ونفضل هذا الإله الذي في عالم الخيال، وفي أثناء محاولتنا أن نريح أنفسنا، ندمر الحقائق المتعلقة بطبيعة الله، فنضع ما صنعناه بأنفسنا في المكانة التي يحتلها الله.

← وضع حد لرفعة الله

تفرض عبـــادة الأوثان حدودًا على التفوق والرفعة والســـمو الإلهي، فعندما بنى ســـليمان الهيكل شعر بعظمة هذا المبنى الرائع حتى تكرم الله بالدخـــول فيه، عندها فقد اهتمامه بالأمـــور المادية المحيطة، وعبد الرب

وقال: «هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ. فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ؟» (١ملوك ٨: ٢٧). فقد كانت لديه فكرة سليمة.

يعتقد عابد الأوثان أن هذا الشيء الذي صنعه، وكرس نفسه له، ويعيش لأجله، وسيعطي له نفسه، هذا هو الله، عندها ماذا يحدث؟ يصبح الله العظيم الذي ليس له مثيل مسحوق في موقف مهين للغاية.

نصنع كمؤمنين إلهًا وفقًا لحجمنا، وندمر بهذا عظمته. على سبيل المثال، أب يجمع أولاده ويأخذهم إلى الكنيسة، يجري الأطفال هنا وهناك، ويقفزون ويرقصون، ويتسلقون الدرجات وينزلون من عليها، وتأتي الأم مسرعة لتقول: «لا تفعلوا هذا! هذا هو بيت الله».

فينظر الأولاد حولهم: «أين الله؟ هل هو في الكابينة التي هناك؟ هل هو في هذا الصندوق؟»

هل هم فعلاً في بيت الله؟ لا، ولكن بعض الناس يريدون أن تكون الكنيسة هي بيت الله، لأنهم بهذا سيجعلونه موجودًا في الكنيسة، وسيزورونه مرة أسبوعيًا، مثل القريب المريض، ثم يديرون حياتهم بالطريقة التي يريدونها، فقد جعلوا الله في حجم يتماشى معهم.

← أن يكون الإنسان هو المتحكم

عبادة الأوثان تجعل الإنسان هو المتحكم في الله، ولكن هذا يحدث بثمن باهظ، فيصف إشعياء ما يحدث لشعبه بهذه الطريقة: «أتعبتموني بأوثانكم»، فقد ذكَّرت كلماته العبرانيين بما فعله البابليون وهم شعب وثني هزم شعب الله وأسروهم، وأينما ذهب البابليون، كانوا يحملون آلهتهم معهم. يقارن (إشعياء٤٦) بين عبادة الأوثان التي مارسها العبرانيون بهذا

عندما يقول: «مَحْمُولاَتُكُمْ مُحَمَّلَةٌ حِمْلاً لِلْمُعْيِي» ولكنه يمضي ليذكرهم «وَهِيَ نَفْسُهَا قَدْ مَضَتْ فِي السَّبْيِ».

أنت تحمل ما يعني لك الكثير، فلو أنني أعبد الأوثان سأحملها معي، وأتحكم في إلهي، وبما أنني صنعت هذا الإله صغيرًا، فهذا معناه أنه يمكنني أن أضعه حيثما أريد، ولن أجعله يتدخل في حياتي.

انظر إلى ما يترتب على ذلك في حياتي؛ بما أن الإنسان يتحكم في الله، فهذا معناه أنه هو الإله، وبما أنني الإله، فعندها ليساعدنا الله، إذ أنني سأعبد ما صنعته بيدي، وما يعلّي من شأني، سأعبد خالقي أي نفسي، وسأكون متضايق جدًا لو أن الآخرين لم يأتوا إلى الكنيسة ويعبدوني، «الكنيسة الأولى لستيوارت بريسكو». ففي كل يوم سأدعو الآخرين لعبادة الأوثان، وسأتضايق عندما لا يشاركونني رؤيتي عن نفسي، فلو أن الإنسان هو البداية والنهاية، فنحن جميعًا -أي المخلوقات- أتعس شيء.

← تشكيل الله بطريقة مألوفة

عبادة الأصنام تشكّل الله وفقًا للأسلوب السائد والشائع لتجعله يتناسب مع العالم من حولنا، انظر ما حدث مع بني إسرائيل، ففيما كانت كل الأمم التي من حولهم تؤمن بعدة آلهة وقف بنو إسرائيل لأنهم آمنوا بإله واحد أعلن لهم عن نفسه.

عندما دخل في عهد معهم، حذرهم من محاولة التوفيق ما بين المعتقدات، ولكنهم لم يستمعوا، في النهاية أصبحوا في حيرة شديدة وأطلقوا على يهوه «بعل»، وعندها كانوا قد فقدوا رؤيتهم لعلاقة العهد الفريدة معه، وأخيرًا تدهورت حالتهم للغاية لدرجة أنهم ألقوا بأولادهم في النيران المشتعلة للإله «ملوك»، فقد صنع بنو إسرائيل الله بالطريقة التي تتماشى مع الأسلوب السائد في ذلك العصر.

عندما نفعل هذا في حياتنا، ندمر الشيء المميَّز والفريد الذي فينا بصفتنا شعب الله، كيف يمكن أن نكون مميزين عمَّن هم ضد المسيح، وضد الله في المجتمع الذي يحيط بنا؟ دائمًا ما تواجه الكنيسة المسيحية الصراع الخاص بالتمسك بالإعلان الأبدي، ومحاولة توصيله في ذات الوقت لعالم اليوم، ربما يبقى الآخرون أمناء ويفقدون الهيبة، ولكن كل ما علينا هو أن نسأل: «كيف يمكنني أن أكون أمينًا لكلمة الله، ولي علاقة بالمجتمع الذي لا يعرفه، أو حتى لا يريد أن يعرفه؟

يواجه كل منا هذا الصراع لدرجة أنه يتمسك بالثقافة التي تفقد رؤية الله، إن استمررنا في فعل هذا فسينتهي بنا الأمر ونحن لا نعرف الكتاب المقدس.

← الابتعاد عن صورة الله

أخيرًا، عبادة الأصنام بعيدة عن صورة الله المختارة، فلو أننا أعدنا تشكيل الله على صورتنا، فإننا بهذا ننسى أن الله هو الذي خلق الإنسان على صورته، وأن هذه الصورة تشوهت، وأنه أرسل المسيح، وهو تعبير عن صورة شخصه، فلو أنني صنعت صورتي الخاصة، والصورة التي تعبر عن فهمي لشخصه، فإني بهذا أتجاهل المسيح، ولن أفهم المكانة الفريدة التي أعطاها الله للإنسان، وستقلل عبادتي للأصنام من فهمي للإنسان وستجعل خبرتي وتقديري للمسيح يتدهور.

فكل عبادة أوثان تحاول أن تحط من شأن الله وتجعله يتناسب مع أسلوبنا في فعل الأشياء وتجعله نموذجًا مريحًا لا يؤذي أفكارنا أو يتحدى أسلوب تفكيرنا، تنتهي بأن ننكر قوة الله وتحرف صورته، وتتركنا في حياة فارغة ومثيرة للشفقة، وبهذا لا نفيد الله ولا نفيد أنفسنا.

عبادة الأوثان أمر خطير، ولا يمكن أن يتجاهله الله.

الوصية الثالثة



استخدام الله لتحقيق أغراضنا

يعـــرف معظمنا نص الوصية الثالثة فـــي ترجمة King James: «لا تنطق باســـم الرب إلهك باطلاً...» ولكننا كثيرًا ما اســـتخدمنا اسم الرب باطلاً، ما معنى هذا؟

إن ســـألنا المترددين على الكنيســـة عن معنى هـــذه الوصية، فربما ســـيخبروننا أن هذا له علاقة بالكلمات السيئة والكلمات التي تحمل لعنة، وكلمات القســـم والتجديف. عندما نتحدث عن النطق باســـم الرب باطلاً يشـــعر معظمنا بالارتياح، لأننا نعلم جيدًا أننا لا نفعل أيًا من هذه الأمور، أو على الأقل لا نفعلها كثيرًا.

لكن عندما نقصر مســـألة النطق باســـم الرب باطلاً على هذه الأمور فحســـب، فإننا بهذا نفقد شيئًا مهمًا، ذلك لأن الوصية تتحدث عما هو أكثر بكثير من القسم والتجديف والكلمات السيئة.

ماذا في الاسم؟

ماذا في الاسم؟ أود الإجابة عن هذا السؤال مع الإشارة «لاسم الرب»، وهـــو ما تحذرنا الوصية من أن ننطق به باطلاً. ما معنى الاســـم، وكيف نسيء استخدامه؟

← الصيت

بصفة عامة، يمكننا أن نقول إن الاســـم يتحدث عن ســـمعة الشـــخص الذي يحمله، نرى في الكتاب المقدس أمثلة متنوعة لأسماء أفراد والسمعة المرتبطة بهذه الأسماء، يذكر (تكوين١١) قصة برج بابل التي تخبرنا بأن كثيرين اجتمعوا معًا في مدينة كبيرة، لكي يصنعوا اســـمًا لأنفســـهم، وقد

خططوا لبناء برج يصل إلى السماء، وأرادوا أن يكون مظهر هذا البرج رائعًا وذلك لمنفعتهم، وهكذا فإنهم قالوا: «نحن لسنا بحاجة إلى الله، فيمكننا تولي الأمر بأنفسنا، وسنصنع لأنفسنا سمعة بغض النظر عن الله».

هل من الخطأ أن تصنع لنفسك اسمًا؟ ألم يقل كاتب سفر الأمثال إن الصيت أفضل من الغنى العظيم؟ ربما تتساءل: «أين يذكر الكتاب المقدس أنه لا يمكنك أن تصنع اسمًا لنفسك؟» في هذه الآية يعلمنا كاتب الأمثال أن السمعة الجيدة لها قيمة أكبر بكثير من النقود على المدى الطويل، فكثيرون قد ربحوا الكثير من المال وأفسدوا سمعتهم، وآخرون لديهم سمعة جيدة للغاية، ولكن هذا لم يُترجَم أبدًا إلى أموال. فتقول الآية: «إنه لو كان عليك أن تختار، فاختر دائمًا الاسم الجيد، والسمعة الجيدة». لم يشجع الله أي شخص أن يكون صالحًا لمنفعته الشخصية، ولكن الله كان واضحًا عندما أمر الإنسان ألا يقدم نقودًا لكي يحصل على الكرامة.

تخبرنا (فيلبي ٢) أن الله أعطى الرب يسوع اسمًا فوق كل اسم، وأنه ستجثو كل ركبة لاسم يسوع وسيعترف كل لسان بأنه هو الرب، وهكذا يتحدث الكتاب المقدس عن سمعة الرب وصيته.

يدرك الناس هذا المبدأ المتعلق بالسمعة بكل وضوح من الكتاب المقدس، فعندما يختارون أسماء أولادهم، فإنهم يختارونها بمنتهى الحرص، ففي بعض الأحيان يطلقون اسمًا على طفل ليعكس رغباتهم تجاه هذا الطفل، وفي أوقات أخرى يطلقون عليه اسمًا ذا علاقة بظروف مولده، وفي كل الأحوال يبحثون جيدًا في معنى الاسم الذي سيحمله الصبي.

من هذا المنطلق، كان لاسمي دلالة خاصة؛ فقبل ولادتي، التقط أبي كتابًا يحمل عنوان «In the Heart of Savagedom»، وهي قصة

امرأتين عازبتين يعملان في إرسالية في الكنغو البلقانية، وقد اجتازتا كل أنواع الصعاب وكل ما يشيب له الولدان. كان كتابًا رائعًا، واستفاد أبي من هاتين المرأتين اللتين تمكنتا أن يربحا الكنغو البلقانية للمسيح بمفردهما.

قال لأمي، التي لم تكن مهتمة إطلاقاً بقراءة أي كتاب بل بالتخلص مني: «إن كان هذا الطفل صبي، فسنطلق عليه اسم ستيورات»، لأن إحدى المرسلتين كان اسمها «إيفا ستيوارت وات»، وتطلع أبي أن أتصف بصفات واحدة من هاتين المرسلتين، وحفظت هذا الأمر في ذهني.

بعد عدة سنوات وعظت في بلفاست بأيرلندا الشمالية، وفي نهاية الخدمة وقفت في الكنيسة وسلمت على الجميع في أثناء خروجهم من الكنيسة، وفي نهاية الطابور، أتت سيدة عجوز ضئيلة الحجم، تحمل شمسية، وكلمتني كثيرًا، وكانت تضربني بخفة بشمسيتها وتقول: «لم يعد راعينا قادرًا... تعال وكن راعينا».

فقلت: «حسنًا، لا أعتقد أن هذا سيروق الراعي، لأن هذه هي أول مرة آتي فيها إلى هذه الكنيسة، ولا يمكنني أن أطلب أن أكون راعيًا لها» لا يمكن أن يتم الأمر بهذه الطريقة.

فقالت لي: «لم يعد الراعي يصلح»، وأضافت: «إنهم لا يحبونني في هذه الكنيسة أيضًا، هم لا يحبونني وحسب».

قلت: «أكيد؟»

فقالت مؤكدة: «لا، إنهم لا يحبونني، ولا تقل لي إنهم يحبونني، عندما أخبرك أنهم لا يحبونني».

«حسنًا، لماذا لا يحبونكِ؟»

فأجابت: «بسبب العاهرات اللواتي آتي بهن».

«أنتِ تأتين بعاهرات؟»

«نعم، إنهن فاتنات، عاهرات رائعات، آتي بهن للكنيسة، فهن فتيات

جميلات، ولديهن قصص مرعبة، وهن بحاجة إلى الرب يسوع، ولكن عندما آتي بهن إلى الكنيسة، يترك كل هؤلاء الناس الكنيسة، فهم لا يحبون الجلوس إلى جانبهن، وأنا أحب هؤلاء العاهرات».

استمتعت بكلام تلك العجوز الشجاعة الصغيرة الحجم، التي قالت لي: «أعتقد أنك ستحبهن، أيضًا، لو أنك أتيت وأصبحت راعينا، ستكون على ما يرام مع هؤلاء العاهرات». تحدثنا كثيرًا ووصلنا إلى نهاية الحديث تقريبًا بعدما فرغت الكنيسة من روادها بنصف ساعة، وفيما أرحل سألتها عن اسمها، فأجابت: «أنا أخت إيفا ستيوارت وات». شعرت بالسعادة البالغة لأنني قابلتها، وأخبرتها بقصتي، وبعدها استغرق مني الأمر حوالي نصف ساعة لكي أقنعها أني لم آت إلى هنا لكي أصبح راعيًا.

ماذا في الاسم؟ الصيت، في عائلتي، حظيت إيفا ستيوارت وات بصيت، هذا بسبب حماسها الإرسالي الذي لم تطفئه الظروف، فقد قال اسمها شيئًا عما يمكنك أن تتوقعه منها.

← **الطباع**

يمكن أن يكون للاسم دلالة نبوية فيما يتعلق بشخصية الطفل، فقد عرف اليهود هذا. «تسمينه يسوع». لماذا؟ هل لأن هناك كثير من الأطفال اسمهم يسوع؟ لا، «تدعون اسمه يسوع لا لأنه اسم شائع في تلك الأيام، ولا لأنه مأخوذ من اسم ‹Joshua› يشوع، ولكن لأن معناه ‹مُخلِّص›». فشخصية ابن الله قد قامت على هذا الاسم.

← **الشخصية**

ربما يتحدث الاسم أيضًا عن الشخصية؛ ففي بعض الأحيان تتغير الشخصيات كما نرى من قصة يعقوب، فقد صارع يعقوب مع الله طوال

الليل- وهو أمر سخيف أن تفعله- وفي النهاية ترك الله يفعل ما يريده، أعطاه الله مساحة كبيرة ليصارع فيها، ولكن في النهاية قال: «أحاول الوصول لشخص ما يكون أكثر تجاوبًا معي»، لهذا ضرب حق فخذ يعقوب.

لو أنك رياضي، فستعرف أنه بمجرد أن ينخلع الفخذ من المفصل، تفقد الاهتمام بالمصارعة، لهذا استلقى يعقوب وقال: «حسنًا، كنت أصارعك، الآن سأتكل عليك»، فيجيب الله: «حسنًا هذا جيد، فاسمك يعقوب ولكني سأدعوك إسرائيل»، تنبأ الرب بالتغيير الذي سيحدث لهذا الرجل، فيعقوب يعني «شخصية مخادعة ومتملقة» أما إسرائيل فمعناه: «أمير مع الله». ماذا في الاسم؟ الاسم يصف حالتك.

← السلطان

يحمل الاسم شعورًا بالسلطان، ففي البداية خلق الله العالم، كيف فعل هذا؟ في البدء قال: «ليكن هناك نور»، وبمجرد أن أطلق اسم الشيء، وُجِد، فقد خلق كل شيء من العدم، حتى الأسماء، ولكن الأسماء تحمل مدلولاً خاصًا.

خلق الله آدم وأخبره: «حسنًا يا آدم، الآن هناك الكثير من الحيوانات حولك هنا، وأنها لمسؤوليتك أن تطلق عليها أسماء». وهكذا؛ فإن الله يقول: «لديَّ سلطان على كل الخليقة، وسأمنح الكثير منه للإنسان، وسيُظهِر الإنسان ذلك السلطان في إطلاقه أسماء على تلك الأشياء».

اسم الله

كيف يمكن للسمعة، والشخصية والسلطة أن يكون لها علاقة باسم الرب؟ هل تتذكر أنه في العهد القديم أعلن الله عن نفسه باسمه، وذلك في تناقض بيِّن مع الآلهة المزيفة المنتشرة. فيطلق الإنسان أسماء على تلك

الآلهة المزيفة بدلاً من أن تخبر الآلهة الإنسان بأسمائها. وعندما يعطي الإنسان للإله اسمًا، فهو يمنحه صفاته، وشخصيته وسمعته. وكل هذا مصدره إبداع الإنسان، وهكذا يفرض الإنسان رغباته على آلهته.

← الله معروف

لكن عندما كشف الله عن اسمه، أخذ بزمام المبادرة قائلاً: «أيها الإنسان، لا يمكنك أن تجعلني بالطريقة التي تريدني أن أكونها، فأنا هو، وبما أني أنا هو، فسأُظهِر لك من أنا»، فقد اختار الله أن يعرّفنا بطبيعته الحقيقية.

عندما يقدم الله نفسه لإبراهيم أو موسى أو أي شخص آخر، يقول: «أنا إله معروف، وأود أن أقدم نفسي لك».

الأمريكيون بارعون في تقديم أنفسهم. عندما زرت أمريكا لأول مرة منذ أكثر من عشرين عام، أتذكر أني ذهبت إلى الجنوب، وفي أول مرة أعظ فيها، أتاني رجل كبير ضخم وقال: «أهلاً، أنا بيل»، في البداية لم أفهم ما قاله، فأوضح لي: «مرحبًا: اسمي بيل»، ثم صافحني، وأصبح قريب جدًا مني، أمسك بيل بيدي، ووضع ذراعه حولي، وفي نهاية حديثنا، احتضنني. على الرغم من أن البريطانيين على درجة عالية من اللباقة إلا أن أحدًا لم يفعل معي هذا من قبل، وربما لم يفعله أحد مع أبي. لقد دهشت من ذلك الشخص الذي أتى وقدم لي نفسه، لأنه فتح نفسه لي سريعًا، ومن هنا عرفت الكثير عنه.

بمجرد أن أقدم نفسي لشخص ما، أعلن عن هويتي قائلاً: «أهلاً، يا رفاق، أنا شخص قابل للمعرفة، وهذا ما يفعله الله أيضًا، فعندما يطلق اسمًا على نفسه، يدعونا لكي نعرفه بطريقة خاصة، تذكر عندما كشف عن

نفســه لرؤساء الكهنة، يقول فعلاً: «هذا هو أنا، ادرس اسمي، وسأعطيك سمعتي، وشخصيتي وجزء من سلطاني، مما سيمنحك فرصة للدخول في علاقة حميمة مع الله الحي».

يقول دانيال إن من يعرفون الله سـيكونون أقوياء وسـيعملون أعمالاً عظيمة، لماذا؟ لأن لديهم علاقة حميمة مع الله.

تذكر أن داود الصغير كان حريصًا على الذهاب للسـؤال عن سلامة إخوتـه لأنهم ذهبـوا للحرب وكان عليه أن يبقى فـي المنزل؟ «خذ هذه الحلوى لإخوتك الكبار»، لهذا ذهب داود وهو كاره حقيبة الحلوى، ولكنه كان سـعيدًا لفكرة الذهاب نفسها، وعندما وصل إلى معسكر الجيش، وجد إخوته الكبار وكل الجنود الكبار خائفين في قاع الخندق، وعلى سفح التل يقف عملاق كبير يقول: «هيا، ليحاربني أحد الأبطال، وإن كسـبت، فإن جيشي هو الذي كسب، وإن كسبتموني، فقد كسب جيشكم».

يا لها من طريقـة ماهرة لحل الخلافات الدولية، فالفلسـطينيون فقط هـم من يريدون فعل الأمر بهذه الطريقـة، لأن لديهم جليات. ولم يتعجل الإسرائيليون الإجابة عن هذا التحدي، وسأل داود المراهق إخوته: «لماذا لا تفعلوا هذا؟»

فأجابوا: «اهتم بشؤونك».

«لماذا لا تفعلوا هذا؟» لم يكن هناك من يهتم.

سـأل داود بكل إصـرار، لدرجة أن كلمته وصلت للملك شـاول في النهاية، وقف شاول ورأسه وكتفيه أعلى من أي شخص آخر، هل يمكنك أن تخمـن من الذي يريد الخروج لجليات؟، قال شـاول: «محال». لهذا طلب داود الصغير إذنًا من الملك شـاول لكي يسمح له بالخروج لمحاربة جليات.

لا يمكنني أن أصدق أن شاول سمح له بالذهاب، ولكنه فعل ما يفعله الكبار عندما يحرجهم المراهقون. حاول أن يجعل داود يتسلح بسلاحه، ويحبسه في هذه الدروع، ويضع على رأسه الخوذة، ومن خارج كل هذا صرخ بصوته قائلاً: «أخرجوني من هنا».

عندما أخرجوا داود من كل هذه الأسلحة والدروع والخوذة، قال: «لا أحتاج كل هذه الأشياء». وخرج إلى النهر وحصل على خمس حصى ناعمة، وشد على الحبال الرفيعة، وثنى ساعده وكوعه وذراعه، وثبت نظره على جليات، ووقف ورمحه يضيء في آشعة الشمس، وسأل جليات داود: «هل أنا كلب؟ هل أنا كلب لأنك خرجت إليَّ بهذه الطريقة؟»

أجاب داود: «لا، لست كلبًا، ولكنك عملاق كبير للغاية، وقد خرجت لكي أفوز عليك».

فصاح جليات بصوت عظيم: «هل أتيت بسيف ورمح؟»

فأجاب داود بهدوء: «لا بل أتيت إليك باسم الرب»، ماذا يقصد داود: «يمكنك أن تحتفظ بسيوفك ورماحك، فأنا آتي إليك بسبب معرفتي الحميمة بالله الحي»، عرف داود قوة الله، واتكل على قوته، ومبادرته وحمايته.

← الله يخلصنا

عندما نعرف الله وحمايته، ونحيا في علاقة حميمة معه، ونأتي له كما هو، نختبر خلاصه. بالتأكيد اختبر داود كل هذا في حربه مع جليات، يقول الرسول بولس في رسالته لكورنثوس إننا خلصنا بالإيمان باسمه، هل هذا معناه أنك تستخدم اسمه مثل التعويذة «يسوع، يسوع، يسوع» هل هو سحر؟ لا، ولكنه يعني أنه في إعلان اسم الله، وعندما نؤمن بطبيعته

وصفاتـــه فعلاً، لا كمـــا نريده أن يكون، تنطلق قـــوة خلاصه في حياتنا، وعندما يحدث هذا، يكون لديك فرصة أن تتحد معه من خلال اسمه.

سافر شاول الطرسوسي، كل الطريق إلى دمشق عندما لمع فجأة ضوء وضربه، وفي هذا الضوء، رأى المســيح القائم، وفجأة أدرك أنه المسيح الحقيقي، فسقط على وجهه قائلاً: «يا رب، ماذا تريدني أن أفعل؟» ودخل الرجل الأعمى إلى دمشق، وانتظر لأن الرب يريد أن يرسل له شخصًا ما ليخدمه ويعرفه بالمسيح، ولم يشعر أحد بالحماس الشديد تجاه خدمة شاول الطرسوســي، لماذا؟ لأنه معنى أن تخدمه أنك ستوقع على وثيقة وفاتك، فهو شخص انتحاري.

وجد الله رجلاً صغيرًا اسمه حنانيا: «ماذا تفعل يا حنانيا؟»

«أحزم حقائبي يا رب».

«أين تذهب؟»

«لا أعرف، أريد فقط الخروج من هذا المكان».

«لماذا يا حنانيا؟»

«لأن شـــاول الطرسوســـي قادم، يا رب، وهو رجل خطير جدًا، ولا يحب من يتبعون الطريق، ولا يحب هؤلاء الذين يحملون اســمك يا رب، فهو يقتلهم واحدًا تلو الآخر، وربما أكون أنا التالي».

«حسنًا، قبلما تتركني يا حنانيا، أريدك أن تفعل شيئًا».

«ما هو يا رب؟»

«أريدك أن تشهد»

«هذا لن يستغرق وقتًا طويلاً، أليس كذلك؟»

«لا، لن يستغرق وقتًا على الإطلاق»

«لمن أذهب؟»

«لشاول الطرسوسي»

ذهب حنانيا، ودخل الحجرة بكل خوف، ولحســن حظه رأى شـــاول

أعمـــى، وقال له الرب: «ضع يدك عليه يا حنانيا، لا تضعها حول عنقه، بل على رأسه».

وضع حنانيا يده على رأس شـــاول وبدأ حديثه بكلمتين رانعتين: «أيها الأخ شاول، لقد أتيت لأخبرك أن الله اختارك لتحمل اسمه، وأنا أيضًا هنا لكي أخبرك بالأمور التي ستواجهها لأجل اسمه».

مـــا المقصود؟ أعلن الله اســـمه، وأظهر أنه شـــخص قابل للمعرفة، ويدعونا للدخول في علاقة حميمة معه، ويعدنا بالقوة والحماية في معرفة اســـمه، ويعطينا امتياز أن نُدعَى باسمه، وفيما نفعل هذا نتحد معه حتى نحمـــل امتياز أن نعرّف الآخرين بالله، ونحمل اســـمه ولكن هذا ليس بلا ثمن.

«ديف رامســـدال» طيار مُرسَـــل لأمريكا الجنوبية، أخذنا معًا طائرة إنقاذ في أحد منابع المياه في نهر الأمازون، وعندما أقلعنا كنت أتحدث مع ديف، ونطير فوق الأدغال، وأخبرني أنه ربما نزور واحدًا ممن يعيشون في القبائل البدائية بإنديانا ممن خدمهم، وقال إنه يطير بطريقة جيدة للغاية وإن لديـــه المهارات والقدرة لكي يطيـــر فوق منطقة المطارات في مدينة نيويورك المزدحمة.

نظـــرت تحتي للمنظـــر الطبيعي والذي لا يبدو بـــأي حال مثل مدينة نيويورك، حتمًا هبطنا في أحد الأدغال، وفيما نزور هؤلاء الذين يعيشون في إنديانا، غطينا أرجلنا بالكبريت، لكي لا يأكلنا الناموس أحياء.

وعندما رجعنا بالطائرة، ســـألت ديف عن السبب، فقال إنه امتياز أن نحمل اســـم يسوع للناس الذين لم يســـمعوا به، وعلى الرغم من كل هذه الصعاب، فهو يتمسك بهذا الامتياز الخاص بحمل اسم يسوع.

كيف نحمل اسمه باطلاً؟

بما أننا نعي كل هذه الأمور المتعلقة باسم الله، فكيف لنا أن نستخدمه في بعض الأحيان باطلاً؟ كيف لنا أن نسيء استخدامه؟ تذكر أن كلمة «باطل» تتكرر كثيرًا في العهد القديم، وتعني «أن تجعل الشيء خاليًا من محتواه وأن تجعل الأمر غير ذي صلة»، كيف يمكنني أن أحمل اسم الرب وأفرغه من محتواه؟ متى جعلت هذا الاسم غير ذي صلة؟ ماذا فعلت لكي آخذ اسم الرب، وأحوله إلى أشكال لم يرغب أبدًا الله أن يكونها؟ هذا ما تتحدث عنه هذه الوصية.

حسنًا، قام الناس في العهد القديم بالكثير في مجال النطق باسم الله باطلاً، لأنهم يحلفون، واليوم، قبلما تقترض أموال من أي شخص، تجده يتحقق من قدرتك على السداد، فهو يريد دليلاً دامغًا أنك ستسدد له تلك الأموال التي اقترضتها. لم يكن لدى بني إسرائيل أي ائتمان، فكيف يمكن للإنسان أن يعرف ما إذا كنت ستسدد له قرضه؟ تقول: «يا رب من فضلك افعل لي هذا وذاك، وأيضًا... لو... إن لم...»، ومن هنا انتشر القَسَم باسم الرب، فلديهم كل أنواع التعبيرات لكي يُظهِروا اعتمادهم على الله حتى يتحكم في نتائج الوعود.

فيقصدون أن يقولوا: «إني أعد بهذا عالمًا أن الرب الله يعرف كل شيء، بما في ذلك هذا الوعد، وأنا أقطع هذا الحلف عالمًا أن الله قاضٍ، وهو يعلم أني أقطع هذا الوعد، وأنه سيدينني إن لم أحفظه». ولهذا النوع من الحلف أهمية عميقة.

ماذا حدث؟ حسنًا، تعلم أن الناس يتغيرون، فبعد برهة يدعون باسم الرب عندما لا يقصدون، وينطقون بالقَسَم، ولكنها مجرد كلمات فارغة، وعلى الرغم من أنهم نطقوا باسمه، إلا أنهم لم يفكروا في أن الله يراقب

الأمور، فعندما استخدموا اســـمه في حلفانهم، لم يهتموا بمسؤوليتهم نحو الله، فقد أفرغوا اسمه من العواقب التي قد تترتب على استخدامه.

اتحد شـــعب الله به في عدة طرق، ولكنهم لم يعيشـــوا كما ينبغي أن يعيش شعبه، يقول الله: «لن أسمح لأي شخص مذنب بتفريغ اسمي من معناه، فيدعو باســـمي ولا يُظهِر في أعماق قلبه اهتمامًا بي». تتصـــرف كما لو أنك تهتم بإشـــراف الله ومراعاته للأمر، في حين أنك فعليًا تهين الله، وعندما تفعل هذا تقول في قلبك: «كلام فارغ يا الله» وفي هذه الحالة لن يعتبرك الله بلا لوم.

← نصنع اسمًا لأنفسنا

من بين الأســـاليب التي يمكننا أن نستخدم فيها اسم الرب باطلاً، عندما نحاول أن نصنع اســـمًا لأنفسنا، فربما نشارك في أنشطة «باسم الرب»، ومـــع ذلك قد يكون لـــك دوافع مختلطة. وبدلاً مـــن أن تفعل هذا بمنتهى الأمانة لله، فإنك تفعله لأجل نفسك. وعلى الرغم من أننا نتحدث عن اسمه، فإننا نفعل هذا لأجل اسمنا.

ربما رأيت هذا في أناس ينادون بأنهم يفعلون هذا وذاك باســـم الرب، ولكن كل شيء يفقد معناه عندما لا يحصلون على المجد. فإن لم يربت أحد على ظهورهم، فإنهم لا يشعرون بالراحة، وإن لم يكرمهم الآخرون أو إن لـــم يحصلوا على فرصتهم، فإنهم يتضايقون جدًا، لماذا؟ لأنهم لا يهتمون باسم الرب، بل بأنفسهم.

← الصلاة لأجل الفوائد التي نحصل عليها

على الرغم من أنه ربما لا نكون قد حلفنا منذ ســـنوات طويلة، إلا أن كثيرين منا ما زالوا يســـتخدمون اسم الرب باطلاً في الصلاة باسمه لأجل منفعتهم الخاصة وحســـب، قال أحدهم إنه من بين الأســـباب التي تجعلنا

لا نحصـــل على صلوات نافعة هو أننا نتضـــرع لأجل طلبة واحدة فقط، وعندما نجتمع معًا في الكنائس، فإننا نذيِّل نهاية صلواتنا ب «اســـم الرب يســـوع» أو «لأجل يسوع، آمين»، فلو أنها كلها طلبات فماذا نقول فعلاً، إننـــا نقـــول لله: «أهلاً يا الله، أريد هذا، وأنا أريده لأجل نفســـي». ثم في النهاية نحاول أن نغير الأمور ونقول: «ولكن هذا فعلاً لأجلك يا يسوع»، وهو يعلم جيدًا أن الأمر ليس هكذا على الإطلاق.

لا يمكن أن ينسى الله هذا، ولا يمكنه أن يتجاهله، ولا يمكنه أن يتغاضى عـــن الأمر، فعندما نطلـــب منه ما ليس لأجله علـــى الإطلاق، ونتجاهل طبيعته فإننا بهذا نفرغ اســـمه من معناه، وبـــدلاً من أن نضع كل الأمور في يده، نحاول أن نســـتغل الله لكي يفعل الأمور بطريقتنا، فقد اســـتخدمنا اسمه باطلاً، وعلى الرغم من ذلك، ندَّعي أننا نشارك في واحدة من أقوى الموارد التي منحنا إياها وهي الصلاة.

← **لا نكرس أنفسنا لسلطانه**

عندما ندعو الله دون أن نكرس أنفسنا لسلطانه، فإننا بهذا نسيء استخدام اســـمه. يُمنح أعضاء الكونجرس امتياز إرسال أوراقهم الرسمية بالبريد مجانًـــا، طالما أن الظرف يعلن بوضوح أنه يحمل مواد متعلقة بشـــؤون الكونجرس، يفتقر البعض إلى الضمير، حيث يرون أن هذه طريقة لتوفير بعض المال، ويقومون بطباعة أظرف شبيهة وذلك لاستخدامهم الشخصي، وهكذا يرتكبون جريمة، لأنهم أساءوا استخدام اسم الكونجرس.

قد نفكر في أنفســـنا قائلين إن خدام الله بإمكانهم أن يدعوا أمورًا خاطئة مستغلين اسمه، على الرغم من أنهم فعليًا يرفضون سلطانه، ومن الواضح أن هناك الكثير الذي ينطوي عليه «اســـتخدام اسم الرب باطلاً» أكثر من مجرد اللعنة والحلفان!

الوصية الرابعة

اذكر يوم السبت
لتقدسه. ستة أيام
تعمل وتصنع جميع
عملك. وأما اليوم
السابع ففيه سبت
للرب إلهك. لا تصنع
عملاً ما أنت وابنك
وابنتك وعبدك وأمتك
وبهيمتك ونزيلك

الذي داخل أبوابك. لأن
في ستة أيام صنع
الرب السماء والأرض
والبحر وكل ما فيها
واستراح في اليوم
السابع. لذلك بارك
الرب يوم السبت
وقدسه.

(خر ٢٠: ٨ - ١١)

هذا هو اليوم

قال الرب هذه الوصية لموسى، الذي نقلها بدوره لشعب العهد، أي بني إسرائيل، على جبل سيناء، وقد أمر الرب شعب إسرائيل أن يتبعوا ناموسه، فيما يتعلق بالعمل وأوقات الراحة، كعلامة على محبتهم له، فقال لهم: «ستة أيام تعمل، أما اليوم السابع (وقت الراحة) ففيه سبت للرب».

ندرك جميعًا الآن أن أوقات العمل، وأوقات الراحة، ما هي إلا أوقات وأزمنة أساسية في حياتنا، ولابد أن نلاحظ أن الله يستخدم كلمات محددة بشأن هذا الموضوع، ولكن لا يدرك كثيرون أنه بإمكاننا أن نُظهِر علاقتنا بالرب، من خلال الطريقة التي نعمل بها، والطريقة التي نستخدم بها وقت الراحة، لأن مثل تلك الأشياء تعكس مشاعرنا نحو الرب.

يرى الناس العمل على أنه تعب وكد، ففي كل صباح، يجرون أنفسهم من الفراش، ويذهبون للعمل، ويكرهون كل دقيقة يقضونها في العمل، لدرجة أنه لا يمكنهم الانتظار حتى وقت خروجهم من عملهم، والاستمتاع بعطلة نهاية الأسبوع، فهم ينتمون إلى المدرسة التي ترفع شعار: «شكرًا يا رب، لأن اليوم هو يوم الجمعة».

هل يؤيد الله هذا؟ لا! فعندما تبني معتقداتك اللاهوتية على السقوط، الذي جعل العمل أمر مجهد ومتعب بالنسبة للإنسان، فإنك ستتعامل مع العمل على أنه شر لا بد منه، ولكن إن بنيت معتقداتك اللاهوتية على لاهوت الخليقة، فليس لك الحق في مثل هذا الاتجاه على الإطلاق. ففي الخليقة، نرى الله يعمل، وبالتالي العمل أمر جيد وصائب ومناسب ولائق، فبعدما خلق الله الإنسان، أعطاه عملاً ليعمله على وجه الأرض، لهذا، فإن الطريقة التي نعمل بها تظهر اتجاهنا نحو الله، فعلينا أن نتجنب الفكرة التي

تقول: «شـــكرًا يا الله لأن هذا هو يوم الجمعة»، نتبع وصية بولس: «وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ. فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ» (انظر كولوسي ٣: ٢٣).

تتناول الوصية الرابعة من الوصايا العشـــر وقـــت الراحة لا العمل، فكيف لنا أن نرى السبت ونحفظه مقدسًا؟

اذكر السبت

يقول الله أولاً: «اُذْكُرْ يَوْمَ السَّـــبْتِ». ما معنى هذا بالنسبة لنا اليوم؟ من الواضـــح أننا لا نعمـــل في نفس الظروف التي عمل فيها بنو إســـرائيل، الذيـــن أعطاهم الله هذه الوصية، فقد هربوا لتوهم من مصر، وكانوا عبيدًا هاربين، وشـــعب رحال، وفيما هم يتنقلون في البريـــة، كان اليوم الجيد بالنســـبة لهم هو اليوم الذي ينجون فيـــه ويظلون على قيد الحياة، فلم يكن لديهم فكرة ما إذا كانوا سيتمكنون من دخول أرض الموعد.

قليلون هم الذين يفكرون اليوم في مســـألة النجاة، لأن أشياء كثيرة في ثقافتنا تســـاعدنا على أن نفعل أكثر بكثير مـــن مجرد أن نبقى أحياء، فما العلاقة بيـــن العمل الذي نقوم به اليوم، وقضـــاء وقت الراحة، بالوصية الرابعة؟ فكلما تتقـــدم التكنولوجيا، كلما يزيد وقت الراحة، لكي نفعل أمر من اثنين: إما أن نستخدمه بطريقة سليمة أو نسيء استخدامه.

← بداية السبت

لم يقدم الله هذه الفكرة على جبل سيناء، تذكَّر أن الوصايا العشر كانت قد قدَّمت مبادئ لبني إســـرائيل قبل ذلك الوقـــت؛ ففي أثناء ارتحالهم في البرية، لم يكن لديهم طعامًا، فأرسل لهم الله «المن».

«المـــن» كلمة جميلة، إذ أن معناها حرفيًا هو: «من هو؟»، فيســـقط

المن كل صباح ببساطة، ويخرج الناس من خيامهم ويقولون: «من هو؟» المن. يلفت هذا الاسم الانتباه، وعندما تعده الأم، وتضعه على المائدة، يفعل الأولاد ما يفعلون دائمًا، يعلنون تمردهم وضيقهم ويقولون: «من هو؟» تقول الأم: «كلوا (من هو) المن الخاص بكم؟ واستمتعوا به».

والآن يأتي المن كل صباح، ولكن بمجرد شروق الشمس نجده يذوب. قال موسى للشعب: «اجمعوا ما يكفيكم ليوم واحد». لأنهم إن جمعوا أكثر من حاجتهم ليوم واحد، فإنه يتلف، سيعرف الجميع أنهم طامعون. ولكن في اليوم السادس، عليهم أن يأخذوا ضعف الكمية التي يحتاجونها يوميًا، وقد رأى البعض هذا وأتوا إلى موسى واشتكوا، فقال موسى، «حسنًا، لقد قال لهم الرب هذا لأنه في اليوم السابع عليهم ألا يفعلوا أي شيء، فهو سبت للرب».

أكد الله على السبت على جبل سيناء وفي الوصية الرابعة، لهذا من المهم أن نلقي نظرة على الكيفية التي أكد بها الرب على هذه الفكرة عبر تاريخ إسرائيل، في (خروج ١٦)، يخبرهم الرب أنه عليهم ألا يخرجوا ليجمعوا المن، وفي (خروج ٣٤) عندما استقر الشعب وبدأ يزرع الأرض، يخبرهم الله بأنه في وقت الزراعة والفلاحة عليك ألاً تزرع أو تفلح في يوم السبت، وفي أثناء الحصاد، عليك ألاَّ تحصد محصولك في السبت.

أتذكر أنه كان لديَّ الكثير من الأصدقاء المزارعين، الذين يذهبون إلى كنائس الميثوديست، حيث كنت أذهب لأعظ هناك كثيرًا، وكانوا من بين الحضور في الكنيسة كل أيام الآحاد حتى في موسم الحصاد. الآن، في إنجلترا، نرى أن زمن الحصاد وقت حرج للغاية؛ لأنه في ذلك الوقت يكون الجو حارًا، وجافًا، وهو الجو المناسب للحصاد، لهذا، عندما يكون هناك يوم جاف وحار، سيلقي الجميع بكل المهام الأخرى للقيام بعملية الحصاد،

ويسرعون إلى الحقول، ليجمعوا أكبر قدر من المحصول، إلا أن الفلاحين الميثوديست القدماء يرفضون -بكل إصرار- جمع المحصول يوم الأحد.

كثيـرًا ما رأيتها تمطر في كل أيام الأسـبوع، ويكون الجو مشـرقًا يوم الأحد، لهـذا يخرج غير المؤمنين ليحصدوا المحصول، وهم يضحكون على المؤمنيـن الذين تركوا محاصيلهـم دون أن يحصدوها، عمل المؤمنون على أسـاس الإيمان، فهذا ما طلب الرب من بني إسرائيل أن يفعلوه، فعندما كانوا فـي البرية، لم يكن بإمكانهـم الخروج من تلك المنطقة التي يعيشـون فيها، وعندما بدأوا يزرعون أمرهم الله ألاَّ تكن هناك زراعة أو فلاحة يوم السبت.

الآن يبدو أن فكرة السـبت عظيمة بالنسبة للبشر؛ لأن لديهم يوم واحد فقط بين السـبعة الأيام عطلة، ولكنهم أخبروا زوجاتهم بأن يقمن بالعمل كالمعتاد، لهذا قال الرب: «آه هذا ليس صحيحًا، فلن يكون هناك نشاط في المنزل أيضًا»، وفي (خروج ٣٥) نجد تحذير وقيود فيما يتعلق بإشـعال النيران للتدفئة في يوم السبت، فلو أنك ذهبت إلى منزل يهودي أرثوذكسي اليوم، فلن تجده يشـعل النيران في السبت، وكثيرون منهم يتحايلون على ذلك، بأن يجعلوا شخصًا أميًّا يفعل هذا الأمر نيابة عنهم، ولكنهم ما زالوا يذعنون لتلك القاعدة.

ما المقصود؟ عندما منع الله الناس من إشـعال النيران للتدفئة، أرسى مبدأ أن من يعملون بالمنزل يجب أن يأخذوا يومًا للراحة أيضًا.

في (إرميا ١٧) كان الناس قد طوروا من أساليب معيشتهم واقتصادهم، حيـث ظهرت أعمال أخـرى يمكنهم القيام بها بخـلاف الزراعة، لهذا إن أعطيت راحة لهؤلاء الذين يهتمون بمشروعك، فمن الذين سيقف في المتجر ويقوم بعملية التجارة، حيث إنه لا يجوز أن يحملوا أحمالاً يوم السبت.

ببساطة يطبق الله القاعدة على مواقف مختلفة، فيقول: «ستة أيام تعمل، وفي اليوم السابع - دون أي استثناءات - لا تعمل». ويوسع الله هذه القاعدة ليشمل أيضًا الغرباء وغير اليهود الذين يعيشون بين اليهود فلا يعملوا ولا حتى الحيوانات. «كل سبع سنين تُعطَى الأرض راحة». وقال الله أيضًا: «وَتَعُدُّ لَكَ سَبْعَةَ سُبُوتِ سِنِينَ. سَبْعَ سِنِينَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَتَكُونُ لَكَ أَيَّامُ السَّبْعَةِ السُّبُوتِ السَّنَوِيَّةِ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ تُعَبِّرُ بُوقَ الْهُتَافِ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ تُعَبِّرُونَ الْبُوقَ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ. وَتُقَدِّسُونَ السَّنَةَ الْخَمْسِينَ، وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الأَرْضِ لِجَمِيعِ سُكَّانِهَا. تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلاً، وَتَرْجِعُونَ كُلٌّ إِلَى مُلْكِهِ، وَتَعُودُونَ كُلٌّ إِلَى عَشِيرَتِهِ»

حاولت دراسات كثيرة أن تكتشف كيف وصلنا إلى أن الأسبوع مكوَّن من سبعة أيام، وخرج كثيرون بعدة أفكار من ثقافات مختلفة، وبغض النظر عمَّا نشعر به حيال أن الأسبوع مدته سبعة أيام فإنه لم يقترح أي شعب آخر أن يكون هناك يوم واحد كل سبعة أيام خاليًا تمامًا من أي أنشطة، فيمكننا أن نُرجِع هذا لليهود فقط، الذين يُرجِعونه بدورهم إلى الله واهتمامه بالبشرية.

لماذا السبت؟

تصف الوصية الرابعة يوم السبت، على أنه موجود منذ الخليقة؛ فقد خلق الله كل شيء في ستة أيام، وفي اليوم السابع، استراح، وقد تأمل في كل ما صنعه، وفرح بعمل يديه.

ولكن الكتاب المقدس يعطينا ثلاثة أسباب أخرى إضافية بالنسبة للسبت لكي يرتاح الناس من جميع أنشطتهم الخاصة بالعمل.

← لأسباب إنسانية

لو أنك أخذت فكرة السبت كما هي مذكورة في (لاويين ٢٥)، فقد

يبــدو أن الله يقول إن اليــوم الواحد الذي يقضيه في الراحة في الســبعة أيام له أسبابه الإنســانية، فلا يمكنك أن تترك الكمان يعزف طوال الحفل الموسيقي؛ لأنك إن فعلت هذا ستنقطع أوتاره، ولا يمكنك أن تجعل الناس مســتمرين في العمل لمدة سبعة أيام في الأســبوع، ولا يمكنك أن تجعل الحيوانات تعمل ســبعة أيام في الأســبوع، ولا يمكنك أن تجعل أرضك تفلح ســنة تلو الأخرى، فلو أنك فعلت هذه الأشياء، فإنك ستفقدها جميعًا، وبالتالي، فقد وضع الله يومًا للراحة.

← **لكي تُظهِر ثقة في الله**

في (تثنية ٥)، حيث يكرر موســى الوصايا العشر، فيما يستعد الناس للدخول في أرض الموعد، ويقول إنه عليهم أن يتذكروا اليوم السابع؛ لأن الرب أخرجهم من أرض مصر.

فلــو أن هؤلاء الناس توقفوا عن العمل لمدة يوم واحد في الســبعة أيام، فإن كل من حولهم ســيقولون: «هل جن هؤلاء؟ هل هم مجانين؟ لــن ينجحوا أبــدًا، ولا يمكنهم البقاء على قيد الحيــاة والنجاة». اليوم يتحدث كثير من أصحاب المشــروعات بنفس الطريقة، فإذا كان لديك مجموعة من المحال التي تظل مفتوحة سبعة أيام في الأسبوع، وقرر مالك أحدها ألا يفتح، فســيقول الآخرون: «إنه مجنون، وهي مســألة وقت، حتــى يغلق محله ويتعرض للإفلاس» تمامًــا مثلما قالوا لبني إسرائيل.

لماذا طلب منهم الله أن يرتاحوا يومًا واحدًا في الأســبوع؟ لأنهم بهذا ســيُظهِرون ثقتهم واتكالهم على الرب. لماذا يجب أن يفعلوا هذا؟ لأنه قد أخرجهم من أرض مصر، فاليوم الواحد في الأســبوع أظهر كم يشعرون بالامتنان نحو الله الذي عبر بهم ونيابة عنهم مرات ومرات.

← كعلامة على العهد

أخيرًا يخبرنا (خروج ٣١) بأن السبت علامة على العهد، تذكَّر أنه عندما صنع الله العهد، فقد وضع الختان علامة على العهد، هذا التغيير الخارجي المرئي يعكس اختبارًا روحيًا داخليًا، يعرف معظم الناس هذا، ولكنهم لا يعلمون أن السبت أيضًا كان علامة على العهد.

قال الله: «أنا أحبك، وسأكون إلهك، اظهِر محبتك نحوي بأن تكون شعبي».
فسأله الشعب: «كيف يمكننا أن نُظهِر محبتنا لك؟»
قال الله: «بأن تحفظوا وصاياي»
فسألوا: «أية وصية؟»
فقال الله: «من بين هذه الوصايا، الوصية الخاصة بيوم الراحة في الأسبوع»
فأجابوا: «يا الله، لا يمكننا أن نفعل هذا، فلن ننجح»
فقال الله: «ثق بي، وأطعني، فعندما تطيعني ستُظهِر أنك تحبني فعلاً، وأنك فعلاً شعب العهد»

تدنيس السبت

ماذا يحدث عندما ننسى أو نسيء استخدام السبت؟ عندما نستعرض تاريخ إسرائيل، نجد ما يدعوه نحميا: «تدنيس السبت»، بدأ شعب إسرائيل يسيئون استخدام هذا اليوم، ويوضح الكتاب المقدس الأمر من خلال مثلين:

← نقص الاهتمام

أولاً، كان بإمكان الناس ببساطة أن يستخدموا السبت كيوم عمل عادي، كما كان الأمر في أيام نحميا، حيث كان شعب الله قد أُسر مرة أخرى، ثم أُطلق ووجد طريقه إلى أرض الموعد، وكان نحميا من بينهم، وعندما رجع مرة أخرى إلى بلده، رأى هذا القائد أن الشعب يدنس يوم السبت، فهم يتعاملون مع السبت كما لو كان أي يوم آخر.

أظهر هذا الاتجاه عدم اهتمام الشعب بالعبادة، وعلى الرغم من أن الله نحَّى هذا اليوم جانبًا، إلا أن اليهود قالوا: «إننا نفضل أن نقوم بأعمالنا، فنفضل أن نكسب مالاً، ونفضل أن نخرج ونعيش حياة عادية في هذا اليوم بدلاً من أن نستخدمه للأغراض التي خصص الله يوم السبت لأجلها».

وجد نحميا أن الشعب يعصى بوضوح أسلوب الحياة الذي وضعه الله، وعلى الرغم من أنه كان لديهم فرصة لكي يحفظوا الوصية، إلا أنهم تجاهلوها، عندما واجههم التحدي، وفضلوا أن يفعلوا الأمر بطريقتهم بدلاً من أن يطيعوا الله، وأظهروا سطحية علاقة العهد مع الرب.

← **حفظ السبت حرفيًا**

في الوقت الذي عاش فيه المسيح نرى تدنيس السبت بصورة مختلفة تمامًا، فقد أصبح الشعب يحفظ السبت حرفيًا لدرجة أن الأمر انتهى بهم وهم يدنسون السبت.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ يوجه كثيرون اهتمامًا حرفيًا بمسألة حفظ السبت مقدسًا، فيعرفون أنه يجب ألا يعملوا فيه، ويعرفون أنه بإمكانهم أن يُظهِروا أنهم لا يعملون بعدم حمل أثقال، ولكنهم بحاجة إلى تعريف العمل، وحمل الأثقال، قد يقول البعض محقين: «انظر، لا نريد أن نكسر السبت، نعرف أنه يجب ألا نفعل أي عمل، ولكننا لسنا متأكدين ما الذي يعتبر عملاً وما الذي يمكن أن نعتبره حملاً».

لهذا اجتمع المعلمون معاً، وتعاملوا مع هذه الأمور واحدة تلو الأخرى، فقد أرادت إحدى السيدات أن تعرف إن كان بإمكانها أن تضع طاقم أسنانها يوم السبت، لأنها اعتقدت أن هذا قد يكون حملاً، واعتبر المعلمون أيضًا ارتداء طاقم الأسنان حملاً، وأنه يجب عليها ألا ترتديه في يوم

السبت: «يجب ألا ترتدي طاقم الأسنان يوم السبت، ولا تصطكي على لثتك يوم السبت».

يطلق على كل تلك الأحكام «التلمود»، وقد جُمعت معًا، وقضى الناس حياتهم يتعلمونها ويعلمونها حتى يعرف الجميع ما يمكنهم أن يفعلوه وما لا يمكنهم أن يفعلوه في السبت، وقد كان هذا كله نابعًا من رغبة خالصة في إكرام الرب.

ماذا حدث؟ لقد أفسدوا كل القواعد، وقلق الناس بشأن إلى أي مدى يمكنهم استكمال رحلة بدأوها قبل يوم السبت، فوفقًا للتلمود لا يمكنهم أن يذهبوا أبعد من مسافة محددة، وربما يقول أحدهم: «لكن عليَّ أن أذهب لرؤية أمي، في يوم السبت»، لهذا يسافر قبل السبت، ويصل إلى النقطة التي من المفترض أن يصل لها يوم السبت في رحلته هذه، ويحاول أن يجد شجرة، ويضع طعامًا تحت الشجرة ويقول: «هذا هو منزلي»، ثم يمضي إلى منزله، في اليوم السابع من الأسبوع يسير ليصل إلى الشجرة ويأخذ الطعام ويأكل ويقول: «هذا هو منزلي، الآن يمكنني أن أقوم برحلة أخرى يوم السبت».

لو كانت لديه رحلة طويلة فعلاً، كان سيضع المزيد من الطعام تحت شجرة أخرى ويستمر في العمل بهذه الطريقة، ماذا حدث للقواعد والتشريعات التي وضعت لكي تساعد الناس على حفظ روح الناموس؟ لقد أصبحت غاية في حد ذاتها، وفقد الناس الذين أصبحوا مقيدين بالقواعد والتشريعات شعور المحبة الكامل والإكرام تجاه الرب، وعندما أتى المسيح، اعترض بوضوح على كل هذا، وكأنه يقول لهم: «أنتم تدنسون السبت».

← فقدان الهدف

في كلتا الحالتين فقد الشعب الهدف الذي أراده الله؛ فقد فقدوا الرؤية

مـــن خلال تجاهل أو إخفاء القواعـــد، والآن لا يمكنهم أن يلعبوا بالقواعد الحقيقية.

ســـاءت الأمور في مرحلة ما من تاريخ اليهــود لدرجة أنه في إحدى المناســبات، عندما هاجمهم أعداؤهم، تســاءلوا: «عندما نحمل السيوف وندافع عن أنفســنا فهل هذا معناه أننا نحمل أثقالاً؟» فوضعوا ســيوفهم، وذُبِح منهم ١٠٠٠ شــخص، كل هذا بسبب القواعد والنظم الصارمة، لم يقصد الله أبدًا أن تحدث تلك النهاية المضحكة لوصيته.

توضيح السبت

أوضح يسوع السبت باستخدام أمرين: أفعاله وكلماته.

كيف تصـــرف؟ أولاً يخبرنا الكتاب المقدس في (لوقا ٤: ١٦) أنه في يوم الســبت مضى إلى المجمع كعادته، بمعنى آخر كان يعبد بانتظام في يوم السبت، وقد أوفى بكل وضوح بهذا الجزء من العبادة.

ثانيًا شفى يســوع في يوم السبت؛ ففي ست مرات كان هناك اختلاف مع الســلطات حول ما إذا كان بإمكانه أن يشــفي يوم السبت، فقد قررت السلطات أن الشفاء عمل، وأنه يجب عليك ألاَّ تعمل في السبت، وبالتالي، فإن الشفاء يدنس السبت، وأجاب يسوع بأنه بذلك يتمم الناموس، فهو رب السبت، وقال إن السبت قد وجد للإنسان وليس الإنسان للسبت.

ما المقصود بهذا؟ عندما قال إنه لم يأتِ لينقض الناموس، ولكن ليتممه، كان يقصد أنه نفسه أتم كل ما أوصى به الناموس، ولهذا يقول: «اسمعوا: السبت لا يتحكم فيَّ، ولكني أنا من يتحكم في الســبت»، ثم قال: «بناءً على هذا، تذكَّروا أن الإنسان لم يُخلَق لأجل السبت، ولكن السبت هو الذي وُجِد لأجل الإنسان».

بمعنى آخر: «في السبت، يعتني الله بكل احتياجات الإنسان، ويعطيه فرصة للراحة والانتعاش والتأمل وامتياز العبادة والطاعة والاتكال عليه، لا تنحصر في هذا الأمر، ولا تغرق في القواعد والتشريعات، استمتع به كعطية رائعة من الله، فهكذا يقول رب السبت».

حفظ السبت

كيف نحفظ السبت؟ ماذا نفعل به؟ إن نظرنا في حياتنا، ربما سنرى أننا ببساطة نعمل على أساس ما نريد أن نفعله، أو نحفظه على أساس ما تصر التقاليد والنشأة على أن تجعلنا نفعله، وهذه صرخة للتفكير في القواعد بعمق ولكي نخرج بنتيجة أمام الرب بشأن ما يجب أن نفعله في يوم السبت.

← من السبت للأحد

شيء غريب حدث في تاريخ المسيحية، بطريقة ما أو بأخرى استبدلنا السبت بيوم الأحد، «يوم الابن الموقر»، كما أطلق عليه «قسطنطين»، عندما شرَّع أن أول يوم في الأسبوع هو يوم الرب.

كيف ننتقل من السبت إلى الأحد؟ ربما تعطينا الإجابة مفتاحًا بشأن الكيفية التي يجب أن نتعامل بها مع السبت، فالفترة التحولية من أن يكون يوم الراحة هو السبت إلى احتفال المؤمنين بالأحد، قد تم التعامل معها بطرق مختلفة في عدة أماكن من العالم.

عندما تقابل بولس مع التلاميذ في ترواس، ذكر أنهم يجتمعون معًا في اليوم الأول من الأسبوع، ويشتركون معًا في خدمة العبادة، وعندما كتب لأهل كورنثوس، في الأصحاح السادس من الرسالة الأولى قال إنه عندما اجتمعوا في اليوم الأول من الأسبوع، كانوا يأتون بتقدماتهم للرب،

يشير بولس مرة واحدة لليوم الأول من الأسبوع، والكتاب المقدس لا يذكر الكثير عن اليوم الأول من الأسبوع، وعندما نقرأ سفر الرؤيا يقول يوحنا إنه كان في الروح في يوم الرب، وهذه هي المرة الوحيدة التي يستخدم فيها هذا التعبير في الكتاب المقدس.

من هنا يمكننا أن نرى أنه في الأيام الأولى من الكنيسة المسيحية استمر المؤمنون -الذين كانوا قبلاً يهودًا- في العبادة يوم السبت في المجمع، وكانوا يتقابلون في مناسبات أخرى، وعندما دخل الأمم إلى الكنيسة، لم يكن لديهم التزام بقبول السبت اليهودي، لهذا، من الواضح أنهم بدأوا يتقابلون في أيام أخرى من الأسبوع، السؤال هو: «لماذا اليوم الأول؟»

على الرغم من أنه ليست لدينا أية إجابة وافية عن هذا السؤال، إلا أنه يمكننا أن نتكهن ببعض التخمينات، فمن الواضح أن اليوم الأول كانت له طبيعة خاصة عند المؤمنين لأنه اليوم الذي قام فيه يسوع من الأموات، وستجد أيضًا -لو تفحصت ظهورات الرب بعد القيامة- أن الكثير منها حدث في اليوم الأول من الأسبوع، فلو أنك تحسب الأمور بطريقة سليمة، يمكنك أيضًا أن تجد أن يوم الخمسين كان اليوم الأول من الأسبوع، وهناك بعض معلمي الكتاب المقدس الذين يعتقدون أن الأمور بدأت في التغير لكي تكون في اليوم الأول من الأسبوع؛ نظرًا لأنه اليوم الذي حدثت فيه القيامة، وظهورات ما بعد القيامة ويوم الخمسين في هذا اليوم.

هل تتذكر القصة الكتابية الخاصة بما حدث عندما ظهر خلاف عمَّا إذا كان من الواجب على المؤمنين الأمميين أن يذعنوا للناموس اليهودي؟ يسجل (أعمال ١٥) أن هناك اجتماع حدث في أورشليم، وفي النهاية قرروا أن الأمم يجب ألاً يتبعوا كل الناموس اليهودي، ولكن من قبيل الاحترام لليهود يجب الامتناع عن أكل الأشياء التي بها دم، والإذعان

لأمر أو اثنين حتى لا يضايقوا إخوتهم اليهود، ولم يكن هناك أي ذكر ليوم السبت، فلم يذكر الكتاب أنه عليهم الاهتمام بتحفظات أخرى.

يقدّم لنا هذا مبدأً لاهوتيًا ذا دلالة؛ إذ بدأت الكنيسة المسيحية في الانتقال من الراحة في اليوم السابع واستبداله باليوم الأول من الأسبوع، وعندما فعلوا هذا، هل كانوا يقصدون تحويل السبت اليهودي إلى يوم آخر، بكل ما ينطوي عليه يوم السبت، أم كانوا يقولون: «لقد انتهينا من هذا الأمر، والآن سندخل في عصر جديد، موقف جديد ومختلف تمامًا»؟

على الرغم من أن هذا قد يبدو أن له أهمية خاصة، إلا أننا يجب أن نفكر في الأمر ونخلص ببعض النتائج؛ لأن الأسلوب الذي سنتعامل به مع الوصية الرابعة سيحدد إجاباتنا، واليوم سيدعم بعض المؤمنين كلا الجانبين، فيقول البعض إن يوم الأحد هو يوم السبت اليهودي الذي تحول إلى يوم آخر، وسيدَّعي آخرون أننا أحرار من الناموس، وفي وضع جديد تمامًا.

← مُقدسو يوم الرب مقابل غير الناموسيين

من يقولون لك إنهم يؤيدون فكرة أن السبت اليهودي قد تحول من أن يكون آخر يوم في الأسبوع إلى أول يوم، ربما يوافقون على البيان الصادر عن اجتماع «ويستمنستر» «Westminster»

> **لابد أن نذكر يوم الرب... بمعنى أن الأنشطة العادية لا تكون عائقًا عن التقديس اللازم لليوم. فلابد وأن نحتفل باليوم كله للرب. في السر والعلن على أنه السبت المسيحي. بمعنى أنه لابد وأن يكون هناك راحة طوال هذا اليوم من كل العمل غير الضروري، وتوقف لا عن**

الرياضة بكل أنواعها وحسب. ولكن أيضًا عن كل الكلمات والأفكار العالمية..
فأوقات الفراغ -ما بين الاجتماعات وبعدها- يجب أن نقضيها في القراءة والتأمل واللهج في العظة. وندعو أفراد العائلة لكي يخبرونا بما سمعوه. وما لفت انتباههم. وبإقامة المؤتمرات الروحية والصلاة لأجل بركة. والترنيم بالمزامير. وزيارة المرضى. والفقراء. ومثل تلك الأعمال المتعلقة بالإحسان والرحمة تضفي بهجة على يوم السبت.

هذه هي عقيدة تقديس يوم الرب وستجدها في أشكال كثيرة اليوم، إن تلك الأجزاء التي اقتبستها عاليه كُتبت في إنجلترا في القرن السابع، حتى تأثير البيورتان، وهي تصف ما تحول ليكون السبت البريطاني، ونتيجة لهذا ظهرت «جمعية الحفاظ على يوم الرب» والتي استصدرت تشريعات خاصة ما زال البريطانيون يذعنون لها اليوم، وعندما أتى البيوريتان إلى انجلترا الجديدة، أجازوا قوانين مماثلة، وهي تلك القوانين التي ندعوها اليوم «القوانين الزرقاء».

لقد نشأت في بيت يقدس يوم الرب، ففي طفولتي كنا نذهب إلى الكنيسة صباح الأحد، وبعد ظهر الأحد، ومساء الأحد، وفيما بين الثلاث فقرات لا نلعب أية ألعاب، ولا يمكننا أن نلعب بالخارج، ولكن نصلي أو نقرأ أو نشارك في أحاديث عائلية هادئة، وفي إحدى المرات، حصل والداي على جهاز راديو، ولم يشغِّلا هذا الجهاز أبدًا في يوم الرب، ولم يحلما أبدًا بالذهاب إلى مطعم يوم الأحد، فهذا معناه أن هناك شخصًا آخر عليه أن يعمل.

هناك كثير ممن يقدسون يوم الرب، لا يشاركون في أي رياضة يوم الأحد، يعتقدون أنه يجب ألا يكون هناك أية ألعاب، بل يجب أن يتواجد الناس في مكان العبادة، ويعطون اليوم لخدمة الرب.

هـــل يجـــب أن تقدِّس يوم الرب؟ على كل شـــخص أن يجيب عن هذا السؤال بنفسه، ولابد وأن تكون لديه أسباب جيدة وراء إجابته؛ لأنه سيكون عليه أن يأخذ كلمات الرب بمنتهى الجدية.

يتناقض منهج ضـــد الناموس بالكامل مع المنهـــج الذي يقدِّس يوم الرب؛ فببســـاطة يتجاهلون الناموس، وربما تأخذ إجابته عدة أشـــكال: «لســـنا تحت الناموس بل تحت النعمة»، وهي المقولة التي يستخدمها المؤمنون كثيرًا فعلاً، هم يقصدون: «حســـنًا، اسمع، لماذا يعبد هؤلاء في يوم الأحد بدلاً من يوم الســـبت؟» فهم يشـــعرون بالراحة الشديدة للخـــروج من تحت تلك الممارســـات التي كانت مجـــرد ظلال لحقيقة المسيح، وحريته ومحبته، واكتشفوا أنه سيقدم لهم السبت الأدبي، وأنهم يتجهون نحو الراحة الأبدية.

عندما اكتشفوا الراحة الحقيقية، عندها قالوا: «هيا، انسَ الأمر، فيمكننا أن نكون أحرارًا ونســـتمتع بأنفســـنا، ونهدأ ونفعل ما نريد»، ليس هناك أســـاس لاهوتي قوي يدعم وجهة النظر هذه، ولكن يبدو أنها جيدة لأنه لن يكون عليك أن تفعل شـــيئًا، هذا من وجهة نظر هؤلاء الأفراد، ربما تعلم على الأقل بعض الناس القليلين الذين ينتمون لهذه المجموعة.

الآن، هل يمكن أن يكون لدينا ما يدعم كلا الأمرين من الكتاب المقدس؟ حســـنًا يعتمد الأمر على ما هي الآيات التي تســـتخدمها، ولماذا يظل هذا الأمر قضية خلافية أساسية بين المؤمنين.

← التلمذة المسؤولة

أود أن أقترح ألا نفرض الأسلوب الذي يقدِّس يوم الرب أو هذا الأسلوب ضد الناموس، ولكن يجب أن نتطلع إلى إقامة اتجاه للتلمذة المسؤولة.

ما معنى هذا؟ يقــول بولس إنه لا يُحكم فينا من أحد فيما يتعلق بالأيام المقدســـة أو أيام السبت، وإنه بإمكاننا أن نعبد في بعض الأيام كما لو أنها للـــرب، أو لا يمكننا أن نعبد في بعض الأيام كما للرب، وبما أننا يجب أن نكرم الرب كل يوم، فيجب ألا يشكِّل هذا الأمر مبدأً أساسيًّا.

الآن، احتـــرس! لو أننا نقول: «كل يـــوم هو يوم خاص للرب» فربما ينتهي بنا الأمر، ونحن لا نعيش أي يوم خاص للرب، فترى هذا بوضوح عندمـــا تعمل في وظيفة يجب أن يقوم بها كثيـــرون، فلو أن تلك الوظيفة لم تكن مسؤولية شـــخص محدد، ماذا يحدث؟ يصبح الأمر وكأنها ليست مســـؤولية أي شخص، أي لا يقوم بها أحد، وهكذا الأمر أيضًا فيما يتعلق بتلك الأيام التي يعلن أنها أيام مخصَّصة للرب، فيجب أن يصل المؤمنون لمرحلـــة ويقولون: «أنا أرتاح في الرب، أنا أثق في الرب، وأطيع الرب، في كل أيام الأسبوع، في عملي، وفي مسؤولياتي العادية، وفي كل شؤون حياتي، فأنا أفعلها كما لو كانت للرب، وكل يوم هو يوم خاص أمامه» ثم يجب أن يعيشوا بهذه الطريقة.

إلـــى جانب أنه يجـــب أن يكون لدينا يومًا واحدًا خاص كل أســـبوع، فيمنحنا الله هذا اليوم الأكثر تميزًا لكي نســـتخدمه لنزيد من تركيزنا عليه، ومعنى أن نخدم الرب، وأن نعبده ونطيعه في مجتمعنا يحدث هذا في اليوم الأول من الأســـبوع، فنشـــكر الله على هذا اليوم من الأسبوع، ولا نسيء استخدامه.

منذ فترة ليســـت ببعيدة، كنـــت في زيارة لبنجلاديش، واكتشـــفت أن المؤمنين هناك يعبدون الرب في اليوم الســـادس من الأسبوع، وهذا الأمر يكفي لكي يجعل من يقدسون يوم الرب (السبت أو الأحد) يصابون بأزمة قلبية، لماذا؟ لأن بنجلاديش مقاطعة إســـلامية، لهذا، فإن يوم الجمعة هو

يوم الراحة، ولم يقل المؤمنون هناك: «اسمعوا: سنعمل في اليوم السادس من الأسبوع، ولكننا لن نظهر في اليوم الأول من الأسبوع»، فليس بإمكانهم أن يفعلوا هذا، ولكنهم قالوا: «يا رب، لا يهم مسألة السبت، ولكن ما يهم هو أن نخدمك كل يوم، فلو كان هذا اليوم هو اليوم السادس أو السابع أو الأول أو الثامن أو أي يوم آخر، فهذا لا يهم، سنأخذه من يديك، وسنستخدمه لمجدك».

يبدو أن هذا أسلوب سليم من وجهة نظري، كيف نفعل الأمر بأكمله؟ هل تقول: «يجب أن أفعل أشياءً محددةً في يوم الرب؟» أرجو هذا، هل لديك قناعات بشأن ما لن تفعله في يوم الرب؟ يبدو هذا منطقيًا، ولكن هل تشعر بأنك حر من التشريعات الخاصة بشأن ما يجب أن تفعله وما يجب ألا تفعله وفي الحكم على أعمال الآخرين؟ افترض أن يوم الأحد سيكون هناك مباراة كرة، هل ستذهب؟ أم ماذا لو أن السيمفونية أتت إلى المدينة، هل ستذهب أم لا؟ كيف تتعامل مع مثل هذه الأمور؟

يعتمد الأمر على ما إذا كنت تقدس يوم الرب أم غير ناموسي، أو ما إذا كنت تقول: «يا رب، سأخبرك بما سأفعله، سآخذ يوم الأحد هدية منك، وسأستخدمه بمسؤولية، وفي نهاية اليوم، سأشعر بالسعادة لأنني قدمته لك، وسأقول: ‹يا رب كان هذا يومك، وهذا ما فعلته في هذا اليوم›».

لو كان بإمكانك أن تفعل هذا في يوم الأحد كما لو أنك تفعله في أي يوم آخر من أيام الأسبوع، أعتقد أنك ستكرم الرب، وفيما تكرمه بهذه الطريقة، ستُظهِر أنك عضو في العهد، وستُظهِر هذا - من خلالك - طاعتك المُحِبَّة له.

الوصية الخامسة



الحياة في العائلة

أكرم أباك وأمك، تبدو هذه الكلمات مألوفة، أليس كذلك؟ أولاً، تفترض هـذه الكلمات أنك تعرف من هم آباؤك، ثانيًا، تفترض أنك تعرفهم جيدًا لدرجة أنك تقدِّر أهميتهم، وأخيرًا، تفترض أيضًا أن لديك مواقف لكي تكرمهم، وتقدم لهم كل الاحترام، وتجعلهم يعرفون عمق مشاعرك تجاههم.

اليوم، من السهل أن تقول: «أكرم أباك وأمك»، ولكن لو دققت في تلك الكلمات، فربما لا أعرف من هم أبي وأمي. أو قد يمكنني أن أكون أكثر دقة لأقول: «اسمع: لقد أصبحت أشعر بالمرارة تجاههما، فأنا بارع في لومهما على كل ما لم يَسِر على ما يرام في حياتي، بمعنى أنني لا أقدِّرهما»، ربما يكون من الأمانة أن أقول: «لست على اتصال معهما لدرجة أنه لا يمكنني أن أعبِّر بواقعية عن تقديري لهما، ولا يمكنني أن أخبرهما كم يعنيان الكثير بالنسبة لي».

ما معنى أن يكون هناك موقف حيث يمكننا أن نعرف آبائنا ونكرمهم، ونعبِّر عن تقديرنا لهم؟ هذا يتطلب بيئة ترعى علاقة مستمرة، ماذا نعني ببيئة من هذا النوع، بيئة تدعم العلاقات المتداخلة والمتأصلة؟

لقد وصفنا عائلة بالطبع في تلك الوصية الخامسة التي تتحدث لنا عما يتوقعه الله من حياتنا العائلية.

لماذا يجب عليَّ أن أفعل هذا؟

عندما نفكر في هذه الوصية ونحيا في تلك البيئة التي صممها الله، ربما يقول البعض: «لماذا يجب أن أكرم أبي وأمي؟». يعطينا الكتاب المقدس بعض الأسباب، وأود أن أشير إلى أربعة منها مع تعليق بسيط.

أولاً في (خروج ٢٠)، يقول الله نكرم آباءنا «...**لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ**» وفي (تثنية ٥)، ذلك الجزء الذي يكرر الوصايا قبل دخول الشعب لأرض الموعد، يقدم الله السبب التالي «... **وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ**». نجد في العهد الجديد أن بولس يقتبس تلك الأفكار ويشرحها باستفاضة، ففي (كولوسي ٣: ٢٠) يقول إن الأولاد يجب أن يطيعوا والديهم «**لأَنَّ هذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ**»، وأخيرًا في (أفسس ٦: ١) يقول ببساطة إنه يجب أن تكرمهم «**لأَنَّ هذَا حَقٌّ**»

لماذا تكرم والديك؟
لأن هذا مرضي في الرب
لأنه شيء صائب لتفعله
لكي تحيا حياة طويلة على الأرض
ولكي يكون لك خير

ربما لا نهتم بهذه الأمور، لهذا دعني أقدم لك سببًا آخر لم يذكره الكتاب المقدس، في كتاب «جوي دافيدمان» عن الوصايا العشر، والذي يحمل عنوان «Smoke on the mountain»، تخبرنا مرةً أخرى عن قصة خيالية، وهي عن أبوين لديهما طفلان وجد يعيش معهم، تقدم الجد في السن، وبدأ يشعر بالتعب الشديد، ففي وقت تناول الطعام يميل إلى أخذ الحساء والعصيدة في أماكن مختلفة بالمنزل، شعر الأبوان بالضيق تجاه هذا الأمر، ولكن الجد لا يستطيع أن يفعل شيئًا حيال الأمر.

في النهاية، لم يسمح الأبوان للجد بالجلوس على مائدة الطعام مع العائلة، بل كان يجلس في ركن الحجرة، ترسم جوي دافيدمان صورة محزنة للغاية لهذا الرجل العجوز الجالس في ركن الحجرة في خزي لأنه لا يستطيع أن يأكل طعامه بطريقة سليمة، ولم تفد العزلة، بل أدت إلى

تدهور الموقف لدرجة أن الرجل لم يتمكن من التعامل مع مسألة الطعام برمتها، لهذا صنعوا له صندوق على شكل مستطيل أجوف، ووضعوا طعامه في هذا الصندوق، وأخذوا منه السكين والشوكة والملعقة، حتى يأكل الطعام بأصابعه.

أزداد الموقف سوءًا حتى لاحظ الأبوان في أحد الأيام أن الأولاد يلعبون في الظل، وقد حصل الصغير على منشار وخشب وجاكوش ومسامير، وبدا لو أنهم يقومون ببناء شيء ما، وسأل الأبوان: «ماذا تفعلون؟» فأجاب الأطفال: «صندوق على شكل مستطيل أجوف لكما لنستخدمه عندما تكبران».

تهدف تلك القصة أن تعلمنا أن «تكرم أباك وأمك، لأنك في يوم ما ربما ترغب أن يفعل أولادك نفس الأمر معك»، ربما يتعلم أولادك منك كيف يكرمونك من خلال ملاحظتهم لك في تعاملاتك مع والديك.

لدينا خمسة أسباب لكي نكرم الوالدين، ولكن في مجتمع اليوم -الذي به كل شيء يتغير سريعًا- أصبح من الصعب أن تعيش في تلك البيئة التي تدعم تلك القواعد.

العائلة الممتدة

أولاً وقبل كل شيء، تختلف العائلة في العهدين القديم والجديد عن العائلة التي نتحدث عنها اليوم، فلو أننا نظرنا على مساكن العائلة الواحدة سنرى على الفور المعنى الذي يقصده الشخص الذي يعيش في القرن العشرين بالعائلة، ففي القرن الماضي، تضاءلت مساكن العائلة الواحدة لتصبح أصغر وأصغر، لماذا؟ لأن العائلة في المتوسط الآن لديها ٢,٤ طفل، وكلب وتليفزيون، هذا هو الوضع السائد تقريبًا بالنسبة للعائلة ونطلق عليها «الأسرة النووية».

لا يوجد في اللغتين العبرية واليونانية مقابل لكلمة «العائلة النووية»، فالفكرة غريبة بالنسبة لهما، فكل لغة بها كلمتان لوصف العائلة، وفي العبرية إحدى هاتين الكلمتين تعني «شبكة واسعة النطاق من علاقات الدم»، والتي يقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة «عشيرة» أو «قبيلة»، والكلمة الثانية في العبرية تعني «بيت الأشخاص»، يوضح (يشوع ٧) هذا لنا، فشخص ما في شعب إسرائيل قد فعل شيئًا سيِّئًا للغاية، وكان عليهم أن يكتشفوا من الذي فعل هذا، لهذا طلب منهم أن يخرجوا في أسباطهم الاثني عشر، ثم تقسمت كل الأسباط إلى قبائل، وبعدها تقسمت إلى عائلات ثم إلى بيوت، وكلمة «بيت» هي الكلمة العبرية الثانية.

تعطي اللغة اليونانية نفس الأفكار؛ ففي (لوقا ٢) يقول إن والدي الرب يسوع ذهبا إلى بيت لحم لإجراء الإحصاء الرسمي العام، لأن يوسف كان من بيت داود. ويصف نفس الأفكار: القبيلة، والبيت؛ فالأسرة الكتابية لا تقتصر على الأب والأم والـ ٢,٤ طفل والكلب والتليفزيون، ولكن على العمات والخالات غير المتزوجات، والأعمام والأخوال الأرامل، والجد والجدة، وهم من ندعوهم بصفة عامة «الأسرة الممتدة».

عرَّف كتَّاب الكتاب المقدس هذا المبدأ الخاص بالعائلة في أذهانهم عندما تحدثوا عن إكرام الأب والأم، لماذا؟ لأن الآباء لديهم مسؤوليات ممتدة لمجموعة ضخمة وكبيرة من العلاقات، ومن خلالهم تقدِّم العائلة خدماتها الضرورية.

← الاستمرار الاقتصادي

أولاً قدمت العائلة الاستمرارية الاقتصادية، فهكذا أفهم تعبير « **أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ**...» اتجه بنو إسرائيل إلى أراضٍ لا تتسم بالكرم، حيث واجهوا مواقف اقتصادية

غير مستقرة، وبكل صراحة لن يمكنهم النجاة من هذه المواقف إلا بالترابط معًا والعمل معًا حتى يمكنهم أن يدعموا أنفسهم.

في المجتمعات البدائية اليوم، تجد نفس الهيكل التنظيمي؛ فمؤخرًا شاهدت فيلم عن قبيلة «جبرا» في شمال كينيا، ولا بد أن نذكر أن معيشتهم تتطلب وجود أربعة أفراد على الأقل يعملون تسع ساعات في اليوم لمدة سبعة أيام في الأسبوع حتى يمكنهم أن يسدوا جوع كل هؤلاء الناس، وذلك لأنهم يعيشون في الصحراء. ولا يسمح لهم كل هذا الوقت الذي يقضونه في العمل، بالعمل في وظائف أخرى، فبدون هؤلاء الرعاة الأربعة لا يمكن للقبيلة أن تعيش.

لهذا، لا يمكن لرجال قبيلة «جبرا» أن يتزوجوا إلا عندما تصل أمهاتهم إلى نهاية سن الإنجاب بسبب هذا النظام الاقتصادي، وعندما يتزوج الرجل لا يمكنه أن يتملك قطعة أرض أو أي شيء مهما كان، لماذا؟ لأن عليه أن يعمل لكي يسد احتياجات عائلته.

← الاستقرار العاطفي

تقدم العائلة أيضًا الاستقرار العاطفي، يتوسع (تثنية ٥: ١٦) في هذه الوصية ليقول: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ. وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ...» بمعنى آخر: أكرمهم حتى تحصل على الاستقرار العاطفي، من أين تأتي قوة بني إسرائيل العاطفية؟ من البيت الذي يحمل العديد من الفرص للتدخل المستمر، فعندما تكون جزء من قبيلة، ستحصل على فرص كثيرة للتعامل مع أناس من مختلف الخلفيات والرؤى.

فكّر في الأمر بهذه الطريقة، فإذا كان هناك أبوان وأربعة أطفال مختلفين، فلديك القدرة على الدخول في ثمان علاقات؛ علاقة الزوج والزوجة، والأب

والابـــن، والأب والابنـــة، والأم والابن، والأم والابنـــة، والأخ مع أخيه، والأخت مع أختهـــا، والأخ مع الأخت. فكِّر في فرص التعلم من تصرفات الكبار، وتصرفات الصغـــار وكيف يتعامل الصبيان مع الصبيان، والبنات مع البنـــات، وكيف تتعامل البنات مع الرجال...، حتى في أســـرة من هذا النوع، تخيل فقط كل تلك التوليفة! فهي تغذِّي الاستقرار العاطفي.

أضف إلى هذا، الأعمام والأخوال والعمات والخالات والأجداد. أضف إلى هذا، قليل من الخدم مـــن كل أرجاء المكان وبعض الغرباء، جميعهم يعيشـــون معًا في نفس المنزل، فماذا ستجد؟ سيكون هناك علاقات ممتدة تدعم إمكانية زيادة القوة العاطفية، أعتقد أن كثيرين يحتاجون إلى المشورة اليـــوم لأنهم ابتعدوا عن عائلاتهم الممتـــدة. منذ فترة مضت، كان بإمكان «الصغـــار» أن يحصلوا على الكثير مـــن التعليم من خلال الكبار. فربما فقدوا الكثير من عمق تلك العلاقات دون تلك العائلات الممتدة.

لو أنك فكرت في الأمر من ناحية العائلة، فستشعر بالانتماء، والهوية. تبنَّى كثيرون أطفالاً صغار ثم اكتشف هؤلاء الصغار فيما بعد أنهم بحاجة إلى معرفة آبائهـــم «الحقيقيين»، وقد تكرر هذا مـــرات ومرات، لماذا؟ لأن هؤلاء الأطفال قد فقدوا شعورهم بالهوية، وبمجرد أن يقدِّروا آباءهم بالتبنِّي، يشعرون بأنهم قد فقدوا نوعًا من النسب، فقد فقدوا جذورهم.

← **الهيكل التعليمي**

تلعب العائلة دورًا كهيكل تعليمي بالإضافة إلى دورها في الاستمرارية الاقتصادية والاســـتقرار العاطفي، فقد قدم العهد القديم مساحة للحوار بين الوالـــد والطفل، فقد كان من دواعي ســـرور الطفل أن يطرح الأســـئلة، فالطفل لديه ســـؤال، والأب موجود حوله، الابن لديه سؤال، والأب لديه الإجابة، هناك هيكل تعليمي.

ماذا يحدث اليوم؟

يقول الولد لأبيه: «كم حرارة الشمس؟»
«لا أعرف يا بني»
«كم تبعد الشمس عن كوكب فينوس؟»
«لا أعرف»
«هل تعرف كم يستغرق الأمر للوصول من كوكب المريخ إلى كوكب فينوس، يا أبي؟»
«فعلاً لا أعرف يا بني»
«أنت لا تتضايق من كوني أطرح هذه الأسئلة يا أبي، أليس كذلك؟»
«لا يا بني، كيف ستتعلم لو أنك لم تسأل؟» لقد فقدنا شعورنا بأهمية التعليم.

هل يمكنك أن ترى الهيكل الثلاثي المتوالي الذي ركز عليه العهد القديم؟ كان هناك شخص ما يجب أن يربط كل الأمور معًا من الناحية الاجتماعية، شخص عليه أن يقدّم الاستمرارية الاقتصادية والاستقرار العاطفي والهيكل التعليمي، من هو؟ البطريرك القديم وزوجته بمساعدة الأم، كان للأم والأب مكانة مكرَّمة، لا يمكنك أن تنجح بدونهما، إنه أمر بسيط وأساسي.

عائلة اليوم

الآن، ننتقل إلى عصرنا هذا، ونرى بعض التغيرات الضخمة، دعونا نلقي نظرة على بعضها.

أولاً، لقد انتقلنا من «العائلة الممتدة» إلى «الأسرة النووية»، فقد انقسم منزل الأسرة القديمة التي كانت تعيش في القرن الماضي إلى ثلاث أو أربع وحدات سكنية، بسبب الأسر النووية الأصغر، و بالتالي، فقدنا مصدر الدعم.

ثانيًا، انتقال من التأكيد على الهيكل الهرمي إلى هيكل قائم على الفردية، وبــدلاً من أن نبحث عن صالح الأســرة، أرســلنا أولادنا للحصول على وظائــف لأننا نقول: «العمل مفيد بالنســبة لك» وبمجرد أن يبدأوا العمل يحصلون على شــيك الراتب ويقولون: «هذا مالي»، ويفتحون حســاب خاص لهم في البنك، ويشــترون سياراتهم وينسون كل ما يختص بالآباء، ليس لديهم أي التزام تجاه الوالدين.

لهذا الســبب، عندما حصل أولادنا على عمل، أصررنا على أن نتحكم في حســاب البنك، لأنهم ما زالوا أولادنا وما زلنا آباءهم، وأردنا نوعًا من الحياة العائلية المترابطة، بدلاً من أن يكون بيت منقسم ويفعلون ما يريدون.

ثالثًا، تغيرنا من الشعور بالاســتقرار إلى التنقل، فيمكننا أن نصل إلى أي مكان ســريعًا، ويمكننا أن نذهب بعيدًا، فنحن نحب أن نكون في حالة انتقال، وفكرة البقاء في منطقة معينة، وأن نوصِّل الجذور، أصبحت غريبة جدًا في الواقع، فنحن نحب فكرة التنقل طوال الوقت، أدرك أن الناس الآن يبقون في منطقة في المتوسط من ثلاث إلى أربع سنوات ثم ينتقلون منها.

أخيــرًا، ابتعدنا عن الاهتمام بالأمور التقليديــة، وأولينا اهتمامًا كبيرًا بالأمور الحديثة، فنميل إلى النظر إلى أمور معينة على أنها موضة قديمة، ونسعى لتغيير أســلوب الحياة، نريد الأشياء التي يبدو أنها جديدة ومثيرة دائمًا، فكثيرًا ما تســمع: «هذا ممل!» وكلمة ممل تعني: «غير مقبول»، فنبحث عن شيء مختلف، ونبتعد عن الأمور التقليدية المألوفة.

← ما الذي أحدث تلك التغيرات؟

مــن أين تأتي تلــك التغيرات؟ من بين الأســباب وراء تلك التغيرات التمــدن؛ ففي الأيام الماضية، كان الناس يعيشــون في مزرعة العائلة أو

في الصحــراء أو كانوا رواد في الغرب، ولكي يعيشــوا، كان عليهم أن يصطـــادوا معًا لأن الفرد بمفــرده لا يمكنه أن ينجــو، ولكن مع الثورة الصناعيــة، تغير كل هذا، فقد انتقل الناس من الدولة إلى مراكز حضرية كبيرة، حيث اكتشفوا الفرصة لفرد أجنحتهم وفعل ما يريدونه، والهروب من الرقابة والتصويب، وإلى حد كبير، دمر التمدن والتحول إلى الصناعة الأسرة الممتدة.

هذا بالإضافة إلى أننا الآن لدينا طريقة مختلفة للتواصل؛ ففي الأســرة الممتــدة كان التواصل والبيانات والمعلومات يتم تنقيتها من خلال الهيكل الهرمــي للعائلة، ولكن الآن يمكن أن يســمع كل شــخص التليفزيون أو الراديو أو يضع السماعات في أذنيه ويعزل نفسه عن بقية العالم.

مــاذا حدث؟ إننا نحصد نتائج الســكن الأفضــل، والصحة الأفضل، والتعليم الأفضل، والإجازات الأفضل، والأفضل في كل الأشــياء، ولكن هــل هذه هي العواقب الوحيدة المترتبة على التغيُّر؟ لا، فإننا نعاني أيضًا من تدهور ملحوظ في العلاقــات، فلم نعد نكرم آباءنا، ولكننا نكذب على مدربنا ونلوم آباءنا، لا نركز على ما يفعلونه بطريقة سليمة ولكن على ما فعلوه بطريقة خاطئة.

أصبحت العلاقات المنكســرة نظام اليوم؛ فلدينا زيادة في التشــوهات العاطفية، ولدينا أناس يحتاجون إلى كل أنواع المساعدة فيما يتعلق بالصراع العاطفي، ويرجع هذا -إلى حد كبير- إلى انهيار النظم الاجتماعية.

هذا بالإضافة إلى أننا نواجه كل أنواع التشــويش فيما يتعلق بالقيم، ما الصواب؟ وما الخطأ؟ ربما يحمل الصغار مجموعة مختلفة من المعتقدات مقارنــة بآبائهم، فهم يفعلون الأمور بطريقة مختلفــة، ونتيجة لذلك، فهم

يســتمعون إلى كل الأصوات ويختارون كل أنــواع الأفكار، ينظر الأب والأم إلى كل تلك الأشياء ويسألون: «ما الذي يحدث؟»

إلى أين نذهب؟

الآن، إن فكَّرنــا في الماضي؛ العائلــة الكتابية، والحاضر؛ أي العائلة الحديثة، ونظرنا إلى كرتنا البلورية لمعرفة المستقبل، ماذا سنرى؟

تكهَّن الناس بمســتقبل عائلاتنا؛ ترى النظرة التشاؤمية -والتي يطلقها علماء الاجتماع وعلماء النفس في العالم- أن العائلة تواجه الانقراض. أما وجهة النظر المتفائلة فهي تتخذ الموقف المعاكس وتقول: «إن اضطراب الغد ســيجعل الناس يدخلون في علاقات أعمق». ماذا سيحدث؟ لا يمكن سوى للزمن أن يخبرنا.

في كتابــه «Future Shock» يأخذ «ألفيــن توفيلر» ما أطلق عليه نظرة وسطية تجمع ما بين النظرتين، ويخبرنا: «ستنقسم العائلة وتتمزق» هذه هي النظرة التشــاؤمية «وبعدها ســتترابط مرة أخرى بطرق جديدة وعجيبة» هذه هي النظرة المتفائلة.

ربما يريد توفيلر أن يخبرنا هنا بشــيء ما، ماذا يقصد بأن العائلة ستجتمع معًا بطرق جديدة وعجيبة؟ يتحــدث عن نتائج التكنولوجيا الحديثة وما يمكن أن تقدمه لنا. لن يمضي وقت طويل وسيكون بإمكاننا الحصول على «أسواق تجارية للأجنة» فيمكن للأبوين أن يخرجا -ببســاطة- ويشتريا طفلاً، فهناك شخص ما سيتحمل كل الأمور المتعلقة بالحصول على طفل نيابة عنهم.

يبدو أن هذا بعيد الاحتمال، ربما. فمنذ فترة ليست بطويلة رأيت برنامج عن بعض من يتعاملون مع الماشية ويسافرون إلى هاواي، على طائرات شارتر.

وفي طريقهم إلى هناك كان لديهم مزاد على الماشـــية على بعد ٣٧٠٠٠ قدم فوق ســـطح البحر، أعلى وأكبر مزاد للماشية في العالم، فربما تسأل: «كيف كان بإمكانهم وضع كل تلك الماشـــية في الطائرة؟» لم يفعلوا هذا لأن المزاد ببساطة باع الأجنة والمني، وبعد ذلك، عندما سألهم المذيع: «ماذا اشتريتم؟» قال رجل «٢٠ حيوان منوي» وقال آخر للصحفي: «ستة أجنة»، فإذا كانت لدينا التكنولوجيا لكي نفعل هذا مع الحيوان، فإن الأمر مجرد وقت حتى تكون لدينا تكنولوجيا لكي نفعل هذا مع البشر. وبمجرد حصولنا على التكنولوجيا، نشعر أن لدينا حقًّا كاملاً في المضي قدمًا في الأمر.

يتحـــدث توفيلر عن إمكانية أن يكون هناك أبوين مدرَّبين. فالكثير من الأزواج الذين لديهم وظيفتين، لا يريدون بصفة خاصة أن يزعجوا أنفسهم بأطفال. فقد رأينا هذا مرارًا وتكرارًا، ومع ذلك، ما زالت لديهم الرغبة في الحصول على الأطفال، لهذا ســـيذهبون إلى معرض للأطفال، وسيدفعون لشـــخصٍ ما لكي يحصـــل على طفل نيابة عنهما، ثم يرســـلوا هذا الطفل إلى أبوين متمرسين، متخصصين في تربية الأطفال، وسيحتفظ الزوجان بحقهما في الزيارة من خلال العقد.

عندما نقارن أسرة اليوم بالأعراف الكتابية الخاصة بالأسرة، وبمجرد أن نرى التغيرات التي حدثت بالفعل، فإن الاحتمالات المســـتقبلية لا يبدو وأنها بعيدة المنال، فإننا قريبين للغاية من هذا أكثر من قربنا من الأعراف الكتابية.

يتحدث توليفير أيضًا عن مسلســـلات الـــزواج، فعندما كتب عن هذا الأمر منذ أربعة عشـــر عامًا، لم يكن هذا أمرًا معروفًا، ولكنه يحدث الآن فمسلســـلات الزواج أصبحت هي الأمر العادي، وقد أشار لتوه للفرق بين تعدد الزوجات في القديم وأســـلوب الزواج هذه الأيام، عندما قال: «لدينا تعدد زوجات اليوم، ولكنه مسلســـل ومتعاقب وليس بالتزامن». فبموجب

القواعـــد القديمة الخاصة بتعدد الزوجات يكون لديك الكثير من الزوجات في ذات الوقت، ولكنك الآن تحصل عليهن واحدة تلو الأخرى.

ثم يقول: ينتج عن الزيجات المسلســلة عائــلات مُجمَّعة. وهذا معناه: «هؤلاء لك، وهؤلاء لي، وهؤلاء لنا معًا»، ثم نأتي بشبه أخوات.

لست نبي التشاؤم، ولكني ببساطة أتوقع أن هذا ما يقوله علماء النفس وعلماء الاجتماع في الوقت الحالي، فيتوقعون أن الأسرة اليوم ربما تبعث على التشاؤم في كل الأحوال، وسريعًا ما سينتهي بنا الأمر بكل أنواع المواقف المختلفة.

ولو انتقلنا إلى ما هو أبعد من الأعراف الكتابية القديمة، ماذا ســيحدث في المســتقبل؟ هل يمكننا أن نعمل وفقًا للمبادئ الكتابية إن كنا لا نعرف والدينا؟ أو لو أننا نعرفهم معرفة ســطحية؟ أو لو أننا لســنا قريبين منهم بالدرجة الكافية لكي نعبّر لهم عن تقديرنا.

وفيما ننهي هذه المناقشـــة، وما زلنا نتحدث عن إكرام الوالدين، فربما نخرج بتفاهات، إلا إذا أخذنا مسألة التغيرات التي تحدث في مجتمعنا فيما يتعلق بالزواج والعائلة بكل جدية. لماذا يجب أن نطبق هذه الوصية؟

عوامل لا تتغير

على الرغم من كل التشويش في العائلة، إلا أن هناك عوامل تظل دون تغير، وأود أن أحدد ثلاث منها.

← أصل إلهي

أولاً للعائلة أصل إلهي، فيمكننا أن نتجول بأســاليب حياة مختلفة بقدر ما نريد، ولكن يجب أن نتذكر أنه بمجرد أن نبدأ في الابتعاد عن الأعراف

الهيكلية للمجتمع، نزيد من احتمال أننا سنقدم عوامل لا يمكن التحكم فيها، فقد وضع خالق الكون مبادئ معينة لكي يعمل الكون على أساسها، فعلى سبيل المثال، أدرج بعض القواعد البيئية في تشغيله، واليوم نرى الإنسان بالفعل على أنه أكبر عدو للتوازن البيئي، وكلما ازداد إدراكنا لهذا سينتهي بنا الأمر لنتدارك الموقف ولكي نلعب وفقًا للقواعد الموضوعة.

ماذا عن الخسارة التي فعلناها في أنفسنا؟ إن تلاعبنا بالأعراف البيئية، فسيحدث الدمار، ماذا يمكننا أن نفعل لمجتمعنا؟ يجب أن نفهم أن الله وضع المبادئ الاجتماعية أيضًا، ويجب أن نبتعد عن الخطر.

راجع بداية سفر التكوين، ولو قرأت التاريخ الأول للجنس البشري، تعلم أن الله كان يفكر في العائلة، انظر إلى آدم وانظر إلى نوح، وانظر إلى إبراهيم وانظر إلى إسرائيل، فهم طوال الوقت الأسرة التي تتسع وتكبر ولكن من الواضح أن هذا يحدث وفقًا للنظام الإلهي. إن كان لا يزال لديك شك في الخطة الإلهية اتجه للعهد الجديد (أفسس ٣: ١٤، ١٥) حيث يقول بولس إنه يصلي لله الآب، الذي منه تُسمَّى كل عشيرة في السماء وعلى الأرض.

ربما نفقد شيئًا ما من الترجمة هنا، فالكلمات اليونانية المستخدمة لآب ولعائلة تقريبًا متطابقة، فيظهر لنا بولس الرابطة التي لا تنفصم ما بين الآب والعائلة؛ فالآب في السماء والعائلة هنا على الأرض.

← نظام إلهي

ثانيًا، العائلة لها نظام إلهي، فقد وضع الله بوضوح أمرين، يتطلب نظام العائلة إكرام كل من الأب والأم، فلابد من إكرام كل منهما.

وإكرام الأب والأم حرفيًا يعني: «أن نقول إن شخصًا ما يستحق الاحترام

والاهتمام والطاعة»، يقول إشعياء: «لأن هذا الشعب يكرمني بشفتيه. لا بقلبه» (انظر إشعياء ٢٩: ١٣). نواجه خطر إكرام الوالدين بالشفاة وليس بالقلب.

لماذا يجب أن أكرم والدي؟ لأن الله رتب أن يكون الأب مشاركًا في حمايتي وتوجيهي وفي توفير احتياجاتي، وهو يفعل هذا، ربما يكون قد فعل الكثير من الأخطاء، ولكن ما الذي فعله بطريقة صائبة؟ هل اعترفت بتلك الأشياء؟ كيف يمكنني أن أكرم أمي؟ فقد ولدتني، وأولتني اهتمامًا، ومنها تعلمت أمورًا كثيرة عن الحياة، ولو أن مزاجي يتحدد مع وصولي لسن السادسة، فما الدور الذي لعبته أمي في جعلي الشخص الذي أنا عليه الآن؟ لو أنني كنت شخص غير لائق تمامًا، هل ستكافأ على هذا؟

ربما يمكنك أن تكرم والديك بعدة أساليب، عندما كانت أمي على مشارف الموت بسبب مرض السرطان في انجلترا، شعرت بالإحباط الشديد لأنه لا يمكنني أن أرجع وأراها، لم نكن متأكدين بشأن الوقت المتبقي في حياتها، وفي هذا الوقت كنت أنهي النسخة الأولية لكتابي: «What Works When Life Doesn't?» لهذا قررت أن أهديه لوالدتي، وأرسلت لها الإهداء بالبريد، وحصلت على رسالة في اليوم الذي سبق وفاتها، وكان آخر شيء تقرأه مني:

> إلى ماري أمي التي أتت بي إلى هذه الحياة. التي علمتني أن أعمل. والتي ألهمتني لكي أعظ. والتي حاربت السرطان بكل شجاعة وإيمان غير متزعزع. أثناء إعدادي لهذا الكتاب. لتثبت مرة أخرى أنها تعرف ماذا ينجح عندما لا تنجح الحياة.

ربما لا تكون لديك نفس هذه الطريقة الدرامية للتعبير عن الإكرام الذي تشعر به تجاه والديك، ولكن يجب أن تنتهز أية فرصة لكي تخبرهما بهذا.

يجـــب أن يكون الوالدين مكرمين لكي يحصلا على الإكرام، في العهد الجديـــد يقول بولس للأطفال: «أطيعوا والديكـــم»، ثم يقول: «أيها الآباء لا تغيظـــوا أولادكم». وهذا يعني أن الآباء يجب أن يكون لديهم شـــعور إلهي بالمسائلة الإلهية والمسؤولية الإلهية، فلابد وأن يأخذوا مسألة أبوتهم بمنتهى الجدية أمام الله حتى يرى الآخرون الرسالة، وحتى يعرف الأطفال أن آباءهم هـــم فعلاً الآباء المعينين من الله لهم، وبالطبع، عندما يتصرف الآباء بإكرام سيجد الأولاد أنه من السهل أن يكرموا آباءهم.

← فرصة إلهية

هذا يقودنا إلى العامل الثالث غير المتغير: الأســـرة هي فرصة إلهية، فللأســـرة فرصة من الله لكي تساعد تلك البدايات للتفكير في إقامة عائلة. يجب أن نساعد الصغار على أن تكون لهم عائلة وفقًا للطريقة التي وضعها الله، فاليوم لدينا الكثير من المعلومات المتضاربة بشأن الحياة العائلية من وسائل الإعلام لدرجة جعلتنا مشوَّشين للغاية، ولا نرغب في سماع المزيد من المعلومات، وتأتي الإجابة على هذا التشويش من الله نفسه.

فأولاً، يجب أن نقدم كلمة تحذير هنا؛ ففي الكنيســـة أصبح بعض الناس مهتمين للغاية بمســـألة تفكك العائلة واســـتبعاد أي قضية أخرى، والآخرين الذين لاحظوا هذا الميل يتحدثون الآن عن تأليه وتعظيم العائلة داخل الكنيسة.

نحـــن بحاجة إلى بعض الاتزان هنا. قال يســـوع: «لم آتِ لكي أصنع ســـلامًا، لم أفعل هذا، ولكني أتيت لكي أحضِر سيفًا» مرة أخرى يخبرنا: «الســـيف الذي سأحضره سيجعل الأم تنقلب على ابنتها والأب على ابنه، والزوجة على حماتها».

ما معنى ما يقوله يســـوع؟ يستمر يسوع ليوضح: «من يحب أبًا أو أمًا أو طفلاً

أكثـر مني لا يســتحقني». بمعنى آخر قــال: «لا تجرؤ على أن تؤله العائلة، لا تجعل العائلة رقم واحد في اعتباراتك، فأنا هو رقم واحد، أنا الرب وليس أولادك، أنا الرب وليس عائلتك، أنا الرب وليس زواجك، سأكون ربًا على أولادك وعلى منزلك وعلى زواجك، ولكن لن أسلم قيادتي لأي شخص أو لكل تلك الأشياء»

لهذا إن كنت تخطط لكي تبدأ عائلة، تأكد من أنك تبدأ البداية الســليمة، ولكــن ماذا نفعل لهؤلاء الذين بدأوا بدايــة خاطئة بالفعل وارتكبوا الكثير من الأخطاء؟ ماذا عن الشــباب الذين ينظرون إلى آبائهم ويقولون: «لقد دمرت حياتي فقد دمرت كل شــيء حولي». ماذا عن الآباء الذين يمكنهم أن يتجرعوا صدى هذه العواطف؟

كلما أمكن يمكننــا أن ننتهز الفرصة لكي نعطي هــؤلاء الناس بداية جديدة، يشعر بعض الأطفال بالأذى العميق تجاه آبائهم، فربما يقولون إن هنــاك زنا المحارم في عائلاتهم أو يتحدثون عن اغتصاب حدث لهم على أيدي أب مدمن خمور، ويخبرنا آخرون عن ضرب بدني تلقوه من آبائهم، الجميع بحاجة إلى مساعدة في التعامل مع الأذى والألم الذي يشعرون به.

اتصلــت بي ســيدة تعيش في منطقة بعيدة لتخبرنــي عن قصتها، فقد دخلت في علاقة عاطفية وطلاق وزواج آخر من رجل مُطلَّق، وكان لكل منهم أولاد من زيجته الأولــى، وأخيرًا عرفوا الرب وأرادت أن تعرف: «ماذا يجب أن نفعل؟» هل نُطلَّق ونرجع إلى شــركائنا الأصليين، الذين هم أيضًا مؤمنون ورفضوا أن يتزوجوا مرة أخرى».

شعرت كما لو أنني أقول لها: «ســيدتي، لدينا الكثير من الناس لديهم مثل تلك المشــكلة، لا أريد سماعها مرة أخرى» ولكني لم أفعل هذا، ماذا يمكن أن نفعل لمثل هؤلاء المتألمين.

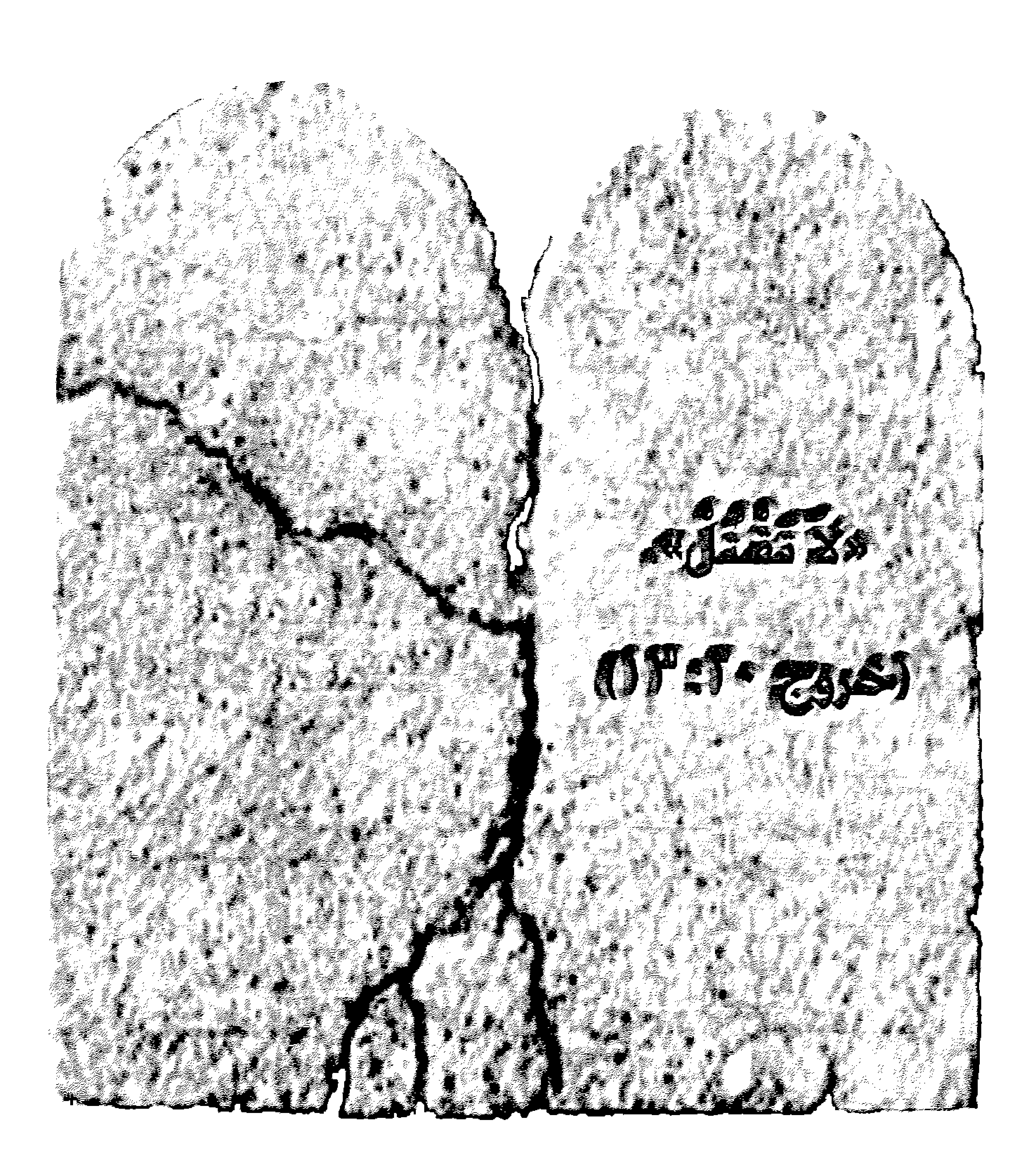
أخبرك بما يمكننا أن نفعله، على الرغم من أنه لا يمكننا دائمًا أن نمنح بداية جديدة، ولكن يمكننا أن نساعدهم ليتعاملوا مع الآلام والأذى الناتج عن الأفعال الخاطئة، يجب أن نكرس أنفسنا، ماذا يمكننا أن نفعل لهؤلاء الذين ليس لديهم طريقة لكي يفعلوا بها ما هو صائب؟ الأطفال الذين لا يمكنهم أن يغفروا لأن آباءهم رحلوا، ومع ذلك ما زالوا يعانون من جروح عاطفية، وكراهية ومرارة؟ يمكننا أن نذكِّرهم أنهم حصلوا على الغفران، بما أنهم قبلوا يسوع كمخلص لهم. وبسبب الغفران الذي اختبروه فيه يمكنهم أن يتعلموا معنى أن يغفروا باسمه.

إن إتمام تلك الفرصة الإلهية يحتاج إلى قوة الروح، واسم المسيح ودعم من جسد المسيح، ويحتاج كل الموارد التي يتيحها لنا إله كريم لكي نشترك بكل واقعية في أن نكون أب أو أم أو جدة أو جد، أو طفل أو حفيد في مجتمع اليوم. لقد تغيرت الأمور تغيُّرًا جذريًّا، فقد ابتعدنا كثيرًا عن الأعراف الكتابية وسينتهي بنا الأمر ونحن نبتعد عنها أكثر وأكثر في المستقبل القريب.

ماذا عن المجتمع خارج الكنيسة؟ ماذا عن هؤلاء الذين لا يحضرون الكنيسة، والذين لا يعرفون ما تقوله كلمة الله، ولا يهتمون بالرب يسوع، وصليبه وغفرانه؟ ماذا عن الأطفال في شارعنا، وعن زواج المثليين، أو عدم إزعاج المرء نفسه بالزواج، أو المشاركة في محاولة الزواج؟ ماذا نقول لهم؟ ماذا نظهر لهم؟ كيف نخدمهم؟

في هذا المجال يجب أن نتمسك بمبادئ الزمن الماضي ونظهر كيف أن القواعد التي لا تتغير يمكن أن تنجح، حتى في مشهد العائلة المتغير. وفيما نفعل هذا تحت رعاية الله يمكننا أن نحصل على بركات كثيرة لأناس يحتاجوننا بشدة.

الـوصية السـادسة



قداسة الحياة الإنسانية

يجد معظمنا أن ترجمة الملك جيمس للوصية السادسة مألوفة: «لا تقتل» فهي جملة في منتهى الوضوح تتكون من كلمتين. يواجهنا الله بأفكار معقدة تتطلب منا مزيد من التفكير، ومزيد من الاهتمام الروحي.

ما معنى أن نقتل؟

لكي نفهم هذه الآية، يجب أن نفهم معنى الكلمة المُترجَمة إلى «تقتل» وذلك من خلال الدارسين الذين عاشوا في عصر الملك جيمس. تترجم «The New International Version» نفس الكلمة إلى «ذبح، قتل عمد» لأن هؤلاء الدارسين وجدوا أنه سيكون من الدقة نقل الفكرة عن اللغة الأصلية. في اللغة العبرية، هناك كلمات أخرى يمكن أن تترجم إلى «يقتل». فلا تهدف الوصية إلى منع كل أنواع القتل، بقدر ما تمنع وضع نهاية للحياة الإنسانية بناءً على تفكير مسبق.

ولكي نوضح الأمر، دعونا نلقي نظرة على آيات أخرى تتعامل مع نفس الموضوعات، فيقدم لنا (تثنية ٢٠) القواعد الكتابية للحرب. دخل شعب الله في عدد من الحروب في العهد القديم، فكيف يمكننا أن نقول إن الكتاب المقدس يقول: «لا تقتل»، مع أنه يقدم لنا قواعد فيما يتعلق بالحروب؟ لا يمكننا أن نقول هذا، إلا إذا فهمنا أن هذا الأصحاح من الكتاب المقدس يضع العديد من الحدود على مسألة الحرب. نعم، شعب الله بإمكانه أن يذهب للحرب ولكن لا يمكنهم أن يقتلوا النساء والأطفال، يمكنهم القيام بأمور معينة، ولكن لا يمكنهم تدمير الآخرين.

يقدم لنا (خروج ٢١: ١٢، ١٣) وصفًا دقيقًا فيما يتعلق بالقتلة، وكيف يجب التعامل معهم. من الواضح أن الكتاب المقدس يميز ما بين هؤلاء

الذين يقتلون كحادثة، وهؤلاء الذين يقتلون مع سبق الإصرار، فمن يقتل عن عمد، يُعاقَب بالإعدام، في حين يُعامَل من يقتلون شخصًا عن غير عمد معاملة مختلفة؛ فالأمر يعتمد على الدافع.

فيما يتعلق بهؤلاء الذين قتلوا عن غير قصد، يحدثنا (سفر العدد ٣٥) عن مدن الملجأ؛ ففي تلك الأيام، عندما يقتل شخصٌ، لا تداهم الشرطة منزله، لأنه لم تكن هناك شرطة، وهم لا يأخذون بعضهم البعض إلى المحاكم ويدافع عنهم المحامون وهكذا، فلو أن شخصًا ما قتل آخر عن عمد، فإن أقارب الضحية يقتلون المذنب، هكذا كان الحال، ولكن في بعض الأحيان، قد يقوم المرء بقتل شخص آخر عن غير قصد، دون وجود دافع للانتقام أو ضغينة، وفي هذه الحالة يلجأ القاتل إلى مدينة ملجأ قبلما يُمسَك.

تعطي مدينة الملجأ للقاتل مكانًا لكي يمكث فيه إلى حين يبحث الآخرون عن الحقائق، ويتحققوا من الدوافع ويبدأوا في اتخاذ الإجراءات القضائية، لقد أعطى الله للشعب تلك المدن لكي يُظهِر لهم أن شعب الله يفرِّق ما بين القتل الانتقامي الخبيث، والقتل غير المتعمَّد. وقد أظهروا أنه على الرغم من أنه من الشرعي بالنسبة لعائلات هؤلاء الذين قُتِلوا أن يقتلوا القاتل، إلا أنه لا يوجد مكان للفوضى.

على صورة الله

ما هو المنطق وراء «لا تقتل»؟ يصف (تكوين ٩: ٦) منع القتل العمد مع سبق الإصرار عندما يقول: «**سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ**»، نطلق على هذا نظام العهد القديم «قانون الانتقام»، وهذا لا يعني أنه لو كان هناك شخص ما فعل بك هذا، فإنه عليك أن تفعل نفس الأمر له، كما يسيء الناس استخدام وصية: «**عين بعين وسن بسن**»، ولكن

النظــــام معناه أنك لو أخذت عين شــــخص آخر، فإن العقاب الذي تلقاه لن يتعدى أخذ عينك، فالناموس يحدد مسألة الانتقام.

يضع لنا (تكوين ٩: ٦) حدودًا، فلو أن شــــخصًا ما يســــفك دم شخص آخر، فلابد من ســــفك دم الشخص الأول. وتقدم لنا الآية السبب: «لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ»

ففيما نتحدث بســـطحية عن حرمة وقداسة الحياة الإنسانية، دعونا نسأل أنفسنا: «ما الذي يجعل الحياة الإنسانية مقدسة للغاية؟ ما المعضلة في الحياة الإنسانية؟» يمكننا أن نجيب: «لأن الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله».

ما معنى هذا؟ يحاول بعض الناس أن يقولوا لنا إن الإنسان عبارة عن حيوان متطور. حســــنًا، علينا أن نتفق على هــذا، عندما ننظر حولنا إلى الحيوانـــــات الأخرى يصبح من الواضح أن الإنســــان هو أكثرها تطورًا، يواجه معظم الناس مشــــكلة مع هذه الفكـــرة؛ فمؤخرًا قرأت أنه تم وضع قلب قرد لفتاة صغيرة، وعاشـــت به لبعض الوقت، من الواضح أنه -إلى حد ما- هناك توافق بين قلب الحيوان والجسم البشري.

نعــــرف جميعًا أن الأطباء يجـــرون تجاربهم - فيمــــا يتعلق بالأدوية والجراحة- على الحيوانات قبلما يجرونها على الإنسان، لماذا؟ لأن هناك تشابه. قبل صعود الإنســــان للقمر، أرسل العلماء الحيوانات لكي يتحققوا من ردود أفعالهم التي تحاكي ردود أفعالنا في جوانب كثيرة، لسنا بحاجة إلى المجادلة بشأن أن الإنسان متطور للغاية عن مملكة الحيوانات، إذ أننا نعرف هذا.

عندمــــا يقول أحدهم: «الإنســــان مجـــرد حيوان»، يجـــب أن نجادله

ونناقشـــه؛ فتلك المقولة تجعل من الصعب أن ندعِّم قداسة الحياة البشرية فعلينا أن نجيب: «الإنسان متطور للغاية عن الحيوان، والله خلق الإنسان على صورته».

ما معنى هذا؟ إذا سألت ستكتشف أن كثيرين لديهم أفكار مختلفة، فعلى سبيل المثال، يقول البعض إن الإنسان وحده هو القادر على التفكير، فهو الوحيـد الذي يمكنه أن يخرج بأفـكار، ويمكنه أن يأخذ البيانات ويقارنها ببيانـات أخرى، ولديه خيال، ويمكن أن يكـون مبدعًا وفنانًا، ويمكن أن يُخـرِج كل أنواع الأشـياء، فتلك القدرات تضعه فـي تصنيف مختلف، ومكانة مختلفة عن بقية الحيوانات.

بالإضافة إلى أن الإنسان يمكن أن يتعاون مع الغرض الإلهي المُبدِع، فقد حصل الإنسـان من الله على التفويض والمسؤولية للاهتمام بالخليقة. يقول «مارك توايـن» فيما يتعلق بالأخلاقيات: «الإنسـان هو الحيوان الوحيد الذي يخجل ولديه أسـبابه». حقًا الإنسـان يملك شـعورًا بما هو صواب وما هو خطأ، وما هو عدل وما هو ظلم، هل هناك أي عضو في مملكة الحيوان يملك مثل تلك القدرات؟

أخيرًا، لدى الإنسان قدرة على التواصل مع الله، وأن يتواصل الله معه، وهذه ميزة ودلالة على تفرد وتميز الإنسـان، فستُشبَع قدرة الإنسان على التواصل في الأبدية، عندما يشارك المفديون في مجد الله ويعبدونه للأبد، فالجنس البشري لديه بعد أبدي.

← تحدي القصد الإلهي

وهكذا، فإنـه عندما نفكر في الدمار والخـراب بدافع الانتقام، وعلى أساس عمدي، تجاه هؤلاء الذين خلقهم الله على صورته، ندرك أننا نتعامل

مع مسألة ذات أهمية بالغة، لماذا؟ لأن تدمير ما خلقه الله على صورته فيه تحدٍّ للقصد الإلهي، فلو أن الله خلق الإنسان لأجل الأبدية وأعطاه القدرة على الدخول في علاقة معه، فإن أي شخص يقتل هذا الإنسان يشوه قصد الله، ويشيح بقبضته في وجه الله.

يلغي القتل القصد الإلهي، فلو أن القصد الإلهي يحتفظ بالإنسان في هذا العالم لوقت، ثم يأخذه للأبدية، فإن الإنسان ينهي وجوده على الأرض محاولاً أن يأخذ مكان الله، فإن إنهاء الحياة الإنسانية يعني احتقار التقييم الإلهي، يقول الله إنه قد خلق الإنسان على صورته، وبالتالي فإن للإنسان أهمية كبيرة، وعندما تضع نهاية لحياة إنسان، فهذا معناه أنك تقول: «لا أوافق يا الله، فليست لحياة هذا الشخص أهمية تجعله يستحق البقاء».

شرح أحدهم الأمر بهذه الطريقة: «الإنسان هو الله في صورة»، نعرف جميعًا الغضب الذي نشعر به عندما يضع شخص ما بعض القش ليحشو به بدلة قديمة، ويربط الأرجل والأذرع معًا، ويضع لافتة عليها ويقول: «هذا رولاند ريجان» ويعلقها على عصا ويحرقها، لماذا نشعر بأننا متضايقون؟ هذا مجرد قش وبدلة قديمة وعصا. نتضايق لأن الصورة تتحدث عن الشخص الذي تمثله، فتهين هذه الأفعال الإنسان الذي هو وراء الصورة.

فلو أن الإنسان هو الله في صورة، فعندما ندمِّر الإنسان نهين الله، لهذا السبب يمنع الله القتل العمد مع سبق الإصرار على هذا الذي خلقه على صورته.

ما هي العلاقة من الناحية العملية؟

ما هي علاقتنا من الناحية العملية بالوصية السادسة اليوم؟ أريد أن

أحدِّد أربعة مجـــالات نجد فيها لهذا القانون أثـــرًا عميقًا علينا في الوقت الحالي في التاريخ البشري.

← **الإجهاض**

ما الذي تقوله وصية: «لا تقتل» عن الإجهاض؟ ما هي طبيعة قضية الإجهاض؟

في عام ١٩٧٣، بعـــد الحملة التي قادها الاتحاد الســـوفيتي والمملكة المتحـــدة، أجازت الولايـــات المتحدة تشـــريعًا يعطي للمـــرأة الحق في الإجهـــاض، ولم يبن واضعـــو القوانين هذا القرار علـــى حقوق الذين لم يولدوا بعد، ولكن على حقوق الأفراد، وبصفة أساســـية فكروا أن المرأة - كفرد- لها حقوق، بما في ذلك الحق في الخصوصية، ما هو الشيء الأكثر خصوصية من جسدها؟ وبالتالي، ليس لأحد الحق في أن يتدخل فيما تفعله المرأة بجســـدها؟ يبدو الأمر منطقي، بل يبدو منطقي للغاية، لهذا وافقت المحكمة العليا على هذا البيان وأقرت القانون.

نتيجة لهذا، في الولايات المتحدة اليوم، هناك ثلاث حالات إجهاض كل دقيقـــة، بمعنى أن هناك أكثر من ٤٠٠٠ حالة كل يوم، وهذا يعني أنه منذ عام ١٩٧٣ تُقدَّر حالات الإجهاض بـ١٥ مليون حالة في الولايات المتحدة وحدها. وبما أن الكتاب المقدس يخبرنا أن الحياة الإنســـانية لها قداستها، وبما أننا نحيا في مجتمع يدمِّر بهدوء ١٥ مليون طفل لم يولدوا بعد، فيجب أن نسأل أنفسنا: «هل هذا صواب أم خطأ؟ هل هذا مقبول؟»

ربمـــا لاحظت أن الإجهاض أصبح قضية عاطفيـــة في المقام الأول؛ حيـــث يتدافـــع الناس إلـــى العيادات التـــي تُجرِي عمليـــات الإجهاض، ويحجزون الأماكن التي يترددون عليها للحصول على مشورة فيما يتعلق

بالإجهاض، يكتــب البعض لهؤلاء الذين يقوم أولادهم بعملية الإجهاض، ويحاولون أن يضعـوا كل الضغوط ويحمِّلونها على الطبيب الذي أجرى عمليـة الإجهاض، ولكن من ناحية أخرى، يكيـل الناس أيضًا كل أنواع الاتهامات عليه؛ ففي مســألة الإجهاض لدينا مسألة عامة وشخصية للغاية واجتماعية أيضًـا، فالإجهاض قضية مُربِكة للغاية، ويمكننا أن نفكر فيها من عدة وجهات نظر، فيجب أن ينظر المؤمن إلى الوصية السادســة التي تنطبق على مسألة الإجهاض في مجتمعنا اليوم.

أولاً، دعونـا نوضح ما قالته المحكمة العليا وما لم تقله؛ قالت المحكمة إن للمرأة الحق في الإجهاض بســبب خصوصية جسدها، ولكنه ليس حقًّا مُطلَقًا، ففي أول ثلاثة أشــهر لديهـا الحق في الإجهاض بناءً على طلبها، وفي الثلاثة أشــهر الثانية تحتفظ بهذا الحــق ولكن يمكن للدولة أن تضع بعض التشريعات فيما يتعلق بالإجراءات، وفي الثلاثة أشهر الثالثة يمكن للدولة -إن رغبت- أن تحظــر الإجهاض فيما عدا في حالة تعرض حياة الأم للخطر. هكذا، فإن الإجهاض أمر سليم وصائب.

والآن، لــو أن الوصية السادســة تمنعنا عن تدميــر ما خلقه الله على صورتــه، فهذا يعني الجنين في الرحم الذي هو مخلوق على صورة الله؟ لو كان الأمر كذلك فإن الإجهاض خطأ.

مــا هو الوضــع الذي يجب أن نبحث فيه بشــأن الجنين؟ لو بحثنا في الكتــاب المقدس عن إجابات، ســنجد بعض الآيات المهمة، فعلى ســبيل المثال يتحدث (خروج ٢١: ٢٢) عن موقف يتخاصم فيه الرجال فتســقط المــرأة، دون إصابة بأذى حقيقي، ويخبرنـــا الكتاب المقدس أن المخطئ يجب أن يُغرَّم بما يطلبه الزوج، وتسمح به المحكمة، وقد فسر الناس هذا بعدة أساليب:

يقـول البعض إن هذا معناه أنه إذا كان بسـبب الصراع الذي دار بين الرجال قد أُجهِضت المرأة بالمصادفة، فليس هناك أي اقتراح بأن يُسفَك دم الشخص المخطئ بناءً على أنه دم مقابل دم وحياة مقابل حياة، ويدَّعي هؤلاء الذين يناقشون الأمر بهذه الطريقة أن هذا معناه أن الكتاب المقدس لا يعتبر الجنين إنسانًا؛ لأنه إن كان يعتبره إنسانًا فسيطلب حياة ولن يطلب غرامة.

ولكن لو أنك قرأت (إرميا ١: ٤، ٥) فإنك ستجد وصفًا لاختبار النبي، فيقـول: «فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلاً: ‹قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ. وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ›» . لا يصف الله إرميا على أنه مجرد شـيء يحدث فـي الرحم، ولكنه يتحدث عن أنه يشكِّله في الرحم ويعرفه قبلما يُولد. فحتى قبلما يُولد إرميا كان الله قد خصصه كنبي.

ونجد (مزمور ١٣٩: ١٣ – ١٦) والذي به بعض الآيات القوية أيضًا:

لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ. وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا. لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ. رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي. وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا

في العهد الجديـد، نجد قصة مريم الرائعة، حيث أخبرها الملاك بأنها سـتحمل المسيح وتذهب لترى أليصابات التي حبلت فعلاً، وعندما نطقت مريم ببعض الكلمات، قفز يوحنا المعمدان الذي ما زال جنينًا في بطن أمه أليصابات، وأدرك ما يحدث.

يقول الكتاب المقدس بالتأكيد إن الجنين قادر على الدخول في علاقات، ولـــه رؤية روحية إلى حدٍّ ما، وقـــادر على قبول بعض الأهداف الإلهية، ويخبرنا تحديدًا أن الله يشكِّله، وبالتالي، يقول البعض إن ما في الرحم هو من الله منذ اللحظة التي حُبِلَ به في الرحم، وبموجب الوصية السادسة، لا يجب بأي حال من الأحوال أن نمسه.

بمـــا أننا ذكرنا كل هذا، فيجب أن نبحث في المعلومات الطبية المتاحة لدينـــا، أعطانا الأطباء اقتراحات كثيـــرة فيما يتعلق بتوقيت تحول الجنين إلى إنسان، دعني أسوق سبعة منها (ذكرها أوليفر أودونافان واقتُبِست في Norman Anderson's Issues of Life and Death).

تخبرنـــا المجموعة الأولى أن الجنين يصبح إنســـانًا كاملاً في اللحظة التي يُحبَل به فيها، وأن هذه العملية ليست عملية مرحلية؛ فعلى الرغم من أن الآخريـــن لا يصفون الحمل بأنه أمر يحدث في لحظة بل يصفونه بأنه عملية لا يمكن قياســـها بدقة، ويتفـــق كلا الفريقين أنه بمجرد حدوث تلك العملية فإن الطفل يحصل على الصورة الإلهية.

يقـــول آخرون إن المشـــكلة في النظرية الأولى هـــي أن ٥٠ بالمائة مـــن البويضات المخصَّبة تختفي مع التسلســـل الطبيعي للأحداث، وبما أن الأمـــر هكذا، فإن ٥٠ بالمائة من البويضات التي لم تُولد ولم تُشـــكَّل ولم تثبت، توجد بها الصورة الإلهية، وبالتالي ســـتذهب للأبدية دون أن توجد في أي نطاق ملموس. يخبرنا هؤلاء الناس أن الشخص يتشكل في المرحلة التي تثبَّت فيها البويضة نفســـها داخل الرحم، قبلما يكون له أي كيان مفهوم.

تخبرنا مجموعة ثالثة بأن الجنين يصبح إنسانًا عندما يأخذ شكلاً بشريًا،

ويقولــون إن هذا يحــدث عندما يكون طوله على الأقل ٣ ســم، وهو ما سيحدث فيما بين اليوم الخامس والأربعين والتاسع والأربعين من الحمل.

مــا زالت هناك مجموعة أخرى تقول إن الجنين يصبح إنســانًا عندما يتحرك، حــاول اللاهوتيون قديمًا معرفة متى يحصل الجســد على نفس ومتى تُرفع النفس، واعتقدوا أن الجســد يحصل على نفس مقابل التفكير في أننا عبارة عن جســد ونفس وروح، وعندما يتعلق الأمر بالحركة فإن الناس يعتقدون أن هناك وقت يحصل فيه الجنين على نفس، ولكي تعرف كيف تغيرت الأشــياء، قال أرســطو إن هذا يحدث ما بين اليوم الخامس والعشــرين واليوم الأربعين إذا كان الجنين ذكرًا، وما بين اليوم الخمسين واليوم الثمانين إذا كان الجنين أنثى.

هناك طريقة خامسة في التفكير تقول إن الجنين يصبح إنسانًا قابل للحياة والنمو، وهي المرحلة التي يمكنه أن يســتمر فيها دون أمه. ولدينا مشكلة مع هذا الأمر اليوم؛ لأنه مع التقدم التكنولوجي السريع فإن قدرة الجنين قد تغيرت على مدار الوقت، قالت المحكمة العليا في أيام «ســاندرا»: «ربما تكون قدرة الجنين على النمو والحركة ممكنة في الثلاثة أشــهر الأولى من الحمل في مرحلة ليســت بعيدة»، ولو حدث هذا، ســيجعل حكم المحكمة العليــا الواضح غير ذي معنى، لهذا، فإن المشــكلة هــي أننا نعتمد على الطبيب الذي نسأله والوقت الذي نسأل فيه وعلى التكنولوجيا التي يملكها.

ستحاول مجموعة أخرى من الناس أن تحل المشكلة بأن تعلن ببساطة أن الجنين يصبح إنسانًا عند الولادة وليس قبل ذلك، ولكن كيف تتعامل مع المقاطع الكتابية التي ذكرناها؟

أخيرًا ســيدَّعي البعض أن الجنين يصبح إنســانًا كاملاً بعد ســنة من

الولادة، ويقولون إنه عند هذه المرحلة يمكن مقارنة الإنسان الطفل بكل الحيوانات الأخرى في لحظة الولادة؛ لأن الأطفال البشر لا حول لهم ولا قوة مقارنةً بأطفال الحيوانات.

إلى أين يقودنا كل هذا؟ إلى ضباب كثيف؛ لأنه عندما نبحث في الكتاب المقدس والطب والمعرفة، نجد أنه من الصعب أن نحدد اللحظة التي يتحول فيها الطفل الذي لم يُولَد بعد إلى إنسان على صورة الله.

يجادل الناس بشأن هذه الصعوبة فيما يتعلق بما إذا كان الجنين شخصًا وإنسانًا كاملاً، أم شبه إنسان، أم أنه من المحتمل أن يكون إنسان. إن من يحبذون مسألة الإجهاض يطلقون عليه «شبه إنسان»، فيقارنوه بالزائدة الدودية أي أنه - ببساطة - مجرد كومة من الأنسجة، بلا أهمية، ولكن لا يمكننا أن نقبل هذا الوضع تحت أي ظرف، ولكن إلى أين نتجه؟

على الرغم من أن القضية معقَّدة، وعلى الرغم من أن هناك حالة من الشك تحيط بها، إلا أننا إذا سمحنا للجنين أن يكتمل، فسيصبح إنسانًا. وبالتالي، يجب - تحت أي ظروف - أن نشعر بالراحة لعدم الموافقة على أي تدخل قاسٍ أو غير مسؤول في هذا الأمر، فلو أنه لا يمكنني أن أحدد المرحلة التي يصبح فيها شيء ما على صورة الله، فلن أقترب من هذا الأمر. يبدو أننا - على الأقل - يجب أن نؤيد هذا الموقف.

ربما يرغب بعض الناس في مواقف أقوى، وأنا أدرك هذا جيدًا إلا أنهم يجب أن يدركوا أيضًا أننا إذا كنا نؤيد الحياة، فلابد أن نفكر في الأمر لا لصالح الطفل الذي لم يولد بعد فقط، بل من ناحية الأم أيضًا، فلابد وأن نعبّر عن اهتمامنا بالأم أيضًا، وحالتها الجسمانية والعاطفية والروحية.

يجب أن نهتم بالشـابة التي نقول لها: «عندما تجرين عملية إجهاض فأنتِ تقتلين شـيئًا على صورة الله»، ماذا سـيفعل هـذا بعواطفها؟ كيف سـيؤثر هذا عليها من الناحية الروحية؟ كيف يمكنها أن تتعامل مع العالم مرة أخرى؟

إننـا نطارد المـرأة التي أجرت إجهاضًا، وربمـا ندفعها لمرحلة من الانهيار العاطفـي أو الانتحار، يميل كثيرون ممَّن أجروا عملية إجهاض إلى الشـعور بالاكتئاب ورغبة كبيـرة للإقدام على الانتحار، يبدو لي أنه لابد وأن نناقش الأمر من جهة الطفل والأم، مما يعقد الأمور.

فـي بعض الحالات، قد يكون معنى هذا أنه يجب أن نزن حقوق الطفل الذي لم يولد مع تلك الحقوق الخاصة بالشخص الحي أي الأم. وقد وصلت الكنيسة الكاثوليكية إلى إجابة بسيطة للغاية عن هذا الأمر؛ فهي ترى حقوق الجنين في المقام الأول، أما هؤلاء الذين يؤيدون الحركات النسائية - والذين لديهم تفكير أكثر تحررًا- فيدعون أن هذا هراء، إذ يقولوا إن حقوق الأحياء أهـم بكثير من حقوق هؤلاء الذين يُحتَمَل أن يكونوا أحياء في المسـتقبل، ماذا عن الآخرين الذين يصارعون مع كلمة الله ويسألون: «كيف نجمع ما بين كل هذا؟» يجب أن نقول أمرًا أو أمرين في هذه القضية.

هل يمكننا أن نشـجِّع على الإجهاض بناءً على الطلب؟ بالتأكيد لا! هل يمكننا أن نحظر الإجهاض، بالنسبة لكل الظروف والأحوال؟ لو فعلنا هذا، فربما نزج بأنفسـنا في مواقف لا يمكننـا أن نتعامل فيها مع الاحتياجات الخاصـة بحياة الأم وحياة الطفل. ربمـا يوافق البعض على أنه إذا كانت لدى المرأة مشـكلة طبية، وتحمل طفل يهدد حياتها فلابد من اتخاذ إجراء معين، ولكن، لكي نزن بين كل تلك الأمور، دعني اقتبس من كلمات طبيب بريطاني: «على مدار أربعين سـنة في مهنة أمراض النساء والولادة، لا

يمكنني أن أتذكر إلا بعض الحالات القليلة للغاية التي تعرضت فيها حياة الأم للخطر بسبب ولادة الطفل» لابد أن نضع هذا في أذهاننا.

هل يمكننا أن نتمسك بقداسة الحياة بالنسبة لكل من وُلِد ومن لم يُولَد بعد؟ أعتقد أنه يجب أن نتخذ هذا الموقف، فإذا كنا نريد أن نتخذ موقفًا مؤيِّدًا لحقوق الأطفال الذين لم يُولَدوا بعد، وأن نقف ضد تدمير شيء خُلِق على صورة الله، فهل نحن مستعدون في ذات الوقت للاهتمام بهؤلاء الذين اجتازوا في الإجهاض ويشعرون باكتئاب شديد، وشعور غامر بالذنب، والذين قد يُقدِمون على الانتحار؟ يجب أن نتحنن على كلا الجانبين، وعندما نقنع المرأة بألا تُجهِض الجنين، يجب أن نساعدها في فترة الحمل فيما بعد ذلك، ولكننا أيضًا يجب أن نساعد هؤلاء الذين يحتاجون للغفران، يجب أن نساعد الحياة البشرية في عدة اتجاهات وليس فقط لحساب من لم يُولَدوا بعد.

← الانتحار

اليوم، لدينا مشكلة خطيرة مع الانتحار بين الشباب، فتشير التقديرات إلى أن ٥٠٠٠ شاب ينتحر سنويًا في الولايات المتحدة بزيادة ٣٠٠٠ عن عام ١٩٦٠.

يرى الناس الانتحار من جوانب مختلفة، نعلم جميعًا الأسلوب البطولي للطيار الياباني «كاميكاز»، ورأينا «روميو» و«جولييت» من وجهة نظر رومانسية؛ حيث لم يتمكن العاشقان الصغيران من الزواج، ولم يحتملا أن يفترقا لهذا أنهيا حياتهما معًا، وهكذا نرى الأسلوب المتشائم الذي ينبع من أعماق الشعور بالاكتئاب، وبصفة خاصة، لدى الشباب الذين يفتقرون إلى نظام الدعم الكافي للتعامل مع تلك العواطف.

ماذا يمكننا أن نقول عن الشخص الذي يُقدِم على الانتحار؟ هل نتفق

مع الكنيسة الأولى التي ترفض أن تجعل الشخص المنتحر يحصل على دفن مسيحي، وترفض أن تدفنه في المقابر المسيحية؟ هل نقول إن الكتاب المقدس يخبرنا: «لا تقتل»، وإنك فعلت أسوأ نوع من أنواع القتل، لأنك قتلت نفسك؟ يبدو أنه لا يمكننا أن نتخذ مثل هذا الموقف.

ومن ناحية أخرى، هل يمكننا أن نهز أكتافنا ونقول: «لا يهم، إذا كنت تريد أن تنتحر، فامضِ قُدُمًا» بالطبع لا، لأنه هناك شيء خطأ تمامًا فيما يتعلق بالانتحار؛ إذ أنه يغتصب السلطة الإلهية ويدمّر شيئًا له قيمة جوهرية. عندما يُقدِم الإنسان على الانتحار يقول للبشرية: «أعتقد أنكم لا تستحقون أن تكونوا جزءًا من هذا». فكما قال «جي كي تشيترتون»: «الانتحار هو رفض الاهتمام بالوجود، وهو إهانة لكل ما على الأرض».

يجب أن نتخذ موقفًا قويًا من مسألة الانتحار، ويجب أن نعترف بأن تدمير ما هو مخلوق على صورة الله - وبصفة خاصة نفسك - أمر خاطئ تمامًا، وبمجرد أن نقول هذا نذهب بكل اهتمام للمُنتحِر ونسأله: «لماذا لم تحصل على هذا الدعم؟ ماذا حدث لعائلتك؟ ما الذي قادك إلى هذا اليأس؟، ماذا يمكننا أن نفعل لكي نساعدك في هذا الموقف؟ كيف يمكننا أن نساعدك على تحمل عبء الأحزان والألم، على الرغم من أنك قد تجد نفسك دون نظام الدعم المناسب؟»

بمعنى آخر، لقد خلقنا الله لنقدس هذه الحياة، لهذا، دعونا نتأكد أننا لا ندلي ببيانات سلبية: «لا تقتل»، ولكن علينا أن ندلي بكلمات إيجابية وذلك بأن نكون متاحين لهؤلاء الذين يمرون بكل أنواع الظروف.

← الإعدام

ماذا عن عقوبة الإعدام؟ لو أنك راجعت كتابك المقدس فسيتضح لك

أن الكتاب المقدس يقبل الإعدام على أنه أسلوب منهجي سائد، يخبرنا (تكوين٩: ٦) بكل وضوح أن من يسفك دم إنسان، يُسفَك دمه، لماذا؟ لأن الإنسان مخلوق على صورة الله، كما هو واضح من هذه الآية.

اليوم، يستشهد كثيرون بالعهد القديم، ويقولون إن الكتاب المقدس يفرض عقوبة الإعدام، والأكثر من هذا، يقولون لنا إن العقاب يتناسب مع الجريمة. فلو أن شخصًا ما قام بتدمير شيء خلقه الله على صورته، فيمكننا أن نُظهِر أخطر فعل بأن نجعله يدفع ثمن هذا، ألا وهو حياته.

الأكثر من هذا، يدَّعي من يؤيدون مسألة عقوبة الإعدام أنه يجب أن يكون هناك رادع، فلو أننا أنهينا حياة كل قاتل، فستعرف بقية المجتمع أنه من الأفضل له ألاَّ يفعل هذا. والمجتمع بحاجة إلى الحماية من مثل هؤلاء، ويذكِّرونا قائلين: «إن تخلصنا منهم، فإننا هكذا قد حصلنا على الحماية».

يتفق المهتمون بشؤون الجريمة أنه لا بد من وجود عقاب، يجب أن يكون هناك رادع؛ لأن المجتمع بحاجة إلى الحماية، ولكن يتساءل البعض: «ألا يجب أن تؤخذ خطوات لعلاج المجرم، ولاستعادة جزء من طبيعته».

يجيب البعض بأن الوقت ما بين إصدار الحكم والتنفيذ يسمح ببعض الشفاء والاسترداد، وقد عبَّر أحد الحكماء عن الأمر قائلاً: «هناك شيء واحد جيد في عقوبة الإعدام ألا وهو، أنها تجعل المرء يركِّز انتباهه». فيشير الناس إلى هؤلاء الذين يقفون في طابور الموت ويتذكرون أفعالهم قبلما يُنفَّذ حكم الإعدام فيهم.

على الرغم من أننا ندعو لهذا المبدأ الخاص بالعهد القديم اليوم، إلا أننا لا نعممه؛ فالعهد القديم لا يطالب بتطبيق عقوبة الإعدام على

القتلة وحسب، بل وأيضًا على المثليين وعلى المراهقين العنيدين صعبي المراس، فهكذا تتعامل مع المشكلات المتأخرة، تقتلهم جميعًا، لهذا لو أننا نناقش مسألة عقوبة الإعدام، فعلى أي أساس نقرر أين نطبقها وأين لا نطبقها؟ هل نعدم المجدفين؟ هل نعدم المثليين؟ هل نعدم الأحداث المنحرفين؟ لا، نعدم القتلة. لو أننا استمررنا وطبقنا عقوبة الإعدام، أليس هذا تطبيق غير عادل؟

يمكننا - بسهولة - أن ندرك كيف أن عقوبة الإعدام مفتوحة أمام الاغتصاب، على سبيل المثال، من بين كل هؤلاء الذين يحاولون القتل، ٨٠ بالمائة من السود أدينوا، مقارنة بـ ٦٠ بالمائة من البيض. هل هذه هي العدالة العمياء؟ فنحن لا نواجه احتمالات الخطأ والتعدي وحسب، بل نفتح أنفسنا على إمكانية قسوة المجتمع عندما نطبق عقوبة الإعدام، فمثل تلك العقوبة بالتأكيد تجعل المشاركين في عملية الإعدام يتصفون بالوحشية.

مؤخرًا رأيت مثالاً على هذا من قصة سيدة كبيرة تم تنفيذ حكم الإعدام فيها في «نورث كارولينا»، وقد زارت صديقة عزيزة هذه السيدة، وهي من أوائل من طُبّق عليهم حكم الإعدام في الولايات المتحدة. أثناء انتظارها لتنفيذ العقوبة، وقد أصبحتا صديقتين حميمتين، وقد آمنت تلك السيدة وكانت لها خدمة على مستوى السجن، وعلى الرغم من أن كثيرين كتبوا طلبات نيابة عنها، إلا أن حاكم الولاية لم يعفها من تنفيذ العقوبة.

وكلما اقترب تاريخ تنفيذ الحكم، تسألها صديقتي: «هل تُفضّلين وجودي أثناء تنفيذ حكم الإعدام؟». ورحبت المرأة بذلك؛ لأنها شعرت أن هذا سيكون مشجِّعًا لها، عالمةً أن صديقتي موجودة هناك لتصلّي لأجلها وقالت: «نعم».

ذهبت صديقتي وشـــهدت تنفيذ الحكم، وبعدها بخمسة أيام اتصلت بي وقالت: «لقد رحَلت بأبشـــع طريقة يمكـــن أن تخيُّلها، لا يمكنني أن أفكر بطريقة سـليمة، لا يمكنني أن أنامٍ، فقد ظل مشهد الإعدام في ذهني مثل الكابوس، وأشعر أني على شفا أن أمزَّق، من فضلك ساعدني».

وصديقتي هذه من أكثر النســاء التقيات والموهبـات والقادرات، في الواقع إنها واحدة ممن يؤيدون حكم الإعدام، ولكنها وجدت أنه من الصعب للغاية أن تشهد تنفيذه.

بقــدر معرفتي، لو أنني كنت مؤيِّـدًا لحكم الإعدام، فهذا معناه أني أحبِّذ تنفيذه أيضًا، كيف يمكنني أن أكون مُرَحِّبًا به ومع ذلك أقول: «لن أفعل هذا بنفسي، ولكن عليك أنت أن تفعله؟» إذا كنت لا أرحب بتنفيذ الأمر بنفسي- وهــو فعلاً الوضع- فلِمَا لا؟ هذا لأني أشــعر بعدم راحة تجاه الأمر، ربما لديَّ مثل هذا الشعور بعدم الثقة؛ لأني أتساءل عما إذا كان بإمكاني أن أفعل هذا أمام الله فمن الواضح أن أعرف كل ما في الأمر، وأشعر بالراحة تجاه وضع نهاية لحياة هذا الشخص، فلا يمكنني أن أفعل هذا، هل يمكنك أنت؟

← الحرب

أخيرًا لدينا مشــكلة الحرب، كيف نتعامل مع واجب المؤمن نحو بلده فيما يتعلق بالدخول في حرب وقتل الآخرين؟ يقول أحد النشطاء: «لو أن الحكومة تقول إنه عليَّ أن أفعل هذا، وعليَّ أن أدافع عن ســواحل بلدي، فيجب أن أفعل هذا، وسأفعله تحت أي ظرف».

تختلف مواقف معارضي الحرب، ولكن كثيرين منهم يقولون: «أخبرنا الرب يسوع أنه يجب ألا ننتقم، وأن هؤلاء الذين يعيشون بالسيف سيُقتَلون بالسيف، ولا يمكنني أن أبرر هذا، فالأسلوب الذي يمكننا أن نتعامل به مع

هذه الأمور هو أسلوب الصليب، ومن الأفضل أن أموت عن أن أتسبب في موت شخص آخر».

فيما بين هذين الاتجاهين هناك اتجاه آخر اختياري: «بموجب ظروف معينة يمكن أن نبرر الدخول في الحرب، وعندما يكون هذا هو الحال، سأشعر أنه يمكنني المشاركة».

قدم القديس أوغسطينوس فكرة الحرب العادلة، وقد راج هذا التعليم على مدار السنوات، إن كنت قد نشأت في الثلاثينات في انجلترا مثلي فستعرف معنى الحرب العادلة، فقد ضَرَبت هتلر والنازية، ولا مشكلة مع مثل هذا النوع من الحروب؛ إذ شعر الجميع بالوطنية الشديدة، واندفعوا، فلم ينتظروا حتى يرتدوا الزي، بل اتجهوا إلى أوروبا الوسطى.

ولكن، بمرور الوقت، اكتشفنا أننا قد ألقينا قنبلة على «دريسدن» التي لم تكن لها أية قيمة عسكرية، ومحوناها تمامًا، ثم اكتشفنا أننا قد ألقينا قنبلة على «هامبورج» وقتلنا آلاف المدنيين، وبررنا الأمر بأنه انتقام لقنبلة لندن وكوفنتري، ولكن بدأ البعض منا يسأل: «أين العدالة في كل هذا؟، ألا ترى أن الأمور قد خرجت من أيدينا؟»

عندما ألقت أمريكا القنبلة الذرية على هيروشيما، اهتممنا بالأمر أكثر، ففي ومضة عين، تسبب الانفجار في ذهاب ٧٠,٠٠٠ شخص للأبدية، وعندما خرجت الإحصاءات لاحظنا أنه، نتيجة للحرب العالمية الثانية، فإن ٢٠ مليون روسي فقدوا حياتهم. وتمت إبادة ستة مليون يهودي، و٦,٥ مليون ألماني فقدوا حياتهم، ومات مليون من قوات الحلفاء، وبدأ كثيرون يتساءلون: «ما هذه الحرب العادلة؟» هل يمكننا تبرير موت أكثر

من ٣٠ مليون فرد في أوروبا.وحدها بهذه الطريقة؟ هل هناك أشياء مهمة للغاية تبرر فقدان تلك الحياة التي هي على صورة الله؟

طرح الناس بعض الأسـئلة الصعبة، وهي أسئلة ازدادت صعوبة مع حـرب فيتنام، ففي هذا الصراع، فقد ٤ مليون فيتنامي حياتهم، وما يقرب من ٥٨,٠٠٠ أمريكي فقدوا حياتهم أيضًا، فسـألنا: «ما هي هذه العدالة؟ أين الحق في هذا الأمر» وبدأ الناس يهتمون أكثر بالحرب.

ماذا يحدث الآن؟ لقد ابتعدنا عن مبدأ الحرب واتجهنا نحو بناء القدرات النووية، لدينا على سـطح الأرض حاليًا مـا يعادل أربعة أطنان من مادة «TNT» لـكل رجل وامرأة وطفل على قيد الحيـاة، وإن كنت تعتقد أن هيروشـيما كانت سيئة، دعني أخبرك عن غواصة بوسيدون، التي تحمل سـتة عشر صاروخًا على متنها، وكل منهم به عشر رؤوس حربية، وكل غواصة بوسيدون الآن تسـتهدف ١٦٠ من المدن السوفيتية، وكل رأس حربي له قدرة ثلاث أضعاف قوة قنبلة هيروشيما.

لقد أردنا أن نتحدث عن الحروب العادلة، ولكننا الآن نواجه مسـألة إمكانية تدمير ما أوكلنا الله عليه، فيجب أن نسـأل أنفسـنا في كل موقف: «هـل لي الحرية أن أؤيد هذا الموقف مع مجتمعي أم أني أقف ضده؟ هل أؤمـن ببعض المبادئ الكتابية، أم أنني أدخل في صراع مع تلك المبادئ، ومعناها، وكيفية تطبيقها؟»

عندما نفعل هذا، ربما نفكر كثيرًا في قضايا متعلقة بالحرب، الإعدام، القتـل الرحيم، الانتحار، وأد الأطفال، الإجهاض وكل القضايا الأخرى المتعلقـة بالحياة والموت، وعلينا أن نطبق الوصـايا العشـر على يومنا هذا.

لا يريد الناس فعلاً الدخول في صراع مع تلك القضايا؛ في مركز الدراسات الخاص بكنيستي، أعلنّا عن دورة تدريبية عن الأخلاقيات المسيحية ولم يتقدم أحد تقريبا، لهذا، أعتقد أننا يجب أن ننزعج بشأن الكيفية التي يطبق بها المؤمنون اليوم الوصية السادسة.

تذكر أنه عندما اختار الرب يسوع تلك القضية في الموعظة على الجبل قال: **«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ. وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا. يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ. وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ. يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ».**

وضح يسوع الأمر كله وحدد المشكلة الموجودة في قلوبنا؛ فكل منا قادر على المرارة والكراهية والأنانية، ولو بحثنا في قلوبنا، ربما نهتم أكثر باحتمالات حدوث هذا.

نغلب الشر

ما هي القواعد الأساسية التي يمكننا تطبيقها للتعامل مع هذه القضية؟ اقرأ (رومية ١٢: ٩) **«كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ. مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ»**، هل هناك أي شر في الحرب، وعقوبة الإعدام، والإجهاض؟ حسنًا، لا تجلس متفرجًا وتعتقد أنك بهذا تكره الأمر!

إن كنت تكره الشر، اطلب أن تتغلب عليه، لا تقف متفرِّجًا، ولكن احترس: **«لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ»**. (رومية ١٢: ١٧). لو أننا تعاملنا مع الشر بالشر فأننا بهذا نزيد الشر، فتكمل (رومية ١٢: ١٩ ١٩): **«لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ»** يجب أن نتعامل مع الشر بالخير، كيف نتعامل مع التكاثر النووي؟ لا نتعامل معه

بمزيد من الشر، هل نعالج قضية الإجهاض بنسف العيادات؟ لا، لابد وأن نكره الشر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب أن نتغلب على الشر بالخير، هل يبدو هذا غريبًا في ضوء الموقف السياسي المعَقَّد اليوم؟ ليس بالضبط.

في (رومية ١٣) يصف بولس ببساطة ووضوح دور الحكومات في هذا؛ فهي موجودة لكي تكافئ من يفعل الصلاح وتعاقب من يفعل الشر، ولكن ماذا يحدث عندما تفشل الحكومات في أداء المهمة التي عينها الله لكي تنجزها؟ كيف يكون رد فعلنا عندما تفعل الحكومات الشر؟ نكره الشر. ونقف ضده، ونسعى لكي نغلبه بالخير.

ماذا يحدث لو أن قادة الشر رفضوا أن يرجعوا عن شرهم ويأخذوا جانب الخير؟ هل نجلس ونقول: «إنها بلدي، سواء كان هذا صواب أم خطأ؟»، أم يمكن أن يكون رد فعلنا: «لن نقف مكتوفي الأيدي ونسمح بهذا أن يحدث»؟ لأننا نفهم قدسية الحياة البشرية ونعرف أن الله قد خلقنا على صورته، أتمنى لو أنه يمكننا أن نقف وندافع عما نؤمن به.

عندما نفكر في معنى دمار الحياة التي صنعها الله على صورته، وعندما نواجه قضايا الإجهاض والانتحار والإعدام والحرب ونسعى أن نفعل شيئًا تجاهها في عالمنا، فستطلب منا وصية «لا تقتل» عملاً عظيمًا للنعمة في قلوبنا، وقبلما نطبق تلك الوصية يجب أن نطلب من الله الغفران والمحبة العميقة والقوة لمواجهة الشر بالخير لكي نغير العالم.

كما طلب الله من بني إسرائيل أن يعيشوا بالوصايا لكي يُظهِروا محبتهم له، أخبرهم أيضًا: «إن كنتم تحبونني فاعملوا وصاياي».

الوصية السابعة



الحفاظ على قداسة الزواج

عادةً ما يخبرك الناس أنهم يشعرون بأن الوصايا العشر لها تأثير سلبي عليهم، ويشكون من كل تلك الأشياء التي يجب ألا تفعلها، «من الذي يريد سماع هذه الكلمات؟» نشترك جميعًا في هذا الشعور إلى حد ما، فبمجرد أن يقول أحدهم: «لا تفعل....» نصرخ في داخلنا قائلين: «بل سأفعل..»

رأيت علامة تقول: «لا تدخل»، ففكرت أولاً لماذا يكتبون: «لا تدخل؟» وفكرت في داخلي: «سأدخل هذا المكان». ما السبب وراء رد فعلي هذا؟ لأنني لا أحب تلك اللافتات السلبية، لهذا قررت، أنه إذا كنت أريد الذهاب إلى هذا المكان فسأذهب، ولا يمكن لأحد أن يقول لي: «لا تدخل».

وفيما أقرأ بقية العبارات المكتوبة على اللافتة، رأيت كلمة «مواد متفجِّرة»، عندها، أدركت أن لديهم سببًا وجيهًا وراء تلك اللافتة، ففيما وراء تلك الكلمات تكمن رسالة إيجابية، تقول: «إننا نهتم بك» والآن، إذا وضعوا علامة تقول: «إننا نهتم بك، ونهتم جدًا بحياتك، ونود أن نخبرك أن هناك بعض المواد الكيماوية في هذا المكان، وأنها يمكن أن تنفجر بموجب ظروف معينة، ويمكن أن تؤثر على جسدك». فلن أزعج نفسي بقراءة كل هذا، ولكنهم يحصلون على انتباهي بعبارة: «لا تدخل»، وتحتها يشرحون: «متفجرات» وسريعًا ما أدركت اهتمامهم الإيجابي.

مشكلة الزنا

هكذا يكون رد فعلنا تجاه الوصايا العشر: «لا تَـزْنِ». بالتأكيد، تجذب هذه الآية انتباهك، أليس كذلك؟ ولكن يبدو أنها سلبية للغاية لدرجة أننا لا نحبها كثيرًا، ولكن يجب أن ندرك أن الكلمات الإيجابية تكمن فيما وراء

السلبية؛ إذ تُظهِر اهتمام الله العميق بقدسية الزواج، فلا يمكن لأي شيء سوى الزنا أن يدمر الزواج، هذا الشيء الجميل الذي صممه الله. لهذا يخبرنا الله: «لا..» بنية إيجابية.

لم يكن مؤمنو القرن العشرين هم الوحيدين الذين يجدون مشكلات مع هذه الوصية؛ فعندما ننظر في الكتاب المقدس، نتعلم سريعًا أن الثقافات القديمة قد واجهت العديد من المشاكل فيما يتعلق بالأخلاقيات الجنسية، أشار إرميا إلى علاقات الزنا، مع جذب الانتباه إلى الكلمات التي تصف معاصريه بالحصان الجامح، لأنهم يسعون وراء زوجات أقربائهم، وقد تناول الرسول بولس أثناء خدمته لكنيسة كورنثوس موضِّحًا: «هناك شيء لا يمكن الحديث عنه، يجري في كنيسة كورنثوس، فهناك فجور جنسي لدرجة أني لا أريد أن أتحدث عن الأمر، ومع ذلك، فأنتم أيها الناس لا ترتكبون هذه الخطية وحسب، بل تفتخرون بأنكم كنيسة عظيمة، ومن الواضح أنه لا يوجد من يهتم بحقيقة أن مجتمع كورنثوس كله قد أصبح منحل جنسيًا، مما أثر على الكنيسة».

عندما خدم الرب يسوع، تحدث عن الزنا بمصطلحات غير متوقَّعة، فقال: «لو أنك اشتهيت شخصًا ما، فإنك بهذا تكون قد زنيت به في قلبك». هذا بالإضافة إلى أنه وصف الطلاق - الذي كان شائعًا - في أيامه بأنه زنا.

أشار الرب يسوع والرسل والأنبياء جميعًا إلى تفشي مشكلة الفجور الجنسي، وقد تحدث الله من خلالهم؛ لأنه رأى أن الزواج -هذا الكيان الأساسي في المجتمع- قد أصبح مُمزَّقًا.

ماذا عن أيامنا وعصرنا هذا؟ ماذا يمكننا أن نقول عن المجتمع والثقافة؟

يخبرنا بعض الناس أننا نعيش في أعظم مجتمع على وجه الأرض اليوم، ويدَّعي آخرون أنه أعظم شيء سيحدث، وبصراحة، لا أعرف أين ينظرون، لأنه عندما ننظر إلى مجتمعنا ونقارنه بالحضارات القديمة نرى أننا أمام نفس الخطر، ولكي نواجه هذا الخطر، يجب أن نفكر فيما يقوله الله في اهتمامه بالحفاظ على الزواج.

لعنة الزنا

لماذا أقول إن الزنا لعنة؟ يمكنني أن أعطيك ست إجابات عن هذا السؤال:

← يتحدى الله

أولاً الزنا تحدٍّ لله، فيقول الله: «لا تَزنِ». في كل مرة يرتكب فيها إنسان هذه الخطية، فإنه بمنتهى الصراحة يمضي قُدُمًا في اتجاه معاكس لما يقوله الله.

تذكَّر قصة يوسف، الذي عاش في أرض مصر وعمل لدى فوطيفار. سافر فوطيفار، وفيما هو مسافر، ائتمن يوسف الصغير على بيته وأعماله، وقد حاولت السيدة زوجته أن تغوي يوسف، ولكنه قاومها. وفي أحد الأيام، فيما كان زوجها في الخارج، حاولت أن تخدع يوسف وتغويه لكي يمارس الزنا معها، فأجابها: «لقد أعطاني زوجكِ كل شيء، ووثق بي». ثم مضى لما هو أبعد من ذلك، وقال: «كيف لي أن أسيء استخدام الثقة وأخطئ أمام الله» (انظر تكوين٣٩: ٨، ٩).

وضع الملك داود نفسه في موقف مشابه، وكان رد فعله مختلفًا. فقد انتهى به الأمر وقد ارتكب الزنا، وغيره من الأمور الفظيعة، وعندما واجهه ناثان النبي، تاب الملك داود، وترك علاقة الزنا مع بثشبع. في

(مزمور ٥١: ٤) يقول: «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ».

فهم كل من داود ويوسف أن الزنا فيه تحديًا لله، وهذا في حد ذاته سببًا كافيًا بالنسبة لنا، ولكن لابد وأن نعرف الأسباب الأخرى التي تجعل الزنا لعنة.

← يدمر العائلات

ثانيًـــا، يدمر الزنا العائلات؛ فالله لديه التزام نحو العائلة، وعندما كرر الله الناموس في (تثنية ٦) أمام بني إسرائيل وهم يتركون البرية ويدخلون أرض الموعد، وجَّه أنظارهم نحو العائلة وقال:

«وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ» (تثنية٦: ٧)

أعطـــى الله الناموس في إطار العائلة الصحية، فمن البداية أعرب عن اهتمامه بنسل الإنسان من خلال العائلة، فقد عبَّر بوضوح عن أن الزواج والعائلة هما الأسلوب الأمثل للحصول على نسل.

يدمِّر الزنا قدســية الزواج وخصوصيته، والزواج هو الأســاس الذي أُقيمت عليه العائلة. مؤخرًا، كتبت لي ســيدة تخبرنــي عن المشكلات التي جلبها الزنـــا على عائلتها، فقد اتخذت وزوجها موقفًا حاســمًا وقويًا ضد علاقة ابنها بامرأة متزوجــة، وتخليا عن كل عاطفة تجاه هذا الابن، وقد اتخذ الآخرون صفه ضد الأبوين.

اختبر الزوجان حزنا عميقًا بسبب زنا ابنهما، فقد رأيا عائلتهما تتمزق

أمام أعينهمـــا، إن أردنا أن نضع حدًّا لمثل تلـــك المواقف التي أصبحت شـــائعة جدًا اليوم، فعلينا أن نتفق مع الله؛ لأننا لو لم نقل ما يقوله الله عن الزنا، فإننا مخطئون.

← **تدنيس الزواج**

ثالثًـــا الزنا يدنِّس الزواج؛ فمن البداية وضَّح الله أنه عندما يجتمع رجل وامرأة معًا، فإنه يجعلهما واحدًا، فلو أن شخصين اجتمعا معًا، فقد جمعهما الله، وقد دخلا في عهد والتزام علانية أمام بعضهما البعض، وعندها فقط لديهما الحرية تحت ســلطان الله لكي يتمّما هذا الاتحاد، ويُظهِرا وحدتهما بأن يصبحا جســدًا واحدًا، بكلمات بســيطة، يعني هــذا أنه عندما يجتمع جسدان في اتحادٍ جنسي، فهذا في حد ذاته قمة اتحادهما معًا في الله. تُعتَبر إقامة أية علاقة جنســية قبل إتمام هذا الاتحاد عار، لهذا السبب، يجب أن نصر على أن ممارســة الجنس خارج إطار الزواج خطأ، ويجب أن نقف لمناصرة هذا الأمر.

والآن لو أن هناك شــخصين متزوجين، وقرر أحدهما أن يأخذ اتحاده أو اتحادها الجنســي خارج هذه العلاقة، فإن هذا الشخص يدنس ما جمعه الله معًــا. فكثيرًا ما نردد في حفلات الــزواج، ونؤكد على الالتزام الذي يطلبه الله: «هل تقبل هذه الشــابة (الرجل) أن تكون زوجة لك (زوجكِ) لكي تحيا معًا بحســب مشيئة الله في قداسة الزواج؟... هل تحبها وتعزيها وتكرمهــا في الصحة والمرض؟... هــل تترك كل الآخرين وتلتصق بها طوال الحياة؟» وتكون إجابة كل من الزوج والزوجة هي: «نعم».

إن امتنــع أي من الطرفين عن الإجابة، لــن يكون هناك زواج، وأي شــخص متزوج عليه أن يدرك أنه أو أنها دخل في عهد فريد في حضور الله، وأنه -أي الله- هو من جمعهما معًا، وعندها فقط يمكنهما أن يتمما هذا

الاتحاد بالممارســـة الجنسية، ولكن ممارســـة الجنس خارج الزواج تدمِّر مبدأ الزواج نفسه.

← **ينكر المحبة**

رابعًا، الزنا ينكر المحبة، سيخبرنا الناس في هذه الأجيال الحديثة أنهم دخلوا في علاقات لأنهم يحبون بعضهم البعض. والآن، من يســتطيع من خارج العلاقة أن يشــك في هذا الأمر؟ بالتأكيد لابــد وأن الأمر ينطوي علـــى عاطفة، إلا إذا كانت علاقة لليلـــة واحدة، ولكن يفترض أن العلاقة المســتمرة تنطوي على نوع من أنواع المحبة، ولكن المحبة تتخذ أشكالاً عديدة.

هناك ثلاث كلمات في اليونانية - وهي اللغة التي كُتب بها العهد الجديد- تصف المحبة: «Eros» والتي تعني «المحبة الشـــهوانية»، «phileo» التي تصف «محبة الشركة»، و«Agape» التي تشير إلى محبة الالتزام، وهي محبة تقول: «أنا مهتم بالأساس براحتك».

الآن، بالتأكيد يمكن أن يدخل الناس في علاقات زنا، حيث يشعرون بالمحبة الشـــهوانية، وربما يتورط آخرون فـــي علاقة؛ حيث إن تلك العلاقة أفضل ممـــا يحصلون عليه في المنزل، ولكن هؤلاء لا يحبون بعضهم البعض بالمحبة التي يريدها الله، وذلك لسبب واحد بسيط؛ لأنه لو أن شـــخصين يحبا بعضهما البعض بمحبـــة الأغابي - وهي محبة بالتزام كامل تجاه رفاهية وراحة كل منهما- فســوف تغني هذه المحبة كلا الطرفين.

لكي أكون أكثر صراحة، افتـــرض أني - كراعٍ - تورطت في علاقة زنا مع إحدى السيدات، فسيأتي الناس ممن يحضرون الكنيسة ويتساءلون

عن الأمر ويقولون لي: «ستيوارت، يجب ألا تفعل هذا، فهذا خطأ، ولا يمكن أن تشترك في هذه الخطية».

ربما أجيب: «لكننا نحب بعضنا البعض، والمحبة هي شيء من الله، فالوصية تقول: «أحبوا بعضكم بعضًا؟» فكيف سيكون رد فعل المترددين على الكنيسة؟ هل يمكن أن يقولوا لي إننا لا نحب بعضنا البعض، ربما يمكننا أن نشارك في انجذاب شهواني، يمكن أن يكون هناك عِشرَة وتوافق، ولكن لا يمكننا أن نشارك محبة الأغابي، لأن الأغابي هي التزام تجاه ما يقوله الله وراحة الآخر، فلو أن تلك السيدة متزوجة، كيف يمكنني أن أشعر بالاهتمام برفاهيتها، ومع ذلك أدمِّر زواجها وآخذها من بيتها وأولادها؟ ما الذي يمكنني أن أقوله عن زوجتي وأولادي؟ فلو أنني أحبهم فعلاً فسأكون مشغول بالمقام الأول بما لخيرهم لا بما لخيري فقط.

عندما يقول هؤلاء الذين يدخلون في علاقات زنا: «إننا نحب بعضنا البعض» فإنهم يحبون بعضهم البعض على مستوى سطحي، ولكن لا يمكنهم أن يقولوا: «إننا نحب بعضنا البعض بالمعنى الذي أراده الله، وقصده في المحبة الحقيقية». فلا يمكن للزنا أن يُظهِر أنك مهتم بالآخرين في المقام الأول؛ فهو ينكر المحبة كما يجب أن تكون.

← يستهين بالأمانة

خامسًا يستهين الزنا بالأمانة. لقد نظر الله من السماء، ووافق أن يكون إلهنا، ويدعونا أن نكون شعبه على أساس العهد القائم في جوهره على الأمانة، فيقول الله: «سأكون أمين نحوك، كن أمينًا تجاهي، اظهِر الأمانة بأن تتعامل مع الآخرين وفقًا لتوجيهاتي».

استخدم كُتَّاب العهد القديم نفس المبدأ الخاص بالعهد؛ لكي يوضحوا

لنا الأمر بكل قوة، يتحدث (أمثال٢: ١٧) عن امرأة تغوي رجلاً كما يلي: «التَّارِكَةِ أَلِيفَ صِبَاهَا. وَالنَّاسِيَةِ عَهْدَ إِلهِهَا». فلو أنني تورطت في علاقة زنا، فقد أخفقت في أمانتي تجاه زوجتي وتجاه الله.

بمجرد أن يُظهِر شـــخصٌ ما أنه غير أمين في مجال ما، فقد أظهر أنه يمكن أن يكون غير أمين في أي مجال. فلو أردنا أن ندافع عن المسؤولية والأمانـــة والالتزام فأفضل ما يمكننا فعله هـــو أن نثبت تلك الصفات في زواجنـــا لكي تبقى صحيحة بالنســـبة لعهودنا. وفيما نفعل هذا، ربما نرى أنها قد بدأت تنتشر في المجالات الأخرى.

← إهانة للناس

سادسًا الزنا يستهين بالناس، تخبرنا (رومية١: ٢٤) أنه نتيجة لموقف الأشـــرار، فقد ســـمح الله لهم أن يســـلكوا في كل أنواع النجاسة الجنسية وعدم النقاوة، ونتيجة لهذا، فقد أهانوا أجسادهم، نعرف جميعًا بوجود هذه النزعة اليوم.

يمكن أن يتســـبب الزنا في خسارة جسمانية عظيمة، لم يمضِ وقت طويل علـــى صدور أحد أعداد جريـــدة «Chicago Tribune» التي حوت مقالة طويلة عن وباء الإيدز، واقتبســـت من بعض الإحصائيات لتتوقع ما يمكن أن يحدث. يجلس كثيرون ويقولون: «حسنًا الإيدز هو مـــرض للمثليين، ولا يمكن أن أصاب به»، ووفقًا لتلك المقالة يمكننا أن نتوقع في غضون فترة قصيرة أن ينتشـــر هذا المرض بســـبب تفشي ممارســـة الجنس في أطر غير شرعية، وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن هذا يحدث الآن.

ينشـــر الزنا الأمراض التناســـلية، فلم يعد لدينا مرض «الســـيلان»

و«الزهــري» فقط، بل هناك أيضًا مرض تناســلي يُدعَى «الكلاميديا» الذي قد يصيب ١٠ ملايين شخص هذا العام.

لا تعرّض علاقات الزنا الأفراد لخســارة جسدية فقط، ولكنها أيضًا تعرّضهم لخســارة عاطفية، فعندما تقدم نفســك بكل طريقة ممكنة، ثم تكتشــف أنه قد تم استغلالك فهذا يسبب جروحًا عاطفية، فعندما تكتشف أن شــريك حياتك قد خانك، وخان العهود التي قطعها، ستشــعر بتمزق نفسي.

ما الأثر الشــائع للزنا؟ توصّل أحد الباحثين التاريخيين في دراســته لســقوط وقيام الحضارات إلى عدة نتائج، وقد قال عن بحثه: «بعد دراسة ثمانٍ وثمانين حضارة، وصلت إلى تلك النتيجة: وهي أن المجتمع البشري حر لكي يختار طاقةً عظيمةً أو يتمتع بالحرية الجنســية، والدليل هو أنه لا يمكنه أن يفعل كلا الأمرين في جيل واحد».

بمعنــى آخر، فلتقــل للمجتمع الأمريكي مثلاً إن لديــه الاختيار، إما الحرية الجنســية أو التوســع في الطاقة التي سيخرج عنها مجتمع رفيع المســتوى، فلا يمكننــا أن نحصل على كليهما. فلو أننا اســتمررنا في الطريق الذي نســلك فيه، فربما يكــون علينا أن نقبل أن مِجتمعنا يواجه أكبــر خطر؛ فالزنا يســتهين بالناس من الناحية الجســمانية والعاطفية والثقافية والروحية.

يوضح بولس الأمر قائلاً: «أَمْ لَسْــتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ. الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ. وَأَنَّكُمْ لَسْــتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟» (١كورنثــوس٦: ١٩) كيف يمكنــك أن تأخذ هذه الملكيــة الخاصة بالله وتتورط في أفعال هي في نفسها تناقض ما ينادي به؟

أسباب الزنا

عندمـــا أقف ضد الزنا، فأنا لا أقصد أن أكون غير حســـاس؛ فالزنا له أسباب تأتي من مشكلات عميقة يمكن أن نشير إليها في أربعة أسباب.

← معايير مشكوك فيها

أولاً، تفتح المعايير المشـــكوك فيها الباب للزنا؛ فسواء كنا نعلم هذا أم لا، فإننا نتصرف على أســـاس ما نؤمن به. تشكِّل فلسفتنا أساسًا لأسلوب الحياة، ولو أننا نعرف ما نؤمن به، فســـنعرف ما يجب أن نفعله، وعندما تنتابنا بعض الشكوك بشأن معتقداتنا، سنشك أيضًا فيما يتعلق بالكيفية التي يجب أن نتصرف بها.

يدرك الله أننا جميعًا بحاجة لبعض القواعد لكي نتصرف على أساسها، ويقدم لنا هذه القواعد. وفي مجال الأمور الجنسية، يخبرنا بمبدأين إلهيين واضحين إذ يقول إنه ضد الزنا، ويقول إنه ضد الفسق.

عرَّف العهد القديم الزنا على أنه «العلاقة الجنســـية بين رجل وامرأة متزوجة ولكنها ليست زوجته» لاحظ أنه سمح بمجال كبير بالنسبة للرجل المتـــزوج لكي يدخل في علاقة بامـــرأة غير متزوجة دون أن يُطلِق على هذا الأمر أنه زنا، يأتي هذا المعيار المزدوج من الأسلوب الذي ينظر به الناس للمرأة على أنها ملكية وليســـت شخصًا، لهذا فإن الوصية العاشرة تخبرنا: «لا تَشتَهِ ....قَريبِكَ»، وقد أدرج زوجته؛ فهي ملك له.

ارتفعت مكانة المرأة من خلال خدمة المسيح والرسل، وبعدما حصلت النساء على مزيد من الحرية والرفعة، طالبن بتغيير تعريف الزنا، والآن، نرى أن الزنا يُعرَّف بأنه «العلاقة الجنســـية غير الأخلاقية بين شخصين متزوجين، ولكنهما ليسا زوج وزوجة»، ولكن لا تسمح لهذا التعريف أن

يجعلك تفكر أنه يعطي لغير المتزوجين الحرية لممارسة الجنس؛ فهناك كلمة أخرى لهذا، في اليونانية «porne»، وهي الكلمة التي أخذنا منها كلمة «pornography» الإباحية، تعني «فسق» وهي تصف الممارسة الجنسية غير الشرعية بين غير المتزوجين. لا يتعامل الكتاب المقدس بحساسية مفرطة تجاه أي من الأمرين، إذ أنه يتناولهما بمعاييره الواضحة والمباشرة ويدينهما.

إلى جانب تلك المعايير، تأتي الأعراف المعاصرة، والتي تتخذ اتجاهًا مختلفاً تمامًا، فبمقارنتها مع تلك العبارات التي تبدأ بـ«لا...»، يبدو أنها أكثر جاذبية، فعندما يصيغ من يؤمنون بتلك الأشياء فلسفتهم في عبارات، فإنهم يستخدمون عبارات ومصطلحات مفهومة، بل وتدعو الجميع لممارسة هذه الأمور، على سبيل المثال، فإن من يدافعون عن كل أنواع الاتصال الجنسي يقولون: «إننا نناصر الأمانة لا الرياء، ونعلم ما يدور وراء سلوكيات هؤلاء الذين يترددون على الكنيسة، ولكننا لسنا هكذا، إذ أننا لسنا مرائين، بل أمناء». حسنًا هذا جيد، بناءً على أعرافهم، فإن مجتمعنا المعاصر لن يُخرِج مرائين، ولكنه سيُخرِج أناس أمناء حقيقيين، وعندما نبدأ في التغلغل إلى ما وراء السطح نكتشف أن تلك «الأمانة» المزعومة، ما هي إلا مجرد تسمية أخرى للرياء!

على سبيل المثال، ربما يقول هؤلاء الذين يدعمون مثل تلك المعايير: «لديَّ علاقة ليس لها معنى في المنزل، ولكن تلك العلاقة مهمة بالنسبة لي»، وتغطي كلمة «مهمة» الكثير من الأشياء، وكل أنواع الأشياء، وتصبح كلمة مطاطة وتبدو وكأنها كلمة رائعة ولكنها بلا معنى.

يتحدثون أيضًا عن النضج قائلين: «نريد أن نتصرف كبالغين

مسؤولين، ونريد أن نتصرف بانفتاح ونضج فيما يتعلق بهذا الأمر، يجب أن ننظـــر للعالم في وجهه ونقول: ‹أيها المرؤوان، هذه علاقة مهمة، فإننا بالغون ومســـؤولون›» ولكن هؤلاء الناضجين يدمِّرون شـــركاء حياتهم وأطفالهم أينما ذهبوا.

← **جنس بلا قيود**

الجنس الذي بلا قيود يجعل النـــاس يدخلون في الزنا، وقد أعطانا الله اتجاهًـــا للجنس، فهو يريد عالم مأهول بالنـــاس ويعرف كيف يفعل هذا، فالاتجاه الجنسي هو ظاهرة، ولكن الجميع يعرف أن أي ذَكَر بصحة جيدة يمكنه أن يعمِّر مدينةً صغيـــرةً بمجرد أن نعطيه الفرصة، لهذا، علينا أن نمنعه، فلابد من وضع بعض الحدود عليه.

حســـنًا، الله الذي خلق تلك النزعة الجنســـية وضع حدود عليها أيضًا، ولكننا لا نريد أن نقبل تلك الحدود. لقد أوجد الله النار التي يمكن أن تخرج عن نطاق الســـيطرة، والماء الذي يمكن أن يســـبب الطوفان، وكل أنواع الأشياء التي قد تسبب لنا المشكلات إن لم ننتبه إليها.

أيـــن نجد الحدود على الجنس اليوم؟ فوســـائل الإعلام تحوله إلى أمر ملموس، وضغوط مماثلة تخبرنا بأمور كثيرة عنه.

بكل فطنة، قال ســـي أس لويـــس: «هناك أناس يريـــدون أن يجعلوا غريزتنا الجنســـية مشـــتعلة لكي يجنوا أموالاً منهـــا»، هذا طريف أليس كذلك؟ ويســـتمر: «فالرجل الذي لديه شيء ما يستحوذ على تفكيره، يقاوم المبيعات بدرجة قليلة للغاية» فكر في هذا.

فيما نواجه كل أنواع الضغوط بشـــأن ميولنا الجنســـية، نضع معايير

محددة، وإلا سـيتغلب علينا الجنس الذي بلا قيود إن عاجلاً أو آجلاً مُخلِّفًا وراءه إما فسق أو زنا.

← رغبات غير مُشبَعة

كثيرون لديهم زيجات غير مرضية اليوم، فيقول هؤلاء الأزواج: «أمر قاسٍ» أو قد يقولون «أنت من صنعت لنفسك هذا الفراش فنم عليه»، ولكن تغيرت الاتجاهات في السنوات القليلة الماضية تغيرًا ملحوظًا، فلو أن رجلاً ما يشعر بعدم الرضا تجاه زواجه، فلا يمكنه أن يواجه أولاده الذين يتسببون في الصخب وزوجته ومنزله الذي يبدو مثل ناجازاكي بعد سقوط القنبلة الذرية، فليس عليه أن يفعل هذا، ولكن يمكنه أن يدخل في «علاقة ذات معنى» ففي مكان مختار بعناية، مع بعض الجبن والخمر، يتقابل هذا الرجل مع تلك السيدة الجذابة «أشعر بالجنون؛ لأني سأذهب إلى منزلي- إلى تلك البقعة التي بها الكارثة - في حين أنه يمكنني الاستمتاع بساعة هادئة» إنه أمر بريء ويمكن فهمه؛ فهو يعاني من زواج غير مُرضٍ ورغبات غير مُشبَعَة بالإضافة إلى فُرَصٍ غير محدودة، وهو يستغل هذه الفرص، هكذا يحدث الزنا.

ماذا عن الرجل في منتصف العمر؟ عندما نتناول مسألة أزمة منتصف العمر، نفعل كل الأشياء التي يمكن أن تخطر على بال؛ لأننا نريد أن نثبت أننا كرجال لا زلنا مرغوبين، أليس كذلك؟ لا، إننا فعلاً غير متأكدين فيما يتعلق بمدى جاذبيتنا، مهما كلفنا الأمر، ويمكننا أن نكتشف هذا بأن نجرب واحدة أصغر، فلا يمكننا أن نتصرف كما لو أننا فوجئنا عندما نرى امرأة تفعل نفس الأمر مع الرجال الأصغر.

لماذا يحدث الزنا؟ لأن الناس لديهم زواج لا يرضيهم، وفرص غير

محدودة، فهم يشعرون بالوحدة وبعدم الأمان، وعدم الثقة وعدم التقدير، وعندما يجدون شخصًا ما يهتم بهم، ويقدِّرهم ويبدو أنه وسيم، يدخلون معه في «علاقة ناضجة وذات معنى» وهكذا، فإنهم على حافة الانزلاق لكارثة.

← أسلوب حياة غير منضبط

يقول يسوع: «لو أن عينك... اقتلعها»، و«لو أن يدك اليمنى أتعبتك فاقطعها، فخير لك أن تدخل الحياة وقد فقدت عضوًا من أعضائك....» حسنًا يبدو أن هذه الكلمات وراءها منطق قوي، ولكنها أيضًا مغالاة.

أخذ بعض آباء الكنيسة الأولى هذه الكلمات بمنتهى الجدية، وأخصى أحدهم نفسه؛ لأنه أخذ كلمات المسيح بحرفية في صراعه مع رغباته الجنسية، لقد أراد المسيح أن يوضح أنه لو أنك تريد أن تتجنب الدخول في علاقة جنسية غير مشروعة، فعليك أن تضع نظامًا لحياتك، لا تقلع عينيك، ولكن الغِ اشتراكك في مجلة «Play boy»، وتوقف عن سداد اشتراك قنوات معينة لتليفزيونك، تمثل الصور الإباحية مشروعًا بقيمة ٢بليون دولار في أمريكا اليوم، لماذا تستحوذ تلك الصناعة على كل هذه الأموال؟ لأن لها الكثير من الزبائن - وكثيرون منهم يجلسون في كنيستك يوم الأحد صباحًا - ببساطة يُظهِرون أسلوب حياة غير منضبط.

مع هذا الأسلوب غير المنضبط، والرغبات غير المُشبَعَة، والأمور الجنسية التي بلا قيود - والتي تقوم على معايير مشكوك فيها - فستؤدي كل هذه العوامل حتمًا إلى علاقات جنسية غير شرعية لا في الأفكار وحسب، ولكن في الأفعال أيضًا.

← **إذن، ماذا الآن؟**

لا أريد إن أقول إن هذه الظروف غير موجودة، لا، فهي موجودة، أفهم الزيجات السيئة، والشعور بالوحدة وعدم الأمان وكل الأشياء التي يمكن أن تقود الفرد تجاه العلاقات الرومانسية غير الشرعية، ولكنني أدرك أيضًا أن الافتقار إلى المعايير، وأسلوب الحياة غير المنضبط، والرغبات غير المُشبَعَة تخلق خليطًا يمكن أن ينفجر.

لماذا نقع في مثل تلك المواقف؟ في بعض الأحيان، يرجع ذلك لأننا لا نطلق على الخطية أنها «خطية» ولكننا نستبدل هذا اللفظ بكل أنواع الكلمات المهذبة التي تجعلها أقل من سيئة، حتى يمكننا أن نعيش في الخطية، لأننا لا نريد أن نهاجمها. أين أخطأنا؟

لا يمكننا أن نقاوم الأشياء الجذابة جنسيًا التي تجري حولنا، ولا يمكننا أن نقاوم تلك الأشياء التي تستهدف آذاننا وأذهاننا، قال «مارتن لوثر» كلمة جيدة في هذا الشأن: «لا يمكنك أن توقف الطيور عن الطيران فوق رأسك، ولكن يمكنك أن تمنعها من أن تبني عشها في رأسك». لو أننا أطلقنا على رغباتنا وشهواتنا - التي نتغذى عليها ونهتم بها - اللفظ السليم ألا وهو «خطية»، فإننا في أعماق قلوبنا سنفهم جاذبية الخطية ونتجنبها.

علاج الزنا

كيف يمكننا أن نوقف الزنا؟ لدينا علاجان: الدواء الوقائي، والدواء العلاجي. ولو كان لديك اختيار، فخذ نصيحتي واتجه نحو الوقائي!

← **الدواء الوقائي**

كيف نمنع الزنا؟ أولاً، نتفق مع الله بشأن ما يقوله في هذا الموضوع، ثانيًا، ندرك أهمية النمو في النعمة. تضع (كولوسي ٣) و(غلاطية ٥)

أعمال الروح مقابل أعمال الجسد، والله يطلب منا أن نحيا في الروح، لا على أساس رغباتنا الجسدية، فيجب أن نتفق معه بشأن أهمية المسير معه.

بمجرد أن نتفق مع الله، ونبدأ في تغذية حياتنا الروحية، يمكننا أن نقيم عائلات صحيحة بناءً على تغذيتنا بحسب بعضنا بعض للحياة الروحية، وهذا يشتمل على علاقة جنسية سليمة في الزواج؛ لأنه لا يمكنك أن تنعم بزواج صحي لو أن علاقتك الجنسية ليست قوية، لهذا، اتفق مع الله بشأن ما يقوله، وقل: «أؤمن، وأصدق هذا» أقم حياتك على النمو الروحي في النعمة، وتخلَّ عن الأشياء القديمة والبس الحياة الجديدة في المسيح، ودع هذا الأمر يتدفق في علاقة زواجك.

هناك تعبير جميل في (ملاخي٢: ١٥): «... فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ». التي تصف كيف يمكننا أن نتجنب الخطية. ذهبت في إحدى المرات لحضور فيلم وبعد عدة أيام، تلقيت رسالة من شخص كان قد ذهب لمشاهدة الفيلم في ذات الوقت ثم خرج، وقد رآني هناك، ولم أخرج، فأراد أن يعرف سبب عدم خروجي، بالنسبة للإجابة، كان عليَّ أن أجلس وأبحث في قلبي عن السبب وخرجت بصفحتين أو ثلاث وكلها أسباب مشروعة.

بعض الناس يمكنهم أن يتحملوا أمورًا معينة لا يستطيع آخرون تحملها. أنظر إلى كأس الخمر، ولا يزعجني أبدًا، أما الذين يدمنونه فلا يمكنهم النظر إلى الكأس، يمكنني أن أنظر إلى طبق الطعام، ولو قررت أنه كبير جدًا أو أني لا أريد أن آكل هذا النوع، بكل بساطة يمكنني أن أفعل هذا، آخرون لا يمكنهم. هناك أشياء تثير بعض الناس، لدرجة أنه لا يمكنهم التحكم في أنفسهم، ولكنها لا تزعج الآخرين على الإطلاق.

ماذا نفعل في مثل هــذه المواقف؟ نحترز لأرواحنا، فيجب أن نعرف أمام الله ما يمكننا التعامل معه وما لا يمكننا؛ فعلينا أن نهذِّب أنفسنا، فهذه هي الوقاية.

← الدواء العلاجي

ماذا عن الدواء العلاجي؟ في أحد الأيام، واجه ربنا يســوع في الهيكل بعض اليهود الذين أوقفوا أمامه امرأة أُمسِــكت في الزنا، وجربوه قائلين: «قال موسى إن مثل هذه تُرجَم، فماذا تقول؟»

أجاب يســوع: «من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر»، ثم بدأ يكتب على الأرض، وانسحبوا واحدًا تلو الآخر، ثم التفت الرب للمرأة وقال لها: «مغفورة لكِ خطاياكِ، والآن اذهبي ولا تخطئي».

اجمع هذا كله معًا وســتجد بعض الحقائــق الجميلة في هذه القصة، المذكورة في (يوحنا ٨)، أولاً، ستكتشــف مُخلِّصًا مُحِبًّا يغفر، فلو أن أي شــخص مذنب بالزنا في أي شكل من أشــكاله يتوب ويعترف ويتركه، فحتمًا سيغفر له الله، ولكن هذا الغفران كلف المسيح حياته على الصليب، فلم يأتِ الغفران رخيصًا، إذ يتطلب الدواء العلاجي روحًا تائبةً، ومخلِّصًا مُحبًّا ومجتمعًا مهتمًّا.

ماذا عن المجتمع المهتم؟ لن أنســى أبدًا اليــوم الذي افتتحنا فيه مبنى الكنيســة الجديد، فقد أتى «بن هادن» وهو خادم في الكنيســة الرسولية الأولى بشــاتنجوا وقدم العظة الافتتاحية مــن المنبر. وأخذ هذا النص «لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ. وَلاَ سَــارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَــتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ». (١كورنثوس ٦: ٩، ١٠).

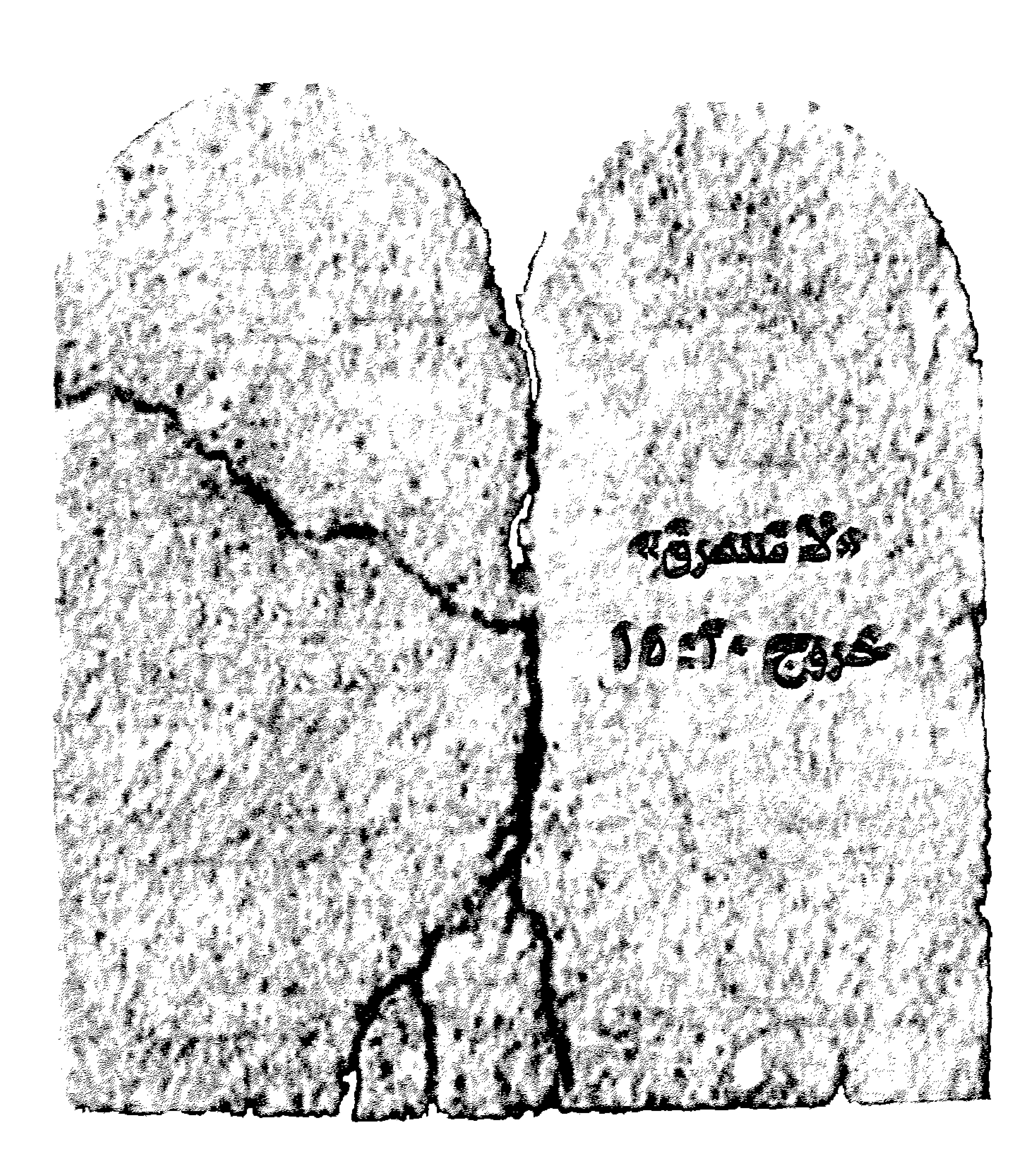
عندما سمعت النص، فكرت: «بن، ما هذا الذي تفعله؟» ولكن، عندما قرأت الآية التالية أدركت أنه خطط لما سيقوله: «وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ. بَلْ تَقَدَّسْتُمْ. بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا».

مضى بن ليخبرنا أنه بما أننا حصلنا على مبنى جديد فلا يجب أن نكون مغرورين؛ لأن في هذا المبنى سنجمع الخطاة الذين غفرت خطاياهم، فهو لا يدين الخطية أو الخطاة، فالكنيسة تعظ عن محبة ونعمة وغفران المسيح، فهذا يؤثر في هؤلاء الذين يتوبون عن خطاياهم ويطلبون غفران الله ويعيشون بأمانة معه.

أخيرًا، من يتوبون هم بحاجة لعائلة غافرة، فلو أنك تريد أن تعرف معنى الغفران لهؤلاء الذين شاركوا في هذا النوع من الخطية اقرأ سفر هوشع من العهد القديم، فقد تزوج هوشع النبي من عاهرة تدعى «جومر»، وبعد عدة سنوات من زواجهما ارتكبت الزنا، وسامحها هوشع بطريقة رائعة، ونحن جميعًا مثل جومر ابتعدنا عن الله، ويجب أن يكون لدينا حنين هوشع تجاه الآخرين، تذكَّر دائمًا أن من غُفِر له كثير يحب كثيرًا، وهذا ينطبق على كل المؤمنين الذين غُفِر لهم كثير يتحولون هم أيضًا إلى غافرين؛ لأنه عندما ننظر حولنا يمكننا أن نقول: «إنني أنتمي لهذا المكان بسبب نعمة الله فقط».



الوصية الثامنة



التعامل مع الممتلكات بطريقة سليمة

لـــم يمضِ وقت طويل على الغداء الذي تناولته مع «جورج جالوب»، وهو من مؤسسة «جالوب لاستطلاع الرأي»، كان هناك آلاف الأشخاص، وأُتيحت لي الفرصة لكي أتحدث معـــه بعد العرض الذي قدمه، وعرفت الكثير عن المؤمنين اليوم.

أخبرني أنه على الرغم من انتشـــار المســـيحية فـــي أمريكا، إلا أن الأخلاق انحدرت، كيف عرف هذا؟ تجري مؤسســـته استطلاعًا للرأي في الولايات المتحدة، وقد وجد زيادة في عدد من يحضرون الكنيســـة، وكذلك من يقـــرأون الكتاب المقدس، ولكن، عندما أجرى اســـتطلاعًا بالتعاون مع صحيفة «Wall Street» يطرح أسئلة بشأن المصروفات والضرائب على الدخل، لاحظت مجموعته أن نســـبة كبيرة لا ترى أن الغش في هذه الأمور سرقة؛ فقد اعتقدوا أن هذا الغش على ما يرام، بل لم يتغير هذا الاتجاه ســـواء بين هؤلاء الذين يترددون على الكنيســـة أو مـــن لا يترددون عليها، وخلص جورج جالوب إلى أن كثير من هؤلاء الذين يدَّعون اهتمامهم بالمســـيحية لا يسمحون للمسيحية أن تؤثر على أخلاقياتهم.

ينظر كثيرون منا - مثلهم مثل رجال الأعمال - نظرة قاصرة على ما يُعتَبَر ســـرقة، وعلينا جميعًا أن نبحث فيما يقوله الكتاب المقدس بشأن هذا الموضوع.

تخبرنا الوصية الثامنة بكل وضوح: «لا تسرق»، في الواقع إن النص العبري عبارة عن كلمتين مثله مثل العربية ألا وهما «لا تســـرق»، هكذا بطريقة مباشرة للغاية، أليس كذلك؟

ما هي أشـــكال وأحجام السرقة؟ اثنان: السرقة من الناس، والسرقة من الله. دعونا نرى كيف نفعل كلا الأمرين.

السرقة من الناس

إن السرقة من الإنسان لا تعني مجرد سرقة النقود، فربما نحرم الإنسان من أي عدد من الحقوق بالسرقة.

← الحرمان من الممتلكات

أولاً ربما تأخذ ممتلكات الشـــخص، ما معنى هذا؟ اسأل عددًا قليلاً من الناس عن تعريف الممتلكات، وستدخل في مناقشة مثيرة؛ نظرًا لاختلاف الأفكار المتعلقـــة بهذا الأمر. نعرف جميعًا الفكرة الشـــيوعية القائلة بأن الممتلكات ملك الدولة، وندرك أن الرأسماليين يقولون إنها تنتمي للأفراد. ولكن، كم منا يدرك التعاليم الكتابية بشـــأن هذا الموضوع؟ لكي أوجزها سريعًا، فإن الكتاب المقدس لا يتفق مع أي من وجهتي النظر.

بالتأكيد، يعلمنا الكتاب المقدس أن الملكية شيء ضروري وحقيقي يجب أن نأخذه من الشـــخص الذي يملكه، تخبرنا بعض القوانين في (تثنية٢٤) أنـــك لو أخذت ضمانًا مقابل دين شـــخص، فيجب أن تكـــون حذرًا تجاه ما أخذته. فعلى ســـبيل المثال، لا يمكنك أن تأخـــذ مطحنة الحبوب؛ لأنه يستخدمها في طحن الذرة، ويحصل على دقيق لكي يصنع خبزًا ويعيش، ولا يمكنـــك أن تأخذ رداءه وتحتفـــظ به؛ لأنه قد يتجمد إلى حد الموت في الجو البارد، وهو بحاجة لهذا الرداء.

ومـــاذا أيضًا؟ تخبرنـــا (تيموثاوس الأولى٦: ٨) أنه يجب أن نشـــعر بالرضا تجاه البيت والطعام والثياب. يخبرنا الكتاب المقدس أن لدينا الحق فـــي تملك ما نحتاجه، وأنه يجب ألا يأخذه أحد منا، في الوصية العاشـــرة

«لا تشتهِ...». ونرى قائمةً بما هو حق لنا. ولكن، كم منا يشعر بالرضا تجاه هذه القائمة؟ نريد الحصول على موافقة بملكية أي شيء نريده، الله لا يعطينا هذه الموافقة أو هذا النوع من الحقوق التي قد نعتقد أنها تحق لنا، فيعلِّمنا الكتاب المقدس أنه حتى الأملاك التي لنا حق فيها، فإننا لا يجب أن نتمسك بها بشدة، وفيما يلي تعليم الكتاب الذي يختلف عن الفكر الشيوعي والرأسمالي.

على الرغم من أننا نحتاج إلى أشياء معينة ولنا الحق فيها، إلا أنها ليست حق مطلق، يخبرنا (مزمور ٢٤: ١) «للرَّبِّ الأَرضُ ومِلْؤُهَا...» والتي تعني ببساطة أن كل شيء في الوجود ملك لله، وهذا يشمل ما تملكه؛ بيتك هو للرب، والأرض التي تجلس فيها هي للرب، والسيارة التي تقودها هي ملك للرب، كل ما لك، وكل ما وصلت له هو للرب؛ فقد أعطاك امتياز أن يوكلك عليها. وعندما يسرق شخصٌ ما من آخر ملكيته فهو لا يأخذ شيئًا يحتاجه هذا الشخص فحسب، ولكنه أيضًا يأخذ شيئًا ائتمنه الله عليه. وبالتالي، فإن السارق يحرم الله في هذا الشيء، وقد أخطأ في حق الله، ولا يمكنك فعلاً أن تفصل بين السرقة من الإنسان والسرقة من الله.

← الحرمان من الحرية

إن معنى السرقة ليس هو أن نأخذ ممتلكات الشخص فحسب، ولكن، ربما نحرمه من حريته، حريته في أن يكون ما يريده وحريته في أن يفعل ما يريده، وهي الأفعال التي تصاحب النظم الشمولية. ولكن، على الرغم من أننا نتمتع بالحرية في بلادنا، دعونا لا ننسى أننا أيضًا قد نحرم شخصًا ما من نوعية الحرية التي يريدها الله له.

ما معنى أن تحرم شخصًا ما من حريته؟ يقدم لنا الكتاب المقدس مفتاحًا في نظرته لمسألة العبودية، وهي نظرة مختلفة تمامًا عن نظرتنا. يخبرنا

الكتاب المقدس أن العبد ملك للرب، بمعنى آخر، قد يكون هناك شخص ملك لشخص آخر، وربما يحرمه من حريته، ولكن المالك يجب أن يتذكر أن العبد ملك لله، وعلى الرغم من أنه ليس لديَّ عبيد، إلا أنني أيضًا قد أحرم شخصًا آخر من الحرية التي أعطاها له الله.

في زمن العهد القديم، إن سرق أحدهم لم يكن يذهب إلى السجن، حيث يمكن أن يتلقى دروسًا من المجرمين، حتى لا يُقبَض عليه في المرة القادمة. في ذلك الوقت، كان هناك أسلوب أفضل، فقد بذلوا قصارى جهدهم حتى يضمنوا حصول من سُرقوا على تعويض ضعفين أو أربعة أضعاف أو خمسة أضعاف القيمة التي سُرقت، ولكن لو اختطف شخصٌ ما شخصًا آخر، وحرمه من الحرية التي منحه الله إياها، فإن العقوبة هي الموت، فحرمان شخص من حريته جريمة خطيرة.

← **الحرمان من الكرامة**

تحرم السرقة شخصًا آخر من كرامته؛ فلكل شخص سمعة وشخصية معينة، فلو أننا أخذنا سمعة شخص ما وشخصيته منه، فإننا بهذا ندمره ونلطخه وقد سرقنا مما له.

في (أعمال ١٩) يمكننا أن نرى مثالاً واضحًا على هذا، فقد ذهب بولس إلى أفسس ووعظ هناك، وحَظِيَ باستجابة المستمعين لدرجة أن كثيرين تركوا عبادة أرطاميس، وقد أثر هذا على تجار الفضة، الذين يقضون معظم أوقاتهم يعملون منتجات من الفضة ومزارات لأرطاميس، وقد تضايق ممثل صناع الفضة في أفسس، وكان ديمتريوس المسؤول الذي قرر الثورة على هذا الوضع. وجاءت مجموعة من الناس إلى الإستاد والذي لا زال بإمكانك أن تراه إن ذهبت لزيارة أفسس اليوم، وقد اشتكى ديمتريوس قائلاً: «هؤلاء الرجال يسرقون الآلهة من عظمتها»

يمكننا أن نفعل هذا مع الناس أيضًا، فيمكن أن نحرم شخصًا ما من عظمته ومن كرامته، ومن جوهر شخصيته، وهكذا، فإننا نسرق من ذلك الشخص ما استثمره الله فيه.

عندما نحرم شخصًا ما من العدالة، فربما نحرمه من كرامته، فيصف (إشعياء ١٠: ١ – ٣) هذا بكلماته: «وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقْضُونَ أَقْضِيَةَ الْبُطْلِ، وَلِلْكَتَبَةِ الَّذِينَ يُسَجِّلُونَ جَوْرًا لِيَصُدُّوا الضُّعَفَاءَ عَنِ الْحُكْمِ، وَيَسْلُبُوا حَقَّ بَائِسِي شَعْبِي، لِتَكُونَ الأَرَامِلُ غَنِيمَتَهُمْ وَيَنْهَبُوا الأَيْتَامَ. وَمَاذَا تَفْعَلُونَ فِي يَوْمِ الْعِقَابِ، حِينَ تَأْتِي التَّهْلُكَةُ مِنْ بَعِيدٍ؟ إِلَى مَنْ تَهْرُبُونَ لِلْمَعُونَةِ، وَأَيْنَ تَتْرُكُونَ مَجْدَكُمْ؟» لا يرسم الله بكلماته صورةً جميلةً لنتائج هذا النوع من السرقة، أليس كذلك؟

← **الحرمان من الفرص**

ربما نسرق من شخص آخر بأن نحرمه من فرصة، فعلى سبيل المثال، لا يدرك البعض أنه عندما يسرقون من صاحب العمل فإنهم يحرمونه من الحق في تحقيق فائدة، لهذا لا يطلقون على مثل تلك الأفعال سرقة. يخبرنا الكتاب المقدس في رسالة بولس إلى تيطس، بأنه يجب أن يتعلَّم العبيد ألا يسرقوا من سادتهم.

الآن، ربما يشعر بعضنا بأننا مثل العبيد، ولكن حياتنا لا يمكن أن تُقارَن بتلك المذكورة عن العبيد المذكورين في العهد الجديد. فعلى أكثر تقدير، قد تشعر أن شركتك لا تدفع لك ما يكفي مقابل ما تفعله، أو أنهم يحققون الكثير من الربح. ونتيجة لهذا، قد تشعر بالراحة لأنك تسرقهم، ولا تطلق على هذا «سرقة» ولكنه سرقة.

لقد طوَّرنا عدة أساليب للسرقة من أصحاب العمل اليوم، أحدها ادِّعاء

المرض في حين أنك لســت مريضًا، وأنت بهذا لم تكذب فحسب، بل سرقت أيضًا. ولكن، يعتقد معظم الناس أن هذا حقهم، فلديك الكثير من أيام الإجازات والكثير من الإجازات المرضيـــة. فربما تفكر هكذا: «لم أمرض ولكن لديَّ الحق في الحصول على تلك الإجازات المرضية، وبالتالي، سأتصل ببساطة بمكان عملي وأخبرهم بأني مريض، وســأحصل على تلك الأيام». وهكذا، فإنك ستسرق من صاحب العمل حقه في يوم عمل كامل بأجر يوم كامل.

ربمـــا لا تدَّعي المرض، ولكن، ربمـــا توقَّع الحضور متأخرًا أو توقع بالانصراف مبكرًا وتكذب بشأن هذا الأمر، أو تأخذ فترة راحة أطول من المسموح بها، ربما تأخذ إلى منزلك مواد ليست من حقك، أو تقوم بإجراء مكالمات هاتفية لم تُمنَح لك حرية إجرائها.

أو ربما تحرم شخصًا آخر من فرصته بأن تحرم الحكومة من حقها في الحكم. فقد أوضح الرب يسوع الأمر هكذا: «أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ» (متى ٢٢: ٢١)، وقد جادل الناس بشأن تلك الكلمات منذ أن قالها يسوع.

عندما تريد الحصول على مناقشـــة عظيمة، فلتثر مســألة الحكومة، وتحدث عن الضرائب، وأضمن لك أن كل شخص ليست له علاقة بالكتاب المقدس سيكون له الكثير ليقوله بشأن هذا الموضوع، فلدى الناس وجهات نظر محددة بشأن هذه الموضوعات.

يعلمنا الكتاب المقدس أنه يجب أن نسدد الضرائب، وإن لم نسددها فهذا ليس غشًا بل سرقة.

في الولايات المتحدة، هناك أســاليب شرعية لتغيير الحكومة، فلو أننا

نعتــرض على الضرائب، فيمكن أن يكون هناك إصلاح. ولكن، كمؤمن، ليست لي الحرية لكي اتخذ وسائل غير شرعية لأغش الحكومة، وبالتالي أنكــر الغرض الذي شُــكلت لأجلــه الحكومة، ربمــا لا تعجبك الطريقة البيروقراطيــة التي تصرف بها أموالــك، ولكن هذا لا يعطيك الحق لكي تسلب الحكومة من حقها وفقًا لقانون البلاد.

مؤخرًا، اقترح شخص ما أن أفضل طريقة للتخلص من عجز الميزانية فــي أمريكا هو أن يســدد الناس الضرائب المتأخرة، وفي وقت قياســي سنســدد عجز الميزانية، فإن أمراضنا الاقتصادية تعكس مشكلة أخلاقية أساسية، فعلى الرغم من أننا ندَّعي أننا متدينون وصالحون إلا أننا مذنبون بالسرقة من صاحب العمل والحكومة.

← **الغني والفقير**

كثيرًا، عندما نفكر في السرقة، نفكر من منطلق هؤلاء الذين لا يملكون، أي المُعدَمين، ونتحدث عن هؤلاء الذين يملكون على أنهم يملكون، ولكن فعليًا هذه الأشــياء ليست ملكهم. في العالم، لدينا انقسام بشأن هؤلاء الذين يملكون ومن لا يملكون، فمن يملكون هم هؤلاء الذين يملكون الأشياء التي لا يملكها المُعدَمون.

لو أنك من ضمن فئة من يملكون، فستفكر أنه سيكون من الأفضل لو أنك أكملت حياتك بهذه الطريقة. ولســوء الحــظ، فإن هؤلاء الذين لا يملكون لن يسمحوا لك بهذا، لأنهم يريدون ما بيد من يملكون. لهذا، فإن الفكرة الطبيعية للسرقة تخبرنا بأن من لا يملكون يأخذون ما لدى من يملكون.

يقول الكتاب المقدس القليل نســبيًا بشأن هذا النوع من السرقة، ولكنه يقول الكثير عمَّن لديهم ويســرقون ممن لا يملكون. تسأل: «ماذا؟» «إن

السـرقة هي أن يأخذ من لا يملكون ممن يملكون، أريد الإبلاغ عن حالة سطو، فإنهم هم من يسرقون، إنها سرقة فهم من يقومون بكل تلك الأشياء!»

هذه سـرقة، ولكـن أن يأخذ من يملكون ممن لا يملكون فهذه سـرقة أيضًـا، في (تثنية ٢٤: ١٤، ١٥) يخبرنا الكتاب المقدس أنه إذا كان لديك شـخص فقير ومحتاج يعمل معك، ولم تدفع له أجرًا عن الفترة المسائية، فإنك قد قمت باسـتغلاله إلى أقصى حد ممكن. يمنع ناموس موسـى مثل تلك الأفعال، فعليك أن تدفـع للرجل في نهاية اليوم، فلا يمكنك أن تكون مدينًا له.

بمعنى آخر، يقول الكتاب المقدس إنه يمكنك أن تسـرق من الآخرين، عندما يكـون لديك القدرة على التحكم الاقتصـادي فيهم، ولا تعطيهم ما يستحقونه في وقته. هذا بالإضافة إلى أن الكتاب المقدس يعلمنا أنه بإمكانك أن تنظر إلى من يعانون ولا تفعل شـيئًا تجاه الأمر. عندما نشعر أن لدينا الحق الكامل لكي لا نسـاعدهم، فربما تكون لدينا الحرية أن نشـعر بهذه الطريقة، ولكننا لم نحصل على هذا الحق من الكتاب المقدس.

يخبرنا العهد القديم بكل وضوح أن من يملكون لديهم التزام نحو هؤلاء الذيـن لا يملكون، وهذا ينطبق على تفكير الكثير من المؤمنين المحافظين في الولايات المتحدة، ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أن هؤلاء الذين يملكون لديهم مسؤولية أعطاها لهم الله تجاه هؤلاء الذين لا يملكون.

على سبيل المثال، يخبرنا العهد القديم أن هؤلاء الذين يملكون الحقول عليهم أن يتركوا المحصول الموجود في الأركان أثناء وقت الحصاد؛ فقد سـمح الناموس للفقراء أن يدخلوا الحقل في نهاية اليوم ويحصدوا ما في الأركان لأنفسهم.

بالإضافة إلى أنه غير مسموح لمن يحصدون أن يرجعوا للخلف لكي يحصدوا أجزاء نسوها بعدما يتقدمون للأمام في الحقل، فلا يمكنهم مراجعة تلك المناطق التي مروا فيها سابقًا لكي يجمعوا البقايا التي تركوها، فعليهم أن يتركوها للفقراء، ويضع الكتاب مسؤولية الفقراء على من لديهم إمكانيات وممتلكات، ويصر على أن هؤلاء الذين أنكروا على المحتاج الفرصة لكي يتمكن من العيش سارقون.

يصف الكتاب المقدس بكل وضوح هذا في ناموس اليوبيل؛ ففي السنة الخمسين في زمن العهد القديم ترجع كل الممتلكات لصاحبها الأساسي، فأرض إسرائيل قد تم تقسيمها وقد فهم الشعب أن للرب الأرض وملؤها، وعندما حصلوا على الأرض على أساس أن الرب وثق بهم فأعطاهم إياها، بإمكانهم أن يحصدوها، ولكن، عليهم أن يتركوا شيئًا للفقراء.

لقد بدأت ملكية الأرض للجميع بنفس المقدار، ولكن، كان هناك البعض أذكى من الآخرين وعمل البعض باجتهاد أكثر من الباقين. كان هناك آخرون أغبياء وكسولين، وفي فترة بسيطة، ربح البعض مزيدًا من الأرض وقلت ملكية البعض الآخر.

في وقت المصائب، ربما يدفع الأغنياء نقودًا حتى يحصلوا على أراضي المحتاجين، ومع مرور الوقت، يصبح الغني أكثر غنى ويزداد الفقير فقرًا. لدى الله ما يقوله فيما يتعلق بهذا الموقف؛ ففي السنة الخمسين ووفقًا للناموس، ترجع كل الممتلكات مرة أخرى إلى المالك الأساسي، وهو الأمر الذي يحد من غنى الغني ومدى الفقر الذي يمكن أن يصل له الفقير، فعلى الغني مسؤولية تجاه الفقير.

عندما ننظر إلى هذا الضوء الكتابي، نكتشف أن السرقة تعني أكثر من

مجرد السطو؛ فمن يفكر أنه في مجتمعنا المعقد هذا علينا أن نرى علامات على حوائط المحلات لتذكّرنا أن سرقة البضائع هي سرقة أيضًا، لا بد وأننا نعرف هذا بالطبع، ولكن لسبب ما، لا نريد سماع أي شيء عن هذا الأمر.

السرقة من الله

ربما يدهشك أنه يمكننا أن نسرق من الله، وأنه يمكننا أن نفعل هذا بعدة طرق.

← سلوك متناقض

أولاً، يمكننا أن نسرق الله من مصداقيته من خلال سلوكياتنا المُتقلّبة.

تذكّر أنه عندما ذهب الرب يسوع إلى الهيكل، صنع سوطًا وأخرج به الناس من الهيكل، وقلب الموائد وصنع فوضى. ومن بين الأمور التي قالها في هذا اليوم: «كيف تتجرأون على أن تحولوا بيت الصلاة إلى مغارة لصوص؟» لهذا، قال البعض: «لو أنك تعمل مشروعات في الكنائس، فإنك بهذا تحولها إلى مغارة اللصوص» عندما فكرنا في افتتاح مكتبة في كنيستي، تلقيت عدة خطابات من أناس يقولون: «لو أنك فتحت تلك المكتبة في كنيسة Elmbrook، فسنترك الكنيسة، فكيف تجرؤ أن تحول بيت الصلاة إلى مغارة لصوص؟»

مع كل الاحترام لهؤلاء، إلا أني لا أعتقد أنهم فهموا جيدًا معنى تلك القصة؛ فلم يقصد يسوع أنه يجب ألاَّ تعمل أية مشروعات على أرضية الكنيسة، ولكنه أراد أن يُرسي مبدأً نسيه كثيرون، فعندما باعوا كل الحيوانات للذبح في الهيكل، فقد حدث سلوك يتسم بعدم الأمانة أمام أعين الجميع، وقد طالبوا بأسعار مبالَغ فيها، وأي شخص يأتي بحيوانات، عليه

أن يستبدلها بحيوان من الهيكل، وعليه أن يدفع مزيدًا من المال لحيوان له نفس قيمة الحيوان الذي يقدمه. فمن يقومون بهذا العمل لهم صورة روحية، ويجب أن تكشف سلوكياتهم عن هذا، ولم يكن هذا مثالاً جيدًا لطرق الله في فعل الأشياء.

اليوم، يأتي بعض الناس إلى الكنيسة ويقولون بمنتهى الصراحة إنهم يعيشون معًا خارج نطاق الزواج، ولهم علاقات جنسية خارج الزواج، ولا يجدون سببًا للتوقف عن تلك العلاقات، ولهذا، يكونون قد صنعوا بيت صلاة في مغارة لصوص؛ لأنهم سرقوا الله من مصداقيته. يأتي غير المؤمنين إلى مكان العبادة ويرونهم يعيشون بهذه الطريقة، ومع ذلك يتظاهرون بأنهم أتباع المسيح، وسيقول هؤلاء المترددون الجدد لأنفسهم: «هؤلاء مُزَيَّفون، فكل هذا الأمر المتعلق بالدين هو زيف وخداع، انسَ أمر الله».

إن أفضل طريقة أعرفها لسرقة الله من مصداقيته هي أن تعترف بصوت مرتفع بشيء وتحيا بطريقة أخرى.

← العشور والتقدمات

ثاني طريقة يمكننا أن نسرق بها الله كما يوضحها ملاخي هي أن ترفض سداد العشور والتقدمات. عندما تحدث ملاخي مع اليهود، قاوموه، وجادلوا بكل قوة، وفي النهاية قال: «أيسلب الإنسان الله؟»

فقالوا: «كيف نسلب الله؟»

فأخبرهم: «برفضكم أن تقدموا لي العشور والتقدمات» (انظر ملاخي٣: ٧، ٨)

هل سمعت قصة السيدات المتقدمات في السن اللواتي أتى لهن راعٍ جديد في الكنيسة؟ في أول أسبوع وعظ عن شرب الخمر، فأتين له بعد الخدمة وقلن: «يا لها من عظة، أيها الواعظ!»

في الأسبوع التالي تحدث عن سـعي الرجال وراء النساء، فجئن إليه وشجعنه: «يا لها من عظة أيها الواعظ!»

في الأسـبوع الثالث وعظ عن التدخين، وبعد الرسالة أخبرنه: «يا لها من عظة!»

في الأسـبوع الرابع وعظ عن العشور والتقدمات، فانتحت به سيدتان جانبًا واشتكيتا: «الآن قد توقفت عن الوعظ، وتدخلت في شؤون الآخرين».

قد يفكر البعض منكم أني تدخلت في شؤون الآخرين الآن؛ لأني كراعٍ ومعلـم لكلمة الله، يجب أن أقول إن بعضًا منا يسـرق الله، ويعلمنا العهد القديم أنه لو لم يأتِ الناس بعشورهم وتقدماتهم للرب، فإنهم بهذا يسرقونه.

ماذا نعني بالعشـور؟ بعض الناس لم يسـمعوا أبدًا من قبل عن العشور، ويقول آخرون إنهم يقدمون لله عشرة بالمائة من المرتب، ولكن الناس يجدون مشكلة في تقرير نسبة العشرة بالمائة، هل هي قبل خصم الضرائب أم بعدها.

مـاذا يعلمنا الكتاب المقدس؟ وفقًا لـ (تثنية ١٤) فإن الشـعب يجب أن يقدم سنويًا عشرة بالمائة عن كل ما ينتجونه للرب، هذا بالإضافة إلى أنه كان عليهم أن يعطوا تقدمات وذبائح متنوعة، وقد أتوا أيضًا بتقدمات شكر خاصة وبتقدمات خاصة لبناء الهيكل أو خيمة الاجتماع.

في الكنيسـة، لدينا مجموعة نادرة من الناس يهتمون بمسألة العشور، ولكنهم ليسـوا كثيرين، فيعتقد من يعشـرون أن إعطاء العشور يعني أن تعطي عشـرة بالمائة من دخلك لا أكثر، نعم هذه هي القاعدة الأساسـية، ولكن، إن لم نرغب في أن نسلبه، فعلينا أيضًا أن نتعلم أن نقدم له كل شيء ونثق فيه، فيجب أن نهتم بكل أنواع التقدمات، تقدمة الشـكر، والتقدمات الخاصة، وتقدمة السلامة، وهذا سيستحوذ على جزء كبير من دخلنا.

والآن، يمكنني أن أسمع شخصًا يقول: «لسنا تحت الناموس، بل تحت النعمة، وهذا يعني أنه يجب ألا نقدم العشـــور على هذا الأساس» فأجيبه: «أنت محق تمامًا، ولكن من أين أتيت بفكرة أنه عندما نكون تحت النعمة فإننا نفعل أقل مما كان يجب علينا أن نفعله ونحن تحت الناموس؟ بموجب النعمة، فإنك ممتلـــئ تمامًا بالامتنان لكي تنتهز كل فرصة لتعبِّر عن هذا الامتنـــان بدلاً من أن تأتي تحت ذلك الاتجـــاه المنطقي الذي يخبرك بأنه عليك أن تقدم عشرة بالمائة فقط».

زرت كنيســـة في فلوريدا، حيث كان شـــعب الكنيسة قد قام ببناء قاعة جديدة بتكلفة ٥ مليون أو ٦ مليون دولار أمريكي، وقد أخبرني الناس بكل ســـعادة أنهم قد انتقلوا إلى القاعة الجديدة دون أية ديون، فقد سددوا ثمنها نقدًا قبلما يفتحوا أبوابها.

وعندما ســـألت كيف فعلوا هذا، أجابوا: «جزء من متطلبات عضويتنا هو عشـــور الناس» ثم أخذوني خارجًا وأرونـــي ثلاث أو أربع قصص نجاح، من بينها جناح تعليمي تبلغ تكلفته ١١ مليون دولار، ومرة أخرى، أخبروني أنهم سددوا ثمنها نقدًا، كيف فعلوا هذا؟ بالعشور.

والآن، لا تدفع عشـــورك لكي تســـدد ميزانية كنيستك؛ لأن الميزانيات ليست بهذه الدرجة من الأهمية، ولكن العشور لها غرض أعمق؛ فهي تعني أنك تقدم لله، وأنك لا تســـرقه. عندما تعطي لله فإنك تكرمه، وتقول: «يا الله كل أموالـــي هي لك؛ لأنها منك، وأنا أقدمها لك مرة أخرى بقلب ســـعيد». من خلال ما نقدمه نظهر أننا إلى جانبه وأن لدينا شـــفقة ورأفة نحو الأشياء والناس الذين أشفق عليهم، ونبرهن على محبتنا له بأن نعطيه أنفسنا.

ماذا لو أننا لا نقدم عشـــورنا، ونحتفظ بما هو ملكه لأنفسنا؟ ربما ينتج

عن هذا اتجاه للبخل، أو ربما يأتي من التضحية من الدرجة الثانية. أخبر ملاخي شـعبه: «إن بعضكم يقـدم تقدماته للرب، وإنـه يجب عليكم أن تأتـوا بحَمَلٍ، لهذا فأنت تبحث بين القطيع وتجد واحدة عرجاء أو عمياء، وتحضرها، إذا فعلت هذا مع حاكم البلاد ماذا سـيقول لك؟ لا تجرؤ على أن تفعل هذا به، ولكنك لا تمانع أن تفعل هذا مع الرب».

الغريب أن الناس يشعرون بالراحة الشديدة مع هذا البخل، وهذا النوع مـن التضحية عندما يأتون إلى الله، لماذا؟ لأنهم يفتقرون إلى واقع معرفة الله في حياتهم.

نشـعر بالراحة أيضًا تجـاه دوافعنا، انظر كيف حدثـت قصة حنانيا وسـفيرة - والمسجلة في الأصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل - فقد باعـت هذه العائلة أرضها وأرادت الحصـول على بعض النقود، ولكنها أرادت المجد أيضًا، وفي النهاية، فقد كلفها هذا حياتها، ويا له من سـعر مرتفع، أليس كذلك؟

ماذا سـيحدث في كنائسنا لو أننا أخذنا العشور فعلاً بجدية، وأتينا بكل تقدماتنا بقلوب سعيدة؟ لن يكون علينا أن نقلق بشأن ميزانيات المشروعات أكثر من هذا؟ فسـتكون كنائسـنا بحاجة إلى تعيين شـخص ما للاهتمام بالتمويل وتوجيهه في المشروعات التي تستحق، وسيكون علينا أيضًا أن نبحث عن طرق جديدة لكي نتعامل بها مع بركات الله التي تنسـكب على حياتنا.

هل تعرف لمـاذا؟ لأن الله يتحدث لنا من خلال ملاخي ويخبرنا: «لو أتيتم بكل العشور إلى خزانتي، فستكونون قادرين على أن تُثبِتوا لي ثقتكم فـيَّ، اركعوا واكرموني، وسـأريكم ما يمكنني أن أفعله، وسـأفتح كوى

السماء وأسكب عليكم بركةً عظيمةً» (انظر ملاخي ٣: ١٠)، لو أننا فعلنا هذا، فسنحصل على البركة، وإن لم نفعل، فربما بهذا نسلب الله.

مخاطر وخسائر السرقة

ربما تحدث عدة أمور لهؤلاء الذين يشاركون في السرقة، ليس عليك أن تنظر لما هو أبعد من هذا لكي تكتشف عواقبها، فليس أي منها مفيد:

١. ربما تجعلك تقع في مشاكل مع القانون، هل نحن بحاجة إلى من يخبرنا بهذا؟ في بعض الأحيان، نتصرف كما لو أننا بحاجة إلى من يذكِّرنا.

٢. ستحرمك السرقة من علاقتك بالآخرين، هل تعرف أي شخص يحب أن يسرق منه الآخرون؟ أنا لا أعرف أي شخص بهذه المواصفات.

٣. السرقة تؤدي إلى الخداع والكذب، ستجد أنه من الصعوبة أن تجد سارقًا لا يكذب أيضًا، فهو يريد أن يغطي على جريمته.

عندما كنت أعمل مفتِّشًا في بنك، كنت أتشكك في شخص ما، لم يقل أو يفعل أي شيء يجعلني أفكر فيه بهذه الطريقة، وفي البنك، كانوا يصفونه بأنه أحد أفضل الموظفين لديهم. في الواقع، هو لم يأخذ إجازة أبدًا، وبمجرد أن سمعت هذا فكرت: «هل هناك شخص يعمل في بنك ولا يأخذ إجازة؟» فبدأنا نبحث بعناية في موقفه، ووجدنا أنه لم يأخذ إجازة لأنه لا يثق في أي شخص آخر لكي يقوم بمسؤولياته، وبعد شهر من العمل في قضيته، اكتشفنا السبب: كانت لديه مجموعة من الدفاتر متاحة للمفتشين وأخرى للعملاء عندما يسألون عن حساباتهم، وفيما بين الرقمين هناك أرقام كثيرة

بالـــدولار. كذب الرجل لشـــهور، وأنكر أنه فعل هذا حتى أثبتنا ســـرقته، وعندما علم أنه لم يعد بإمكانه أن يفلت بأكاذيبه ألقى بنفسه تحت القطار.

٤. تضعف الســـرقة الشـــخص الذي يقوم بها، فأفعالـــه تصبح تحت الحساب بموجب نواميس الله.

٥. تضع مزيدًا من الأحمال على الآخرين، عندما يختلس الناس، فإن الشـــركات التي يســـرقون منها لا تتحمل تكلفة البضائع الضائعة وحســـب، ولكنها ببساطة تســـتعيض ثمنها من العملاء، فإننا ندفع الكثير مقابل الحصول على البضائع لأننا نمول السارقين.

٦. الســـرقة تعوق عمل الله، فعندما يرفض المؤمنون أن يعطوا لعمل الله بكل ســـخاء وفرح، ليسمحوا باســـتكماله، فإنهم بهذا يتباطئون ويوقفون عمل الله.

لا تسرق

أخيرًا، دعونا ننظر إلى البركات والهبات التي تحدث لنا عندما نتوقف عن الســـرقة، تخبرنا (أفســـس ٤: ٢٨): **«لا يُسرِقُ السَّـــارِقُ فـي مَا بَعـد...»** يقول البعـــض: «لا يمكنني أن أفهم الكتاب المقـــدس». جرب هذه الآية معهم، هل يمكن أن يكون هناك شيئًا أوضح من هذا؟ فالآية بأكملها تقول: **«لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ. بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ. لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ»**.

اربط كل هذا معًا وســـيكون لديك مبدأ رائع للاقتصاد المســـيحي، فلو أنك تســـرق، اعترف، وهذا يعني أن تعترف لله بأنك فعلت هذا، وانشغل بالتعويض، فرجِّع تلك الأشياء أو ردها لمن سرقت منهم.

كيـــف ينجح هذا؟ وعظ «دبليو بي نيكلســـون» - وهو واعظ أيرلندي عجوز - في بلفاست عندما كانت تلك المدينة هي الأولى في بناء السفن على مســـتوى العالم، فكان الرجال الذين يقومون ببناء وترميم السفن يسيرون في شـــوارع المدينة كلها لكي يصلوا إلى الكنيســـة حتى يستمعوا له وهو يتحدث، وهم بثياب العمل ويملأون الكنيســـة، عندها، يعظ نيكلسون بكل قوة، ويشيع التبكيت، ويصر على التوبة والتعويض. قبل كثير من الرجال المسيح وبدأوا يردون كل ما سرقوه من السفن. وفي النهاية، خرج إعلان رسمي من السلطات يقول: «هل يمكن لكل هؤلاء الناس الذين يحضرون اجتماعات الســـيد دبليو، بي نيكلســـون التوقف عن إرجاع البضائع التي ســـرقوها، فليس لدينا مكان لنضع المسروقات فيه». تخيل الكم الهائل من الممتلكات المسروقة التي ينطوي عليها الأمر، تخيل البركات.

← **بركة العمل**

نحن بحاجة إلى فرح العمل الشاق أيضًا، من بين الكلمات اليونانية التي تُســـتَخدَم في كلمة «عمل» هي كلمة مشـــتقة من كلمة «ضجر». يمكنك أن تشـــعر بالضجر لأنك لا تفعل شـــيئًا، ولكنك تشعر بشيء ما نبيل فيما يتعلق بضجرك الذي يرجع إلى العمل الشاق؛ لأنك في النهاية تعرف أنك أخرجت شيئًا ما، ولهذا الســـبب نحن هنا، لماذا؟ لا يعدنا الكتاب المقدس بحياة جيدة من الناحية المالية، ولكنه يخبرنا أنه يجب علينا أن ننتج ونعمل لكي نضع أنفســـنا في مكانة الانشغال ببركة العطاء، فيجب ألاَّ نسرق فيما بعد لكي نعطي للمحتاجين.

عندمـــا نصل إلى تلـــك المرحلة، نحصل على بركـــة أن نكون بركة للآخرين. في اسم يســـوع، يمكننا أن نخرج للآخرين ونضيف لمصداقية الرب يسوع، هذا لأننا نتصرف بناءً على هذا الوعد: «لا تسرق».

الـوصية التـاسعة



التكلُّم بالحق

تذكَّر اهتمام الله بشعبه، وهو يخبرهم أن يعيشوا بالاستقامة أمامه وأمام بعضهم البعض، ولهذا أعطاهم الوصايا العشر، وهي عبارة عن عشرة توجيهات توضح لهم كيف يحبون الرب إلههم من كل قلوبهم وعقولهم ونفوسهم وقوتهم، وكيف يحبون أقرباءهم كأنفسهم، وتساعدهم الوصية التاسعة على إظهار محبتهم لأقربائهم.

مرة أخرى لدينا اهتمام إيجابي يتم التعبير عنه بمصطلحات سلبية، لجذب انتباه الناس. إن الامتناع عن تقديم شهادة زور ضد القريب يعبِّر عن رغبة الله في أن يحب شعبه الحق، وأن يختبر الحق، وأن يحيا في الحق والبر. وعلى الرغم من أننا نفكر في هذه الآية في ضوء الشهادة المُقدَّمة في ساحة المحكمة، وغيرها من الأجزاء المذكورة في الكتاب المقدس التي توضح أن الله يضع حدودًا على هذا، فهذا شيء جيد! فندرك أن النظام القضائي يطلب من الشهود أن يشهدوا بالحق، وكل الحق ولا شيء غير الحق، أننا نعيد تلك العبارة، ولكن، ما معناها بالنسبة لنا؟

أنظر إلى أية صحيفة، وستجد أمثلةً عن اتجاهاتنا الحقيقية. صدم «إدوين موسى» العالم - وهو الأولمبي الذي يعبُر الحواجز ويدخل في سباقات المشي - عندما اتُّهِم بإغواء شرطية سرية لتعمل كعاهرة، ولم يكن قد مضى وقت طويل على أولمبيات عام ١٩٨٤. ونُظرَت القضية في المحكمة، وقال إدوين موسى: «لم أفعل هذا» أما الشرطية فقالت: «لقد فعل هذا».

في محاكمة أخرى شهيرة، قال «ويليام ويستمورلاند» إن «سي بي أس» شهرت به عندما اتهمته بالتآمر على أعلى مستوى للمخابرات

العسكرية، وقد ذكر برنامجهم «٦٠ دقيقة» أنه غش بشأن الأرقام لأسباب سياسية. أجاب بأنه لم يفعل هذا. من الصادق؟

تجعلنا هذه القضايا نتساءل: «كيف يمكننا أن نعرف متى يقول شخص الحق ومتى يكذب؟» فربما قال هؤلاء الحق ولكننا نرى كثيرين يكذبون ويفلتون بكذبهم، فعلى الرغم من أن نظام المحكمة يفعل أقصى ما بوسعه، إلا أنه لا يمكن ضمان أنها تتخذ القرار السليم، فقد جعلنا عملهم أصعب بالأكاذيب، وموقفنا الذي يتسم باللامبالاة نحو الحق.

اليوم، يبدو أن الناس في أعلى وأقل المستويات في مجتمعنا سعداء ويقولون ما يريدون أن يقولوه، ويسمح لهم الآخرون بفعل هذا أيضًا، وقد أصبح الحق أمرًا عارضًا، وتحول الكذب ليصبح أسلوب حياة. في الواقع، تشجع بعض الدوائر الكذب معطية إيحاء بأنه لا يمكنك أن تعيش دون أن تكذب، وأنه لا يمكنك أن تتقدم للأمام دون الكذب.

بناءً على تلك الخلفية، دعونا نسمع كلمة الله التي تقول ألا نشهد شهادة زور ضد قريبنا، ويعلن (أمثال ٦: ١٦ – ١٩) «**هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِهِ: عُيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ، لِسَانٌ كَاذِبٌ، أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا، قَلْبٌ يُنْشِئُ أَفْكَارًا رَدِيئَةً، أَرْجُلٌ سَرِيعَةُ الْجَرَيَانِ إِلَى السُّوءِ، شَاهِدُ زُورٍ يَفُوهُ بِالأَكَاذِيبِ، وَزَارِعُ خُصُومَاتٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ**». لاحظ أن من بين هذه الستة أشياء هناك أمرين متعلقان بالكذب.

والآن، يتخذ رداء الكذب عدة أشكال، فيمكننا أن نتحدث عنه، ويمكننا أن نبرره، ويمكننا أن نتفلسف بشأن الكذب. قضيت بعض الوقت أقرأ لفلاسفة يتحدثون في هذا الشأن، ولا يحتاج الأمر إلى الكثير لكي تغطي على الحق. في إحدى المرات، لم يرغب «وينستون تشرشل» في أن يتهم

شخصًا ما بالكذب في مجلس الشيوخ، فلو فعل هذا، سيكون أمرًا خطيرًا، فتجنب الأمر ببساطة قائلاً: «إن هذا الشخص استخدم مصطلحات غير دقيقة» وكان يقصد «إنه كاذب».

لو أننا نتكلم بهذه الطريقة، فقد ينتهي بنا الأمر ونحن نقول: «حسنًا هكذا الأمر، لا يمكنك أن تفعل شيئًا تجاهه». ربما نهز كتفنا مثل بيلاطس ونسأل: «ما الحقيقة؟ كل هذه أمور نسبية، ولا يمكنك فعلاً أن تصر على ما يقوله الكتاب المقدس».

دعونا نلقي نظرة على الكذب بطريقة شاملة. لماذا يبدو هذا الأمر مهمًّا جدًّا بالنسبة لله؟ لماذا يكذب الإنسان؟ كيف يمكننا أن نتجنب هذا؟

لماذا يمنع الله الكذب؟

← الكذب والشيطان

في (يوحنا ٨: ٤٣ – ٤٥) يعلق الرب يسوع عددًا من التعليقات القوية للغاية عن المتدينين، ومن بين الأشياء التي يقولها لهم: «لماذا تجدون أن اللغة التي أتكلم بها غير واضحة لكم؟ لأنكم لا تستطيعوا أن تسمعوا ما أقوله، أنتم تنتمون لأبيكم الشيطان، وتريدون أن تنفذوا رغبات أبيكم، وهو كان قتَّالاً منذ البدء، ولا يقول الحق، لهذا فليس فيه حق، وعندما يكذب، يتحدث بلغة سلبية، لأنه كذاب وأبو الكذاب. وأنتم لا تصدقونني لأني أتكلم بالحق».

توضح كلمات يسوع أمورًا عن الكذب من خلال عدة نقاط، فيقول إنه عندما نشارك في الكذب، فإننا لا نقول الحق لشخص ما، ويصف يسوع لغة الشيطان العادية بأنها كذب، وبأن الشيطان لا يعرف الحق، وأن يسوع يقول إنه أتى لأناس لا يعرفون الحق، بل الكذب هو لغتهم العادية.

عندما تكذب، فهذا معناه أنك تربط نفسك بالشيطان، فقد أتى يسوع ليخبر بالحق، ولكن الناس الذين يشاركون الشيطان لا يدركون هذا، لهذا فإن الكلمات تشير إلى الصراع الجبار الدائر بين أبي البر وأبي الكذب، فالكون كله وكل الرجال والنساء الذين فيه قد زُجَّ بهم في هذا الصراع.

من الطبيعي أننا بدأنا نفهم الصراع بين الخير والشر، فالكتاب المقدس يخبرنا في (تكوين ١) أن الله قد خلق كل شيء ويقيمه على أنه «جيد».

وبعدها، نقرأ في (يوحنا ١٠) أن يسوع أتى إلى العالم حتى تكون لنا حياة وليكون لنا أفضل، فلو كان الله قد خلق كل شيء جيد وصالح، فربما تشعر بأنك ترغب في أن تسأل: «لماذا أتى يسوع ليعطينا المزيد من الحياة الأفضل؟» الإجابة هي أن هناك عامل آخر قد ظهر في الكون، فيخبرنا (يوحنا ١٠: ١٠) أن السارق يأتي وأنه يريد أن يقتل ويسرق ويدمر.

وفيما نجد أن الله يفعل الخير، فإن الشيطان -عن عمد- يتحرك لكي يدمر هذا الخير بأن يأتي بالأكاذيب وعدم الصدق في مجالات الحق والواقع، ولهذا، فإن الله يعارض الكذب، ويدعم الحق تمامًا، ويدرك أن الصراع بينه وبين الشيطان، وبين الخير والشر، ويعرف أنه عندما يزج بالناس في الكذب، فإنهم سيصبحون غرباء عن الحق.

هناك أيضًا صراع قائم بين الحق والوهم، ففي (٢كورنثوس ٤: ٤) يتحدث الرسول بولس عن الشيطان ويدعوه إله هذا الدهر، يستمر في حديثه ليقول: «قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ. لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ. الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ». والأكثر من هذا، فإنه يقول على النقيض من هذا: «الله الذي قال: ‹أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ›. هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا. لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». (آية ٦).

لاحظ الانقسام هنا، فبعض الناس لديهم أذهان عمياء عن الحق لدرجة أنهم يعيشـــون في الوهم، ولكن الله يتوق لكي يشرق في قلوبهم كما أضاء في الخليقة وانقشع كل ظلام، يعيش بعض الناس في ظلمة روحية ووهم، وآخرون لديهم عيون مفتوحة على الحق الروحي.

← الكذب والبر

البر في صراع ضد الخطية أيضًا، والله ملتزم بالحق، والكتاب المقدس يدعوه «البر»، والخطية والشـــر يعارضانه، وفي حياتنا، يمكننا أن نحدد متى نكذب بأي شـــكل من أشـــكال الكذب، ويجب أيضًا أن ندرك أننا قد أمسِكنا ما بين البر والخطية في هذا الاختيار.

هل يمكنك أن تفهم لماذا يأخذ الله الكذب بكل جدية؟

لماذا يكذب الإنسان؟

لدى الإنسان ثلاثة ميول وثلاث طرق للكذب:

١. فربما يكذب على نفسه.
٢. ربما يكذب على الله.
٣. ربما يكذب على قريبه.

← الإنسان يكذب على نفسه

من بين الأشـــياء الفريدة في طبيعة الإنسان، أنه يمكن أن تكون مدركًا تمامًـــا لذاتك، وعندما أقول هذا، لا أعني أنـــك تقف هنا وتقول بكل رفق وخجـــل: «آه هل تعلم، أعذرني أنا هنا، فأنا أشـــعر بأني أخرق وصعب المراس» هذا جزء من الأمور.

ولكني أقصد أنك علـــى دراية بذاتك، واختياراتك. عندما زرت كينيا،

ذهبت إلى حديقة بها مجموعة صغيرة من وحيد القرن الأبيض، مجرد خمسة من تلك الحيوانات النفيسة، وبما أن الصيادين يسعون للفوز بقرون هذا الحيوان المنقرض، ويحاولون قتله، فإنه في كل ليلة يغلق حارس الحديقة على وحيد القرن، على الرغم من أن كل الحيوانات الأخرى تتجول بحريتها في الحديقة.

عندما قدنا السيارة في الحديقة، قررنا أن نتوقف ونلقي نظرة على وحيد القرن الأبيض، فأتى الحارس وسألنا إن كنا نود أن نراها، فقلنا: «شكرًا جزيلاً، فنحن نريد أن نراه من السيارة».

ولكن الرجل دعانا: «هيا، اخرجوا والقوا نظرة عن قرب على وحيد القرن»، فخرجنا واتجهنا مباشرة لتلك الأشياء الكبيرة للغاية والتي يبدو وكأنها مبنية مثل الخزانات التي تمضغ وجبة خفيفة من النباتات، واتجه أحد الحراس وربت على إحداها.

فسألني: «لماذا لا تربت عليها؟»، فربتُّ عليها.

ثم دار حولها الحارس ووصل لنهايتها الخلفية، وأخذ وضع الاستعداد عند أقدام وحيد القرن، وأمسك بذيله، وسحبه، وقال لي: «افعل هذا الذي فعلته»، ففعلت. وفجأة، سمعت صوتًا داخلي يقول: «ستيورات هذا وحيد قرن، وأنت تجذب ذيل وحيد القرن، ماذا تفعل؟» وكان هذا هو صوتي، وكنت أتحدث لنفسي، هذا هو الضمير.

كان هناك جزء مني مدركًا، جزء مني جذب ذيل الحيوان، والجزء الآخر قال: «إما أنك واحد من أشجع الناس الموجودة، أو أنك أكبر مغفل في هذه المنطقة، هل فهمت؟»

لو أنك بدأت تتحدث عن نفسك لنفسك، فستشعر بذاتك، وأنت تتحدث عن نفسك؛ لأنك تفكر في نفسك، تخبرنا (رومية ١٢: ٣) أنه يجب ألاَّ نفكر في أنفسنا أكثر مما ينبغي، ولكن يجب أن نفكر في أنفسنا بكل وعي. بمعنى آخر، يجب أن نستخدم الضمير الذي منحنا إياه الله وفقًا للحق.

إن فكرنا أكثر مما ينبغي، أو أقل، فإننا نكذب على أنفسنا، ونتواصل بطريقة ليس فيها حق تجاه أنفسنا، وعندما نفعل هذا، فإننا نضل أنفسنا، فقد أخذنا أول خطوة في طريق الجنون، بعض الناس مخدوعون في أنفسهم لدرجة أنهم لم يعودوا يعرفون الفرق بين فوق وتحت والأسود والأبيض والصواب والخطأ والواقع وغير الحقيقة.

عندما نكذب على أنفسنا، فإننا بهذا نرعى جريمةً في حق أنفسنا، على سبيل المثال، ربما أجد نفسي في موقف وأنظر له، ويتحدث شخص آخر لي عنه ويقول: «ستيوارت، أنت تفعل شيئًا خطأ تماما هنا»، فأجيب على الفور مختلقًا كل الأعذار لنفسي وكل المبررات، فأقنع نفسي ببراعة بأن الشخص الآخر مخطئ وأني صائب. وعندما أفعل هذا، ربما أكذب على نفسي.

نرى هذا عندما نقدم المشورة للمتزوجين، فلو أنك تحاول أن تقدم مشورة لزوجين يرغبان في الطلاق، فأنت تحاول أن تقيِّم ما يحدث في هذا الزواج، وفيما تستمع لكل من الطرفين، تقرر سريعًا أنه لابد وأن هناك طرفًا كاذبًا، فلا يمكن أن كليهما يقول الحق.

لا يكذب الشخص عن عمد، فهو فعليًا يصدق الأكاذيب، فلماذا لا تتفق القصتان؟ لأنه هو يكذب على نفسه، ويرفض أن يواجه الواقع، وبدلاً من ذلك، فإنه يلصق كل شيء بشخص آخر، فجذور كثير من الكذب البشري تكمن في محاولته المستمرة لرفض صعوبة الواقع على نفسه.

← الإنسان يكذب على الله

بالنسبة للبعض، فإن كذب الإنسان على الله ربما يبدو وكأنه أمر لم يفكر فيه من قبل، كيف يمكننا أن نكذب على الله؟

في الإجابة عن هذا السؤال، أود أن ألقي نظرة على (أعمال ٥)، الذي يخبرنا بقصة حدثت في الكنيسة الأولى، فقد كان هناك البعض ممن لديهم احتياجات كبيرة، والبعض الآخر ممن لديهم أملاك، فباع أصحاب الأملاك أملاكهم، وأتوا بأموالهم ووضعوها في بنك مشترك حتى يمكن الاهتمام بالجميع.

من بين من فعلوا هذا شخص اسمه يوسف، وكان صاحب أرض من قبرص وكان شخص محبوب ومعروف لدرجة أن الرسل أعطوه اسم جديد، وأطلقوا عليه برنابا، الذي يعني «ابن التشجيع». وكان هناك شخصان آخران وهما حنانيا وسفيرة الذين راقبا برنابا، وفكرا: «نود أن نفعل شيئًا شبه هذا. لدينا قطعة أرض، سنبيعها، ثم يمكننا أن نأتي بأموالها، ليست كل الأموال، ولكن البعض منها، ويمكننا أن ندَّعي أننا قدمنا كل الأموال».

فَعَلا هكذا ولكن بطرس رأى الأمر كله، وأخبرهما: «عندما كانت تلك الأرض ملككما، فقد كانت ملكًا لكما، وعندما بعتماها وحصلتما على المال، فإن المال لكما أيضًا، وعندما قررتما أن تعطيا الكنيسة، هذا حسن، وعندما قررتما أن تعطيا الكنيسة وتتظاهرا بأنكما أعطيتما كل شيء، فقد كان هذا كذبًا» الشيء المهم هو أنه كان يجب عليهما أن يدركا: «لم تكذبا على إنسان ولكن على الله».

ما الذي جعل حنانيا وسفيرة يفعلان هذا؟، من ناحية، أرادا أن يُظهِرا أنهما يرضيان الله، وأن يَظهَرا بصورة جيدة أمام شعب الله. ولكن، أن يفعلا

الأمور بطريقة الله، فهذا سيكلفهما، وهذا تحدٍّ لهما يتطلب قرارات وتغيير، وهما لا يريدان الخوض في كل هذا، لهذا حاولا الاستحواذ على كل المزايا دون أن يدفعا الثمن، وتظاهرا بأنهما يكرمان الله ويحبانه، ولكنهما فعليًا لم يفعلا الأمر بالطريقة التي حددها الله؛ لأنها ستكلفهما الكثير. عندما نفعل هذا، فإننا لا نكذب على من حولنا وحسب، ولكننا أيضًا نكذب على الله.

أنه من السيئ للغاية أن تكذب على نفسك، وتضل نفسك. ولكن، تخيل أنك تكذب على الله بشأن نفسك، وينتهي بك الأمر في عالم من الضلال الروحي وحالة لا تعكس الحالة الحقيقية لإيمانك، فتجد أنه من السهل للغاية أن تسقط في ذلك الشرك. ربما تذهب إلى الكنيسة يوم الأحد، وترنم ترنيمةً قويةً عن خدمة الله، ولكن إن لم تكن منتبهًا، وإن لم تقصد ما ترنمه، فيمكنك أن تجد نفسك تكذب على الله طوال الوقت.

إن مجرد ترنيم ترنيمة لا تقصدها ربما لا يكون جريمة كبيرة، ولكن، ربما يكون إشارة لتفكير ابتعد - إلى حد ما - عن واقع قلبك لدرجة أنك تكذب على نفسك وعلى الله.

← **الإنسان يكذب على الآخرين**

أخيرًا، يميل الإنسان أن يكذب على قريبه. والآن، ربما نفعل هذا بأربع طرق: أولاً، من خلال ما ندعوه كذبة مدمِّرة، وهي تلك المتولدة عن الميل والنزعة الشريرة والتي تؤلَّف بالكامل من خلال نزعة خاطئة.

على سبيل المثال، قرر المجمع أن يسوع كان مذنبًا وأراد أن تُطبَّق عليه عقوبة الإعدام، ولكن لم يستطيعوا إثبات ذنبه، وبما أنهم قد اتخذوا كل تلك القرارات قبل المحاكمة، فقد استدعوا شهود زور حتى يقدموا الدليل، وحتى يمكنهم الوصول إلى غايتهم. لاحظ أنهم لم يكونوا مهتمين

بالحق أو البر، وقــد قرروا - بناءً على أهدافهم - أن يدمروا هذا الرجل، وسيفعلون أي شيء لتحقيق هذه الغاية، حتى ولو استدعى الأمر الكذب.

نــادرًا ما نجد مثل هذا الخداع في قلوبنا، فنشــعر برغبة في تدمير أو أذى أو إعاقة شــخص ما، فإن لم نكن حذرين، فيمكننا أن نذهب إلى أبعاد متطرفة، بناءً على الميل الشيطاني، ونتجه نحو هدف التدمير.

تتذكر عندما عمل يوســف في منزل فوطيفار؟ خرج فوطيفار، وثبتت السيدة زوجته نظرها على يوسف، وعندما لم يسمح لها الشاب بأن تغويه، أحاطت به، وشعرت بالغضب الشديد والأذى، لدرجة أنها أرادت أن توقعه؛ لهذا خرجت وراءه. وانتهى به الأمر وقد زُجَّ به في السجن بتهمة كاذبة.

إن تلك الكذبة المدمرة ليســت بشيء غير مألوف؛ فعندما يشعر الناس بأنهم تعرضوا للأذى، يقررون أنه يجب أن ينتقموا لأنفســهم، وكثيرًا ما نرى هذا الأمر في مجتمع اليوم.

ثانيًا، هناك الكذب الدفاعي. استخدم بطرس هذا النوع من الكذب بعدما اعترف للرب يسوع: «حتى لو تركك الجميع، فأنا لن أتركك».

وقال له يسوع: «بل ستتركني».

«لا، لا، لن أتركك، قد يتركونك كلهم أما أنا فلن أتركك»

حذره يسوع: «قبلما يصيح الديك ستنكرني ثلاث مرات».

فقال له بطرس: «هيا، أنت لا تعرف ما تتحدث عنه» ثم تبع يسوع من بعيد. عندما نفعل هذا، يكون هذا عادة علامة على أننا في مشكلة.

حتمًا اتجه بطرس إلى جانب سور المكان الذي يُحاكَم فيه يسوع، وأتت فتاة صغيرة وقالت: «لقد رأيتك في مكان ما من قبل».

«لا، لم تريني»

«قل هذا مرة أخرى!»
«لا لم تريني من قبل».
«هيا، هذه لهجة أهل الجليل».
«حتمًا، لست...»
«يمكنني أن أقسم بأني رأيتك».
«لا، لا، بالتأكيد أنتِ مخطئة».
«أعتقد أنك أحد تلاميذه!»
«لست من تلاميذه!» وعندها حلف بطرس كثيرًا، بمعنى أنه بدأ يطلب من الله أن يشهد على أنه ليس من تلاميذ المسيح. أكاذيب، أكاذيب، في كل مكان، لماذا؟ أكاذيب دفاعية، فقد انكشف أمره ويخشى أن يتعرض للمساءلة، لهذا، يحاول أن يخرج من الموقف بأن يكذب، وهذا ما يحدث طوال الوقت.

منذ عدة سنوات، كان هناك وزير شاب في الحكومة البريطانية تزوج من ممثلة فاتنة، واتُّهم بأنه أقام علاقة مع فتاة، وهي ليست أي فتاة، ولكنها فتاة على علاقة بأحد الكبار في السفارة الروسية، وقد تعرض هذا الوزير البريطاني للمواجهة أمام البرلمان، حيث أنكر التهمة، وكذب. وفي اليوم التالي، ثبتت التهمة عليه وطُرِد من الحكومة، ولم يرجع هذا الوزير مرة أخرى للحياة السياسية. قال الجميع: «لو أنه اعترف بفعله الخاطئ هذا، لكان الجميع قد سامحوه» ولكنه أنهى مستقبله المهني بإنكاره قيامه بهذا الأمر وقد دمرت هذه الكذبة الدفاعية حياته بالكامل.

وهكذا، أمامنا الكذب الدفاعي، وكذبة اللامبالاة، والافتخار والصمت أو نصف الحقيقة. لقد أدخلت نفسي في معلومة بها لا مبالاة؛ لأني فضلت- بسبب موقف معين- أن أنقل معلومة غير محبَّبة لشخص ما، لم أكن أحب هذا الشخص تحديدًا، وشعرت بسعادة كبيرة عندما نقلت هذه القصة عنه،

ولم أكلّف نفسي عناء التحقق منها، فقد قمت بالنميمة عليه، وبالتالي - بلا مبالاة وعدم اكتراث - زججت بنفسي في مسألة الكذب هذه.

أو ربما اســتخدمت الكذب للافتخار والتباهي، وبما أن لديَّ نفس تتسم بالهشاشة، وتحتاج أن أبنيها، فقد جعلت من نفسي شيئًا آخر غير الحقيقة، وقد قمت بالمبالغة في الحق، وبالغت، وقمت باســتغلال الحق حتى أبدو بصورة جيدة، وإلا، سأبدو وكأنني مراهق. وكما أشار «وليام باركلي»: «لو أنني مراهق فإن آخر ما أريد فعله هو أن أجعل نفســي أبدو شخص جيد، فمن الأفضل أن أجعل نفســي أبدو شخص سيئ، إن الفتاة الصغيرة العــذراء لا تريد الاعتراف بأنها عذراء، لهذا تتفاخر بأنها ليســت كذلك. والشاب الذي لا يعرف ماذا يفعل مع هذه الفتاة، يذهب إلى حجرة مغلقة، ويخبر أصدقاءه الشباب بكل الأمور السيئة التي فعلها معها، وهو يكذب».

ماذا عن الكذب بأن نقول نصف الحقيقة؟ كمراهق، كانت لديَّ صديقة قبلما يسمح لي والدي بهذا، وكانت أصغر مني بأربع سنوات، وبسبب كل تلك الأمور لم أجرؤ أن أخبر والدي بقصتي معها.

فــي أحد الأيام، خرجت في المســاء، وكان عليَّ أن أوضح تمامًا إلى أين ســأذهب، فأنا عضو في نادي شــباب قريب. لهذا، قلت إنني سأذهب إلى النادي، وهذا صحيح. وذهبت إلى النادي، ودخلت من الباب الأمامي: «أهلاً، سعيد برؤيتكم»، وجعلت كل من هناك يرونني، ثم اتجهت مباشرة إلى الباب الخلفي. رجعت فيما بعد من الباب الخلفي، وقلت: «أهلاً، كيف حالكم، سعيد برؤيتكم» واتجهت نحو الباب الأمامي ومنه للمنزل.

«أين كنت يا ستيورات؟»

«في نادي الشباب»

«حسنًا»

أين كنتُ؟ حسنًا كان هذا هو نصف الحقيقة، ولكن كنت أنوي خداعهم، فكذبت.

والآن، يمكننا أن نهز أكتافنا ونقول: «ما هو الحق؟» إنه أمر نسبي، «وماذا تقصد بالكذب؟» سنقرأ الفلسفة لكي نكتشف ما يدعوه الآخرون كذبًا، ويمكننا أن نناقش الأمر. ولكني أعتقد أنه مثلما قال قاضي المحكمة العليا عن الصور الإباحية: «ربما لا يكون بإمكاني أن أحددها، ولكني أتعرف على هذه النوعية من الصور عندما أراها». ربما تجادل بشأن الكذب، ولكن في أعماق قلبك ستعرف متى فعلت هذا. وبدلاً من أن تناقش الأمر، واجه الحقيقة بأن الكذب يُدخِلنا في صراع لكي نجمّل الحقيقة، وهذا ما يعارضه الله.

إنه نوع من الكآبة، أليس كذلك؟ كيف يمكننا أن نتعامل معه؟

علاج الكذب

كيف يمكننا أن نقاوم الكذب؟ يجب أن نستغل هذه النصيحة الكتابية ونتجنب الكذب

«فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ. إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. اَلَّذِينَ -إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ- أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هكَذَا. إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ. أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ. لِذلِكَ اطْرَحُوا

عَنْكُمُ الْكَذِبَ. وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ. لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ». (أفسس ٤: ١٧ - ٢٥)

يصف هذا الجزء ثلاثة أشـياء تعترض طريقنـا، لنتعلم الحق ونحب الحـق ونحيا الحق ففي (آية ٢١): «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ» نرى تناقض واضـح بين الكذب والخداع الذي يجري في عالمنا، فيسوع هو الحق عن الإنسان، وهو يقف صادقًا وأمينًا.

إن أردنـا، ربما يمكننا أن نغلق أعيننا عنه، ويمكننا أن نختار أن نقدم خدمة الشـفتين له، ومـع ذلك، لا نوليه اهتمامًا حقيقيًّـا، يقول بولس في رسـالته لأهل أفسس: «عُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ» هل حدث هذا معـك؟ هل قررت أن الحق هو في يسـوع، وأن كل ما يتناقض معه هو بالتأكيد خطأ؟ هذه خطوة أساسية.

فلو أنك اتخذت هذه الخطوة، فستكتشف الدرجة التي وصل إليها الخداع وتمكن منك فيها بحيـث أصبح جزءًا لا يتجزأ من حياتك، وعندما تدرك هذه الحقيقة في يسوع، عندها، يجب أن ترفض الأكاذيب، أي معارضته.

في تلـك المدينة الصغيرة في انجلترا - حيث وُلِدت - كان لدينا مناجم حديد ومعادن نفيسـة، وقد صنع العمال كومـة من المخلفات من المناجم على شكل تلال، وكان هناك الكثير من المنازل الصغيرة القابعة عند سفح تلك التلال نادرًا ما يمكنها رؤية نور النهار، وفي إحدى المرات، غسـلت إحدى السيدات غسيلها ونشرته في المساء، وفيما تقوم بنشر الغسيل مقابل تلك التلال من ركام المناجم، شـعرت بسـعادة غامرة؛ لأن هذا الغسيل الأبيض مقابل هذا الركام الأسـود، ولكنها نسيت الغسيل وأمطرت الدنيا في الليل ثلجًا، وعندما خرجت في صباح اليوم التالي، لم تصدق، كما بدا

غسـيلها لونه أصفر، مع أنه لم يتغير على الإطلاق، فعندما تعلق غسيلك أمام كومة سوداء، يبدو رائعًا. ولكن، عندما تعلقه في مقابل كومة من الثلج يبدو مريعًا، يا لها من مقارنة!

وهكذا لو أنني قارنت نفسي بنفسي من الداخل للخارج وبالمجتمع الذي يمتلئ بالكثير من المشـكلات، من ناحية الحق والوهم والضلال، سأبدو أبيضًا. ولكن، يجب أن أقارن نفسـي مقابل يسوع، الذي هو الحق، وأرى الحق فيما يتعلق بالله والإنسـان والحياة، عندها أرى الأكاذيب، والخداع وعدم الحق في دوافعـي ورغباتي، وعليَّ وقتها أن أتوب، يجب أن أقبل الرب يسـوع الحي الذي مات عن خطاياي حتـى أحصل على الغفران، وقام حتى يعطيني قوةً جديدةً وحقًّا جديدًا، ويُظهِر الدليل على التغيير الذي يحدث في قلبي أن قراري الجديد هو أن أحيا في الحق والبر.

هل تعلمت الحق في يسـوع؟ هل اتخذت حياتـك تغييرًا جذريًّا؟ هل وجدت نفسك تواجهه ثم تستسلم وتستجيب له؟

عندما تعلمنا حق الله بدأنا نحبه، تصف (أفسـس ٤: ١٥) المؤمن بأنه شـخص يتكلم بالحق في محبة. يحاول البعض أن يخفي الحق، ويطلقون على هذا الأمر محبة، وآخرون صادقون للغاية لدرجة أنهم يدمرونك بهذا الحـق، ويدَّعون أن هذه هي المحبة. إن التكلم بالحق في محبة يحتاج إلى اتزان، والذي يأتي عندما تبدأ في فهم كيف أنه أمر بلا محبة على الإطلاق أن تخدع بمكر، وتضلل، وأن تدمر أو تسيئ لسمعة شخص ما. لا أرغب في فعل هـذا، فأنا أريد أن أبني الآخرين، ولكني بهذا أدمّرهم، وقد بدأت أحب الحق وأكره الأكاذيب.

أحـب الحق؛ لأن الكـذب أمر غير اجتماعي، فكمـا يقول «نورمان

جيسيلر»: «إن الكذب يُضعِف الحق الذي يصنع الترابط بين الجنس البشري كله معًا»، ويتطلب مجتمعنا عنصر محدد من الثقة، فلا يمكننا أن نعمل بدونها، ولو لم تكن لدينا الثقة فلك أن تتخيل النظام المالي والنظام الائتماني، والنظام القانوني. فإننا نضع قيودًا على هذه الأشياء من خلال القواعد والقوانين، والتشريعات والمراقبة، وكل أنواع الأشياء لماذا؟ لأننا نعرف في قلوبنا أننا كاذبين.

تخيل فقط ماذا سيحدث لو أن كل القواعد والقوانين والمراقبين والصحافة الحرة والسياسيين سُمِح لهم بأن يفعلوا ما يريدونه. تغاضى عن أي شيء آخر؛ فإنه مجتمع حر للجميع، وبإمكان الجميع أن يكذبوا. على أية حال، لو أنك حافظت على حقك في الكذب، فلماذا لا يجب على الجميع أن يفعلوا نفس الأمر أيضًا؟

ابعد كل القيود والشروط، فماذا يتبقى لك؟ مجتمع ينهار؛ لأنه لو أن الجميع لديهم الحرية لكي يكذبوا، فلن يكون هناك حق فيما يتعلق بشأن ما ستكذب لأجله. إنه أمر غير اجتماعي أن تكذب، ولا يتسم بالمحبة، وله نتائج عكسية.

تخبرنا (أفسس ٤: ٢٩، ٣١): «**لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ... لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ**» لماذا؟ لأنه عندما تشترك في السخط والغضب والصياح والتجديف والمرارة، هل تعلم من الذي سيُدمَّر أولاً؟ أنت؛ فالكذب له نتائج عكسية. لهذا، فنحن نحب الحق، والكذب يتعارض مع الروح، وتقودنا (أفسس٤: ٣٠) «**وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ**». فالروح القدس له اسم آخر ألا وهو «روح الحق»، وأي شيء يتعارض معه في حياتي فهو يحزنه بشدة.

عندما بدأت أحيا بالحق، ومن خلال عرضي لأسلوب حياتي الذي يتسم بالأمانة والاستقامة، بدأ الناس يدركون الأمر، ولكنه لم يكن سهلاً، فالتظاهر بالحق والاستقامة يجعلك تضع نفسك محل أنظار الآخرين. أتذكَّر أنه عندما قال «جيمي كارتر»: «لن أكذب عليكم؟» أخبرني أحد المراسلين العاملين في البيت الأبيض أنه بمجرد أن نطق الرئيس بتلك الكلمات، قررت مجموعة كاملة من المراسلين أن يثبتوا أنه كذب، وكان هذا هو اهتمامهم الأول.

من السهل أن تكون في مكانك وسط الجموع، ولكن، لو أنك بدأت تقول: «أنا مع المسيح، أنا مع الحق» فسيوجه الناس أسلحتهم نحوك. ولكن، تشجع؛ لأن الكتاب المقدس يقول: «طوبى للمضطهدين لأجل البر» واليوم، نحتاج بشدة إلى رجال ونساء يحيون بالحق، فعندما نحيا الحق، يمكننا أن نتحدث به. وبمجرد أن نُظهِر الحق في أفعالنا، يمكننا أن ننادي به بدرجة من المصداقية، فسيكون من الصعب عليك أن تقنع الآخرين لو أنك تحاول أن توصل الحق بيسوع ويحاول الجميع أن يثبتوا أنك كاذب، فمن سيسمع لك؟

تخبرنا الوصية التاسعة ببعض الأمور القوية في تلك الكلمات: «لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ» يوضح العهد الجديد نفس المبدأ بإيجابية عندما يخبرنا: «لِذلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ. وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ. لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ». (أفسس ٤: ٢٥، ٢٩ – ٣٢).

يجب أن نكتشف تلك الحقائق بأنفسنا يوميًا، ونبتعد عن الأكاذيب التي تقيدنا، إلى الحرية التي في المسيح.

الوصية العاشرة



الثمرة المُحرَّمة

تختلف الوصية الأخيرة عن الوصايا السابقة؛ لأن الوصايا التسع الأولى تتعلق بأفعال، أما الوصية الأخيرة فتتعامل مع الاتجاهات. من السهل أن نحدد أفعالنا، ونراها ونصدق عليها، إلا أن الاتجاه قد لا يكون واضحًا.

لماذا يقضي الله كل هذا الوقت في وصايا متعلقة بأفعال ثم فجأة يلقي بوصية تتعلق باتجاهات؟ لو أننا أمعنا النظر في تلك الوصية الأخيرة سنكتشف أن الشهوة تتخلل وتنتشر في الكثير من الأفعال التسعة الأولى المحرمة، وتُعَد تلك الوصية الأخيرة بمثابة الرابطة التي تربطها جميعًا، لأنها تتحدث عن علاقة الناموس بما في داخل قلوبنا.

من أين تأتي؟

إن الكلمة العبرية التي أُخذت منها كلمة «شهوة» لها نفس أصل كلمات «رغبة» أو «لذة»، فلو أنك تعتقد أن الشهوة أو اللذة شيء صغير، فعليك أن تركز على العلاقة بين الفكرتين، فعندما نرى أن الشهوة هي رغبة جامحة في شيء ما قد يكون مبهج ومسر فهذا أمر معقول، على كل حال، فمن ذا الذي سيشتهي شيئًا لا يجذبه على الإطلاق؟ فهو يراه ويحبه ويقول لنفسه إنه يجب أن يحصل على هذا الشيء، فهو يشتهيه.

هل يعني هذا أنه يجب ألا تكن لدينا رغبات، وألا نُسَر بأي شيء؟ لا، فالله بالأساس يعطينا الرغبات، ويملأ العالم بالأشياء المُبهِجة لكي نستمتع بها، ولكن بعدما يقدم لنا هذه الأشياء يحذرنا: «والآن، لا تشتهِ تلك الأشياء المبهجة والمسرة بطريقة خاطئة» تواجهنا هذه الجملة بكل وضوح مع المشكلات الخاصة بتحديد تلك الرغبات الخاطئة والاعتراف لأنفسنا بكيفية تناولنا تلك الأشياء المبهجة بطريقة خاطئة، يجب أن نحقق

الاتزان؛ لأن الله أعطانا تلك الرغبات والأشـياء المسـرة، ومنعنا أيضًا من أشـياء معينة، فإذا تجاهلنا الحدود التي وضعها الله، فإننا - ببساطة - سنسمح لرغباتنا أن تجمح، ونجد أنفسنا نواجه الشهوة.

← ***الرغبات المُعطاة لنا من الله***

أعطانا الله عددًا من الرغبات التي قد تحيد عن أهدافه بسبب اتجاهاتنا: أولاً، أعطانا الله بوضوح الرغبة في المعرفة، ولا يوجد في تلك الرغبة في حد ذاتها أي خطأ. لقد أعطى الله للسـناجب الرغبة في تخزين حبات البندق للشـتاء، وهذا أمر جيد؛ لأنهم إن لم يفعلوا هذا فلن يمكنهم العيش خلال فصل الشـتاء. وأعطى الطيور الرغبة في جمع القش والريش لكي تبني عشًّـا، ولو لم يفعلوا هذا، لن يكون لدى تلك الطيور مكانًا لكي تضع فيه بيضها وتربي أفراخها. وبنفس المبدأ، أعطانا الله الرغبة الأساسية في التعرف على الأشياء؛ فتلك الغرائز المعطاة لنا من الله لها علاقة واضحة بتلك الرغبة في اكتساب المعرفة.

أعطانا الله الرغبة في النجاح، ويمكننا أن نـرى تأثير هذا علينا في الخوف الطبيعي من الفشـل، فإذا لم نشعر بالخوف الشديد، لن نحاول بذل المزيد من الجهد. يضعنا الله في هذا العالم لكي نحقق شيئًا ما، ولكي نكون شـيئًا ما، ونرغب في أن نفعل تلك الأشـياء، لهذا، نتجنب أي شيء قد لا ينتهي بالنجاح.

لدينا رغبة منحها لنا الله في الإثمار؛ فعندما خلق الله البشـر، أوضح أنه يتوقع من الإنسـان أن يأخذ المواد التي ملأ الله بها العالم ويستخدمها لمجد الله، ولفائدة الإنسـان، فأي شـخص يفشل في أن يفعل هذا، يعيش تحت خط الإنسـانية الذي منحه له الله، وتحت خـط الرغبة في التقدم، وهي الرغبـة التي منحها له الله أيضًا، فيجب علينا جميعًا أن نسـتمتع

بالرغبة في اكتشـــاف المزيد، ولكي نأتـــي بالمزيد من الخليقة للخضوع الإلهي.

← الأشياء التي منحها الله لنا

لقـــد أعطانا الله أشـــياءً مبهجةً أيضًا؛ فقد خلـــق العالم ووضع الرجل والمرأة فيه. وعندما نظرا حولهما، قالا إنه مسر. وعندما رأى الله خليقته قال: «هذا حسن». لقد كان آدم وحواء أداتين يعمل بهما الله، فالله لا يفعل أي شيء زائف عندما يقوم هو بالعمل، فهو يملأ عالمنا بالكثير من الأشياء الجيدة.

الحق مُسِـــر، ففي (مزمـــور ١٩: ١٠) يخبرنا الكتـــاب المقدس بأننا يجب أن نُسَـــر بتعاليـــم الله، فحق الله مبهج، وأثمن مـــن الذهب، وفيه ما يبهج نفوســـنا. لقد أعطانا الله القدرة على أن نعرف الحق، وقد أخذ بزمام المبادرة لكي يكشف لنا الحق، وهو يقول إننا سنجد الحق في كلمته. وفيما نعمل في منجم الفضة الخاص بكلمة الله، ونســـتمتع بعملية الاستكشـــاف المبهجة، يملأنا الحق.

يقول الرســـول بولس إنه يجب أن نرغب -أو وفقاً للترجمة القديمة- نشتهي المواهب؛ لأن الله أعطانا عطايا مُسِرة ومبهجة، وقد ملأ حياتنا بها. وبالطبع، يتحدث بولـــس بصفة خاصة عن المواهب الروحية في هذا الجزء المذكـــور في كورنثوس الأولى ولكنـــه أيضًا يعطينا أكثر وأكثر.

لهذا، عليك أن تجمع كل تلك الأشـــياء معًـــا، فما النتيجة التي تتوصل إليها؟ إن الله قد ملأ الخليقة بالمحبة والحق، وبكل أشكال المواهب المُسِرة، هذا بالإضافة إلى أنه أعطانا الرغبات.

الشـــهوة تعني أن الرغبات المعطاة لنا من الله قد اتخذت مسلكًا خاطئًا، فربما نصف الأمر ببساطة على أنه طمع، ولكنه في الواقع يعني أن بعض الرغبات قد تتحول بســـهولة إلى طمع، أو ربما ندعوها «شـــهوة» وراء أمـــور جميلة. ولكن، هذا يتجاهل حقيقة أن الله قد خلقها جميلة، فيجب أن نفكر فيما يتعلق بما يشتمل عليه الأمر هنا.

لقد منعنا الله عن أشـــياء محددة، وأعطانا رغبات ومواهب، وقد قال: «يكفي هذا، ولن تحصلوا على ما هو أكثر». وقد أخبرنا: «لقد خرج هذا الشخص عن الحدود» فما الذي يحرمنا منه؟ أربعة أشياء:

← الرغبة المفرطة

لم يمنعنا الله عن أن نرغب، ولكنه لا يعطينا الحق في أن نرغب بشدة، فلو أننا فعلنا هذا، سنزج بأنفسنا في الشهوة.

ولكـــن، ما هو الإفـــراط؟ لو فهمت هذا الجانب، ستكتشـــف أن رغبةً مفرطةً لدى شخص، تعد بمثابة شيء عادي بالنسبة لشخص آخر. فإن لم نفكـــر بدقة في الأمر، فربما نصفه بأنـــه احتياج، مع أن الله يدعوه طمع، فعلينـــا أن نتجاوب مع الله بحساســـية، لأننا لو خرجنـــا من دائرة الرضا الحقيقـــي إلى الإصـــرار على الطمع، فإننا بهذا نجد أنفســـنا في المناطق المُحرَّمة.

اقرأ أنبياء العهد القديم، وستجد أنهم يَشكُونَ باستمرار من أن شعب الله قد أصبحوا غارقين في الطمع. فكثيرًا ما يوضح الله أن الشهوة كانت من بين الأســـباب الأساسية وراء دخول العبرانيين في الأسر؛ فقد رغبوا فيما هو أكثر بكثير من احتياجاتهم، وبالتالي، أظهروا كم أن الشهوة استحوذت عليهم.

← **الرغبة غير المشروعة**

ثانيًا يمنعنا الله من الرغبة غير المشـــروعة، فعلى الرغم من حقيقة أنه يمكننا أن نرى بعض الأشياء على أنها مسرة، ونريدها، إلا أن الله يقول: «ممنوع الدخول، لا تقترب أكثر من هذا، محال، أرض ممنوع الاقتراب منها» وقد أوضح هذا الأمر.

هل تتذكَّر القصة المذكورة في بداية سفر التكوين، والتي تخبرنا أن الله أتى برجل وامرأة إلى العالم، وأظهر محبته لهما، وكان يريد محبتهما في المقابل؟ ولكن، لا يمكنك أن ترغم شخصًا ما أن يحبك، ولن تمسكه لتقول لـــه: «فلتقع في حبي!» يمكنك فقـــط أن تحصل على المحبة عندما يختار الشخص هذا بإرادته الحرة.

إذا كان بإمكانك فقط أن تحب بالاختيار، فعليك أن تسمح للشخص بالقدرة على الاختيار. لهذا، يعطي الله للإنســـان الاختيارات، وهو يملأ المنطقة كلها بأشـــياء مبهجة، وفي الوســـط يضع سياجًا حول شيء واحد ويقول: «لا تلمسه». لو اختار آدم وحواء أن يطيعا الله، فإنهمـــا بهذا يُظهِران محبتهما، ولو عصيا الله لأظهرا ازدراءً نحوه. ربما لم تكن الشجرة التي سيج الله حولها أجمل من الأخريات، ولكن، بالتأكيد كان لدى الرجل والمرأة المزيد من الأشـــجار الموجودة في الجنة لكي يتعاملا معها، وكانت هنـــاك منطقة واحدة فقط مُحرَّمة، ثمرة مُحرَّمة.

ماذا حدث؟ بالطبع اتجه الاثنان للأمام، وتسـلقا السياج، وجمعا أشياءً من تلك الشجرة المُحرَّمة وأظهرا ازدراءً نحو الله.

يفعل الله هذا دائمًا؛ ففي بعض الأشـــياء يضع لافتة تقول: «لا تتعدى

هذه المنطقة» وينتقل في مناطق معينة من حياتنا ويقول: «هذا شيء مُسِر ومبهج، ولديك اشتياق وتجاوب مع هذا الأمر ولكن لا تلمسه؛ لأنك إن فعلت هذا، فأنت بهذا تفعل شيئًا غير قانوني». يمكننا ببساطة أن نقول لله: «أغرب عن وجهي» ولكن لو أنك رأيت شيئًا حسنًا وقد وضعه الله خارج الحدود، فإنك تُظهِر محبتك نحوه.

عندما نصر على الرغبات غير المشروعة التي نريدها، نقع في الشهوة، ونهين الله. يوضح (يشوع ٧) هذا الأمر من خلال قصة «عخان». عندما دخل بنو إسرائيل أرض الموعد، منعهم الله من أن يأخذوا غنيمةً. رأى عخان لسان ذهب وفضة وبعض الملابس الجميلة فأخذها لنفسه، وخرج بنو إسرائيل للحرب وهُزِموا. وفي الحال، أخبر الله يشوع أن هناك خطيةً، وأخبره بالخطوات التي عليهم اتخاذها حتى يواجهوا عخان. ولكن، ما الخطية التي اعترف بها عندما واجهوه؟ الشهوة.

← رغبة استغلالية

لو أننا رغبنا في أشياء على حساب شخص آخر، فإننا نستغل هذا الشخص لمنفعتنا الشخصية، يتحدث الله عن هذا الأمر بوضوح في (٢بطرس ٢: ٣): «وَهُمْ فِي الطَّمَعِ يَتَّجِرُونَ بِكُمْ بِأَقْوَال مُصَنَّعَةٍ. الَّذِينَ دَيْنُونَتُهُمْ مُنْذُ الْقَدِيمِ لاَ تَتَوَانَى. وَهَلاَكُهُمْ لاَ يَنْعَسُ»

توضح الوصية العاشرة ما يتوقعه الله من خلال ما يمنع الآخرين عن اشتهائه؛ أي بيت القريب وزوجته وخادمته وخادمه وثوره وحماره. ثم يوضح الله الأمر أكثر بإضافة «أو أي شيء مما لقريبك» ما معنى هذا؟ لو أنك ترى ممتلكات قريبك، وتعتقد أن كل أموره على ما يرام تقول: «أريد ما لديه» وتفعل ما بوسعك للحصول عليها، وبالتالي، تستغله لمصلحتك الشخصية، فهذا هو جوهر الشهوة.

كم نفعـــل هذا الأمر بمنتهى الســـهولة في مجتمعنا الـــذي يقوم على المنافســـة، وقدرة الأفضل على البقـــاء واتجاهنا للحصول على ما نريد؛ لأننا نقـــوم بعمل أفضل من الآخرين، فما أســـرع أن تبـــدأ رغباتنا في استغلال الآخرين!

← رغبة حصرية

يمنعنـــا الله أيضًا من الحق في الحصول علـــى رغبة حصرًا، لمجرد أننـــا نريد المزيد والمزيد من الأشـــياء، فنقرأ في (لوقـــا ١٢: ١٣-١٥) «وَقَـــالَ لَهُ وَاحِدٌ مِـــنَ الْجَمْعِ: ‹يَا مُعَلِّمُ، قُـــلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِـــمَنِي الْمِيرَاثَ›. فَقَـــالَ لَهُ: ‹يَاإِنْسَـــانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَـــا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّـــمًا؟› وَقَالَ لَهُمُ: ‹انْظُرُوا وَتَحَـفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَـتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ›». يرفض مجتمعنا القاعدة الذهبية وتعاليم المســـيح في هذه النقطة، ويخبرنا: «لدينا كل الحق في الســـعي للحصول على الســـعادة» والأمر الضمني الواضح هو أننا نجد السعادة في الممتلكات. في المسودة الأصلية لإعلان الاســـتقلال، كتب «توماس جيفرسون» أن الإنسان له حقوق في هذه الحياة والحرية والســـعي للحصول على ممتلكات، وقد غيرت اللجنة التي كان عليها مراجعة هذه الوثيقة الكلمات المستخدمة، ولكن تفكيرنا لم يتغير. فنشـــعر جميعًا أن سعادتنا تكمن في تلك الأشياء التي نملكها، ولكن يســـوع يقول: «لن تشعر بالسعادة بسبب ممتلكاتك» ونجيب: «لا، بل إن ســـعادتنا مصدرها الممتلكات». وهنا، يتقابل المجتمع في شـــمال أمريكا ويســـوع، وجهًا لوجه، فيقول لهم يســـوع: «انتبهوا، حافظوا على أنفسكم من كل أشـــكال الطمع؛ لأنك إذا كنت تعتقد أن لك الحق في السعادة، وإذا كنت تربط ســـعادتك بممتلكاتك، ثم لكي تشعر بمزيد من السعادة، ترغب في المزيد من الممتلكات، فهذه شهوة».

ثم يســـتمر في كلامه ليوضـــح ما يعنيه عندما يتحـــدث عن مُزارِع

غني يحيا حياة جيدة، وحصــد محصولاً وفيرًا، ولم يعرف أين يضعه، فتوســع - ببساطة - كما قرر، ووســع مخازنه وحظائره - والتي كانت جيــدة بالفعل - ليبني أكبر وأفضل منها. وقد فكر في نفســه قائلاً: «لقد قمت بعمل عظيم، ولديَّ الكثير من الأشــياء الجيدة التي يمكن أن تكفيني لسنوات عديدة، والآن، لأســتمتع بالحياة، آكل وأشرب». فجلس الفلاح لكي يمتع نفســه بالنجاح الباهر الذي حققه، ولكن الله وصفه بأنه أحمق، وقال: «**يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ. فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟**» (لوقا١٢: ٢٠)، يحدث هذا لأي شخص يكنز أشياءً كثيرةً لنفسه، ولكنه ليس غنيًا في نظر الله.

كتب بولس في رسالته إلى تيموثاوس بشأن العالم، ليوضح أننا لن نأخذ شــيئًا منه معنا، فماذا تفعل بين الوقت الذي بدأت فيه بلا شــيء، والوقت الذي انتهيت فيه بلا شــيء؟ لو أنك انغمســت وانشغلت في القيام بالكثير من الأشياء، فإنك بهذا ابتعدت عن هذا اللاشيء إلى الأشياء وستعود إلى اللاشيء مرة أخرى. يجب أن يكون هناك معيار آخر للقياس، وقد وضحه يســوع بهذه الطريقة: «**بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّــمَاءِ. حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ. وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ**» (متى ٦: ٢٠).

إذا طمعت، فســأجد نفسي أفعل هذه الأمور، وعندها، ماذا عن الأمور الأبدية؟ ماذا يحدث لعناصــر الحياة الروحية؟ إذا كنت أحيا بتلك الأمور كل حياتي، وأنسى الله، فســينتهي بي الأمر إلى اللاشيء، لهذا، يمنع الله الناس من حق الرغبة الحصرية.

تذكَّر أنه أعطانا الرغبات، وصنع أشــياءً جميلةً، ولكنه أيضًا هو الذي يأمرنا بتلك الأشــياء التي يجب ألا نفعلها. الشهوة تعني أن تعبد الرغبة، وتكرس حياتك لإشــباع رغباتك. وقد فعلت هذا عندما ســعيت للحصول

على شـــيء مُسِر واحد تلو الآخر، وحافظت على حقي في الحصول على تلك الأشياء دون أية قيود.

ماذا تفعل الشهوة؟

أولاً، الشهوة تقود إلى عدم الأمانة والظلم. رأى داود بثشبع، واشتهاها، ومن الواضح أنه يفهم الوصية العاشرة، ولكن كان منظرها مُسِرًّا، وداود رجــل ولديه الرغبات التي أعطاها له الله، وعلى الرغم من أنه عرف أن الله وضعها خارج حــدوده، إلا أنه لم يعترف بما منعه الله عنه، وارتكب الزنـــا. هل هذه هي نهاية القصة؟ لا، بل البداية، لقد فتح هذا الأمر فصلاً مُحزِنًا من عدم الأمانة والظلم، وتوالت الكوارث في حياة داود.

في مجتمعنـــا اليوم، عندما نذهب وراء كل ميل نشـــعر به، ونتجاهل الأمور التي يحذرنا الله منها، نفتح الباب للإصابة بالكثير من الألم والأذى في حياتنا، ويمكننا أن نرى النتائج في كل شيء.

دعونا نواجه الأمر: نرى أشخاصًا كثيرين يتصفون بالجمال، والكثير منا لديه زيجات لا ترضيه على الإطلاق. ولا نشـــعر بالرضا، لأننا نقرأ عن الجنـــس في مجلـــة «Play boy»، ولو لم يَرقَ شـــركاؤنا إلى هذا المستوى، فســـنجد كل أنواع المشـــكلات والبدائل الأخرى لكي نتركهم، وعندما نذهب إلى كل أنواع الأســـاليب الغريبة لكي نســـتمتع بأنفسنا، فقد نجد المتعة والإثارة، وربما أيضًا نحطّم حياة آخرين. لهذا، دعونا نتحدث عن الشهوة كما هي فعلاً، فهي خطية تؤدي إلى كل أنواع الدمار.

دعونـــا ننظر إلى أخآب وإيزابل ونابـــوت. كان لنابوت كرم صغير- قطعـــة أرض من أملاك عائلته أعطاها لـــه الله- وقد حصل الملك أخآب على كل الأراضي المحيطة به، وأراد هذا الكرم. فذهب إلى نابوت وقال:

«أنت، اسمع: أريد كرمك، فقط دعني أحصل عليه، وسأدفع لك وأعطيك أرضًا أخرى»

فأجاب نابوت: «لا يمكنني أن أفعل هذا؛ فهذه هي الأرض التي أعطاني أياها الله، وهي ملك لعائلتي، وقد كانت ملكًا لنا لأجيال، وستبقى ملكنا، وحتى لو ذهبت، فيجب أن ترجع لي في سنة اليوبيل، هل تفهم هذا يا أخآب؟»

فابتعد أخآب وحزن، ولكن زوجته إيزابل لم يعجبها أن يحزن زوجها، لهذا قالت: «ما الأمر؟»

فأجاب الملك: «لم أستطع الحصول على كرم نابوت».

«لا تقلق بشأن هذا الأمر، فسأتولاه أنا».

نعم تولت الأمر، ومضت وراء شهوتها تجاه هذا الكرم، وأرادته لكي يحصل عليه زوجها، وقد وضعت إيزابل نابوت في مكان بارز وأتت بشهود ضده، واتهموه بأشياء لا يمكن الإفصاح عنها، واستخدموا الناموس لكي يُميتوه.

وأعلنت الملكة: «عظيم، فلتأخذ الكرم يا زوجي».

ببساطة، أدت الشهوة إلى ظلم، وأدى الظلم إلى خيانة، ومنها إلى كل أنواع الأمور التي لا يمكن التحدث عنها. في أماكن أخرى، تُتَرجَم الكلمة العبرية «شهوة» بمعنى «قطع» والعزل أو القطع يؤدي إلى الخداع والنهب، وهذا معنى الشهوة: أن تسرق من الآخرين.

← تخلق طلبات نهمة

تخلق الشهوة طلبات نهمة، في (مرقس ٧) وصف يسوع الأمر بهذه الطريقة، فقد قال: «انظروا أيها الفريسيون، لا تعتقدوا أن ما يدخل الجسد

ينجسه، ولكن ما يخرج من الجسد، هو ما يفسد الجسد فهذا هو الفساد». ثم ذكر قائمةً بأشياء كثيرة تخرج من الجسد بما في ذلك الشهوة، وقد حذر قائلاً: «أنها موجودة، فهي فينا». جميعنا نشترك في تلك الطبيعة والميل للشهوة.

إن قبلنا هذا، هل نقبل حقيقة أن مجتمعنا مُعرَّض لخطر محقق؟ من بين الكلمات اليونانية للشهوة معنى «الحصول على المزيد، مجرد المزيد ثم المزيد والمزيد». في السنوات الأخيرة، عبدنا مسألة التوسع الاقتصادي، فنريد أن يحصل كل شخص على وظيفة، وهذا هدف سامٍ. فإذا حصل كل شخص على وظيفة، لازداد الإنتاج. وكلما زاد الإنتاج، كلما يكون لدينا ما نبيعه. وإن أردنا أن نبيع المزيد والمزيد من الأشياء، فهذا يعني أن الناس عليها أن تشتري المزيد والمزيد، لهذا نعمل على إقناع الناس بشراء المزيد.

كيف يمكننا أن نفعل هذا؟ حسنًا، يعرف بعض الأذكياء نظرية (مرقس٧) - حتى لو لم يسبق لهم قراءة الكتاب المقدس - فهم يعرفون أن لدى الجميع ميل نحو الشهوة، لهذا، فإن اقتصادنا الذي يتسع، يغوي المستهلك.

والآن، بعدما ندخل في تلك الدائرة المُفرَغة، ينتهي بنا الأمر بمزيد ومزيد من الناس خارج العمل، ويصبحون أكثر عبئًا على المجتمع، ولديهم دخل أقل، ويدفعون أقل للضرائب. وبهذا، ندخل في دوامة اقتصادية بغيضة، فلدينا ميل نحو الاهتمام بالذات، والذي يؤدي إلى الشهوة، وبما أن هذه هي مطالب مجتمعنا ومبادئنا الاقتصادية. لهذا، فإننا لا ندرك حتى ما يحدث.

في كتاب «آدم سميث» بعنوان «Wealth of Nations» - والذي

كُتب في عام ١٧٧٦- قال: «إن أهم دافع أساسي يدفع الإنسان للأمور الاقتصادية هو الاتجاه الخاص بالاهتمام بالذات» بمعنى آخر: «ما معنى هذا بالنسبة لي؟»

أتريد شيئًا أحدث من هذا؟ كتب «جورج ف. ويل» في عام ١٩٨٤ يقول: «إن أكثر مبادئ المحافظين شيوعًا وحداثةً تتسم بأنها مريحة بشكل يثير الدهشة؛ فهي تميل بلطف إلى تعريف الخير العام على أنه أي شيء ينتج عن السعي بلا قيود وراء الغايات الخاصة».

يشير إلى تدفق في التفكير عندما نفترض أن الصالح العام يمكن أن يأتي للجميع بالحرية لكي يسعى إلى أهدافه الأنانية، وأعتقد أن اقتصادنا يثبت أنه محق، فإننا نجلس على برميل بارود. فمن ناحية، يخبرنا الاقتصاد: «المزيد والمزيد، انتج المزيد، وبع المزيد واحصل على المزيد» ومن ناحية أخرى، يحذرنا الله: «لا تشتهِ، فطمعك سيقتلك».

← خليط الحكم الأخلاقي

تخبرنا (أفسس ٥) أن السعي للحصول على المنفعة الشخصية يمكن أن يكون وثنًا، فنسقط في محاولة تحسين مستوانا، ونجعل اهتماماتنا الشخصية تسيطر على حياتنا. ولهذا، إن لم نكن منتبهين، سنجد أننا نعبد وثن الاهتمام بالذات، عندما يحدث هذا، يختلط حكمنا الأخلاقي بشهوتنا.

ماذا حدث للرجل المذكور في (لوقا ١٨) الذي أراد الحياة الأبدية؟ أخبره يسوع أن يذهب ويبيع كل أملاكه ويرجع ويتبعه. أجاب هذا الشاب: «مستحيل!» ولهذا، أوضح الرب يسوع أن الأغنياء يهتمون بالأمور المادية، وهذا هو المكان الذي يوجه قلبه نحوه: «**حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضًا**» (لوقا١٢: ٣٤)، فلو كان كنزك هنا على الأرض،

فهناك يكون قلبك أيضًا، ولو كنت تجمع كنزك في السـماء، فإن ممتلكاتك الثمينة هنا على الأرض لن تكون مهمة.

كيف نتجاوب؟

عندما نراجع الأمر، نجد أننا نعبد أنفسـنا على حساب الآخرين، فكل مـا يهم هو ما نحصل عليه، وما نريده، والحصول على ما نرغبه، وفعل ما نريد أن نفعله، والذهاب إلـى حيث نريد الذهاب، ماذا يمكننا أن نفعل لكـي نواجه الأمر؟ أولاً، يجب أن نأخذ ما يقولـه الله مأخذ الجد، فعندما يتعلق الأمر بالشـهوة نجده يقول: «لا تشـتهِ» فيجـب أن نفحص قلوبنا ونطرح مزيدًا من الأسئلة: هل أطمع في الحصول على منصب أو مكانة أو مديـح أو ممتلكات؟ هل ذاتي حساسـة للغاية لدرجة أني محتاج لمزيد ومزيد من الممتلكات حتى تجعلني أشـعر بالسعادة؟ هل أحتاج لمزيد من الإطراء حتى يجعلني أشـعر بأني على ما يرام وأقبل نفسي؟ هل أنا جائع لمزيد من المكانة، وأطمع في أن يراني مزيد ومزيد من الناس؟ هل أحتاج إلى مركز آمن لا يمكن لأي شـخص أن يتحداني فيه؟ هل أبحث عن تلك الأمور؟

يجب أن نفحص قلوبنا، ونسأل أنفسنا إن كان اهتمامنا بذواتنا هو الدافع الأول الذي يحركنا، هل نسـتخدم كلمات مثل «أنا، ونفسي، وما أملكه» كثيرًا؟ هل لا نفكر إلا في أنفسنا فقط؟ هل يبدو أن العالم يدور حولنا؟ هل تُظهِر حياتنا تأثير المسلسلات التليفزيونية؟

إن قضينا الكثير من الوقت مع تلك الأشياء والقليل مع كلمة الله، ربما نصاب بالشـهوة ولا ندرك الأمر، ولو رأينا شـهوتنا، يجب أن نعترف بهذه الخطية، قائلين: «أنا أنتقل الآن إلى منطقة ممنوعة» وعندها، يجب أن نعدّل أسـلوب حياتنا، لا يمكننا أن نتحدث بسـهولة عن فحص قلوبنا

والاعتراف بالخطية، ولكن يجب أن نأخذ بعض الأفعال في حياتنا أيضًا، هذه هي المشكلة.

ماذا يحدث في مسألة السعي للحصول على تلك الأشياء؟ هل تفعل هذا لكي تشارك بالأشياء وتجعلها متاحة للآخرين؟ ربما نقدم العشور، عندما ننجح في أمور هذا العالم التي يكبر فيها المال، ولكن تلك الـ ٩٠ بالمائة أيضًا تزداد أكثر وأكثر، وننفقها على أسلوب الحياة المسرفة.

ما معنى أن نحدَّ أسلوب حياتنا؟ نرى الأسلوب الذي نحيا به ونقول: «إلى هذا الحد وليس إلى ما هو أبعد من ذلك» لا نحتاج هذا المنزل أو تلك العطلة المكلّفة، لا نحتاج إلى شراء سيارة أخرى جديدة، ونتجنب الإنفاق غير الضروري. ولكن، كلما يعطينا الله المزيد، نكتشف أن متعتنا الأكبر في أن نعطي المزيد، فلدينا المزيد لنشارك به.

نجد أنه من الصعب أن نقول عن الشهوة إنها خطية، ونتوب ونبتعد عنها. وبما أنها غير موجودة، فلا يمكنني أن أقدم لك أي حلول بسيطة. ولكن تذكَّر ما يقوله الكتاب المقدس: «لأن القناعة مع الرضا ربح». نريد جميعًا القناعة والرضا، ولكننا قبلنا كذبة أنه كلما حصلنا على المزيد كلما شعرنا بمزيد من الرضا. حقًّا، كلما كان لدينا المزيد، كلما قلقنا أكثر على كيفية الحفاظ عليه، وكلما كان لدينا المزيد كلما رغبنا في المزيد.

ولكي نُشفَى من هذا، علينا أن نضع غطاءً، يجب أن نرى توسعنا على أنه فرصة لكي نعطي كما للرب. فلو أنني أحب المال، فأنا أتغاضى عن حقيقة أن محبة المال أصل كل الشرور، وأفضِّل أن أرجع لشعور الرضا بالطعام والملابس، لماذا؟ لأن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول إنه

يمكننا أن نشعر بالرضا؛ لأن الرب هو نصيبنا، فإن أردنا أن نحيا كما لو أننا نؤمن بهذا، سيكون علينا أن نُجرِي تغيرات ضخمة في حياتنا.

هل يستحق الأمر؟

يمكن أن تستند إلى هذا!

الوفاء بمتطلبات الوصايا

عندما أخرج الله شعبه المختار من أرض مصر، أقام عهدًا معهم، حيث يكون إلههم ويكونون هم شعبه، وأراد أن يعمل من خلالهم في كل الأمم المحيطة بهم، ليُظهِر معنى الدخول في علاقة معه، فيحب الإسرائيليون الرب إلههم بكل قلبهم وفكرهم ونفسهم وقوتهم، ويحبون أقرباءهم كأنفسهم، وتُظهِر تلك الأفعال أنهم شعبه المميز.

ولكي يقدم لهم معونةً عمليةً بإظهار أن الله هو الأول في حياتهم، أعطاهم أربع وصايا. ولكي يساعدهم أن يعرفوا كيف يحبون أقرباءهم، أعطاهم ست وصايا أخرى.

حفظ الوصايا

اليوم، بعد مُضي آلاف السنوات، بعدما قدمنا تلك الوصايا، إلى أي

مدى علينا أن نحفظها؟ كيف نفي بمتطلبات الوصايا؟ ماذا يجب أن يكون معناها بالنسبة لنا؟

← لا أحد بار

في (رومية ٣: ٢٠) يقول بولس: «**لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ**»، تقدم هذه الآية أمرين في غاية الأهمية بشأن الوصايا العشر: أولاً تخبرنا أنه لا يوجد أي شخص بار أمام الله؛ لأنه عليه أو عليها تتميم الوصايا العشر، وهذا يُعَد بمثابة مفاجأة للبعض.

ستواجه كثيرين يخبرونك: «إني أحيا بالوصايا العشر» وسيقولون لك تلك الكلمات بابتسامة الرضا على وجوههم. والحقيقة هي أنه لا يمكنهم أن يسردوا الوصايا، ولا يزعجون أنفسهم بحفظها، فهم لا يعرفون الوصايا ولكنهم يعيشون بها، وسيقولون لك: «إنها العرف الأخلاقي الخاص بنا، وهذا يكفي».

يشعر بعض الناس - خاصة هؤلاء الذين نشأوا في مناطق بها تأثير ديني عميق - أنك إذا أعطيت تلك المحاولة من نصف القلب لحفظ الوصايا، فأنت على ما يرام، ويعتقد الله أنك شخص جيد ويشعر بالسرور لأنك في جانبه، ولكن هذا تفكير خاطئ؛ إذ يخبرنا الكتاب المقدس: «ليس أحد بار في نظر الله من جهة حفظ الناموس» لماذا؟ لأن أحدًا لم يفعل هذا من قبل. يصف بولس الناموس بهذه الطريقة: «الناموس مقدس، وبر، وجيد وروحي» ولكنه يمضي في كلامه ليقول: «إن هؤلاء الذين سيتبررون؛ أي سيُعلَن أنهم أبرار بإتمام الناموس، عليهم أن يتذكروا شيئًا ما، مطلوب منا أن نستمر في كل ما يطلب منا الناموس أن نفعله، فلن يُسمَح لنا بالاقتراب من الوصايا العشر بلا مبالاة وبالاختيار من بينها».

هل لاحظت كيــف نميل ونختار من بين الوصايا؟ فلو أننا فعلاً نعيش فيمـــا بين الناس في مجتمعاتنا نلاحظ أن شـــخصًا مـــا يقول: «لا تزنِ» ونســـير وراء كل هؤلاء الزناة من حولنـــا، ونهاجم هؤلاء الذين يفكرون بأفكار الزنا، وبالفعل، نحكم أحكامًا صعبة على كل الخطاة!

ولكن الحقيقة التي يقولها الله: «لا تشـــتهِ» تنطبق علينا جميعًا. لا بأس أن تكون جشعًا، طالما أنك لا تزني، أليس كذلك؟ فلو أنك تشتهي ممتلكات أو ثروة أو منصب، فلا بأس، طالما أنك لا تشتهي زوجة قريبك.

ليست لنا حرية لتبنِّي مثل تلك الاتجاهات، فلو أردنا أن نحفظ الوصايا العشـــر، فعلينا أن نحفظها جميعًا. لم أقابل الشخص الذي يمكنه أن يطبق الوصايا العشر كاملةً ويقول إنه حفظها جميعًا.

اعتقد واحد من الشـــباب الذين قابلوا يســـوع أنه قد حفظها كلها، وقد ســـمعه يسوع باهتمام شديد وهو يخبره بأنه شخص كامل ويسعى للكمال. وأجابه: «حســـنًا أيها الشـــاب، ولكن هناك شيئًا واحدًا فقط يجب أن تفعله الآن: اذهـــب وبع كل أملاكك ووزعها، فهذا هو كل ما يجب عليك فعله، ثم تعال وكن واحدًا من تلاميذي»، وعندما ســـمع الشاب هذا الكلام، فكر فيه ومضى حزينًا، لماذا؟ لأنه اقترب من الوصايا العشـــر بلا مبالاة وهو يحـــاول الاختيار من بينها، وأراد أن يتخلص من الوصية العاشـــرة التي تقول: «لا تشـــته» وهو مملوء بالشـــهوة، لقد وضع يسوع يده على بيت الداء.

إن حفظنا الوصايا، لن ننزلـــق؛ ففي بعض الأحيان تكون لدينا نقاط روحية سامية، ونشـــعر بكل الحماسة، ونشـــاهد برنامجًا تليفزيونيًّا أو مؤتمرًا أو نذهب للكنيســـة ونتحمس، ثم نشعر بحاجتنا لمزيد من الأشياء

لتحمسنا. وعندما نترك الاجتماع أو نتوقف عن مشاهدة التليفزيون، نسمع سكونًا، وسريعًا، يمكننا أن نرى الفتور الذي تتسبب فيه في حياتنا الروحية. فإن أردنا الوصايا العشر أن تبررنا، لا يمكن أن يكون لدينا نقاط ضعف ونقاط قوة، ولا يمكن أن نشعر بالاهتمام بتلك الوصايا بشكل متقطع، فعلينا أن نحفظ العشر وصايا جميعًا، داخليًا وخارجيًا طوال الوقت.

← ضمير الخطايا

تخبرنا (رومية ٣: ٢٠) أيضًا بالأمر الثاني الذي يجب أن نتعلمه من الوصايا: «**لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ**».

ربما نشعر بأننا سعداء بأنفسنا عندما نرى أننا أناس لطفاء، ربما نكون محقين؛ فقد علمتنا أمهاتنا الفضائل الأخلاقية، وكيف نتصرف. ويمكننا أن نغطي أمورًا معينة، ونعرف كيف نصادق الناس. وربما تعلمنا كيف يمكننا أن نكوّن صداقات، ونؤثر على الناس. ولكن، ما حالنا عندما لا نمثّل على الآخرين؟ كيف حالنا عندما نكون بمفردنا؟ يجب أن نعرف أنفسنا كما هي فعلاً؛ فالكتاب المقدس يخبرنا أن الناموس يساعدنا أن نفعل هذا.

منذ فترة، عندما زرت و«جيل» ساحل العاج، ذهبنا إلى مدرسة لأطفال الإرسالية. وفي أحد الأيام في تلك المدرسة، كان هناك بعض الأطفال يلعبون حول قاعدة شجرة، ووجدوا فتحة رأوا من خلالها شيئًا جميلاً حقًا، أمضوا وقتًا رائعًا ينظرون ويثرثرون بشأنه، حتى لاحظ أحد المعلمين ما يفعلونه، وتحرى الأمر، وفي الحال قال: «أيها الأطفال، ابتعدوا عن هذا!» واستدعى أربعة رجال أفارقة.

نزل أحد الرجال في تلك الفتحة، وأمسك به الآخرون، ثم أمسك بذلك الشيء الجميل الذي كان موجودًا في الفتحة، وأمسك برجله بشدة، وسحبوا كلاهما واستخدموا منجلاً دون الرأس، للتعامل مع الثعبان الكبير غير السام الذي يبلغ طوله خمسة وعشرين قدمًا، ورأيت الجلد عالقًا في أحد الجدران عندما زرت هذه المدرسة.

مثل هؤلاء الأطفال، ننظر إلى الفتحة تحت الشجرة ونلعب بشيء يبدو رائعًا، حتى يظهر موقف ما، ثم تظهر طبيعته الحقيقية، هل تعرف ما أنت من الداخل؟ لكي تكتشف، عليك أن تطبق ناموس الله.

في (رومية٧: ٧، ٨) يسأل بولس: «فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ:«لاَ تَشْتَهِ». وَلكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ. لأَنْ بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ» يخبرنا بولس في هذا الجزء أنه في داخل كل منا تكمن قدرة كامنة على الخطية. فبطريقة ما، يجب أن نأتي لنواجه ما يتعلق بقدرتنا الخاطئة، لا يؤمن كثير منا أنها موجودة. لهذا، لابد من تطبيق شيء ما حتى تكشف الخطية عن نفسها لنا؛ فإن الخطية تُظهر ذاتها بأنها جميلة ورائعة، وتسكن في داخلنا، على الرغم من أننا من الخارج أناس محبوبون، فبطريقة ما أو بأخرى، لابد وأن يُظهرها الله حتى يمكننا أن نعرفها كما هي.

توضح الوصايا العشر الخطية؛ فعندما نعرّض أنفسنا للوصايا العشر، نكتشف كم أننا طامعون وشهوانيون، وكم أنه من الممكن أن نصبح بعيدين عن الحق، وذلك عندما نخدم الخطية. فعندما ننظر إلى تلك وغيرها من الخطية، فإنها تفتح أعيننا، ونسأل: «هل هذا أنا؟» والإجابة هي: «نعم، هذا هو أنا في الحقيقة».

لن يتمكن أحد من حفظ الناموس، وعلينا أن ندرك طبيعتنا الخاطئة من خلال الناموس عندما يطبقه الله على حياتنا.

← صحح الأمور مع الله

نقرأ في (رومية ٨: ٣) «**لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ**». ما هو الأمر الذي يقف الناموس عاجزًا عنه؟ إنه لا يمكن أن يقوم ويصحِّح أمورنا مع الله، ولا يمكن للوصايا العشر أن تجعل شخصًا ما مناسبًا للسماء، ولا يمكنها أن تُعدَّنا لكي نحيا كما يجب أن نحيا، لماذا؟ بسبب ضعف طبيعتنا الخاطئة.

والآن، هذا لا يعني أن هناك شيئًا ما خطأ في الناموس، ولكنه يعني أن هناك شيئًا ما خطأ في المادة التي يجب على الناموس أن يعمل بها. منذ عدة سنوات، عندما ذهبت إلى المدرسة الثانوية، كان لدينا معلم أتى لكي يقدم موسيقى الخورس في مدرستنا. وكانت له سمعة جيدة في كل المنطقة من حولنا في قدرته على إخراج فريق الكورال بشكل رائع. ومع ذلك، ترك مدرستنا يائسًا، لماذا؟ لأنه وجد هناك مجموعةً من الأطفال لا يحبون الموسيقى أو لا يريدون أن يرنموا حتى وإذا كانوا يحبون الموسيقى وكان لكل منهم صوت رائع، وكان هذا خبر سيئ.

ولكن هذا لا يعني أن معلمنا لم يكن موسيقي نابغ؛ لأنه حقًّا كان كذلك، ولكن المادة التي كان عليه أن يعمل بها كانت السبب في المشكلة. وينطبق نفس الأمر على الوصايا العشر، فيجب أن تعمل معي ومعك، فلدينا طبيعة خاطئة تبقى غير مبالية أو مضادة نحو ناموس الله، فليس لدينا ما يتطلبه الأمر عندما يتعلق بإتمام الوصايا العشر، وذلك بسبب طبيعتنا وبسبب قداسة الله.

اسمع الأخبار السارة: ما لا يستطيع الناموس فعله، يستطيع الله أن يفعله. ماذا فعل الله؟ أرسل ابنه على صورة إنسان؛ لكي يساعد الإنسان أن يعرف الله، وأكمل يسوع الناموس، وكان الرب يسوع تجسدًا حيًّا للوصايا العشر، يحياها ويتنفسها. وبهذا، أضاف للناموس ما يديننا، فلدينا حياة المسيح لكي تديننا. ولكن، يسوع لم يأتِ ليفعل هذا فحسب، ولكنه مضى للصليب كذبيحة خطية. فكل العواقب الخاصة بكسر الناموس، كل اللعنات التي كانت علينا لأننا لم نكن كما يجب أن نكون، كل عواقب طبيعتنا الخاطئة ضد الناموس وفعل كل أنواع الأشياء الخاطئة، جمعها الله معًا، ووضعها على المسيح الذي مات لأجل خطايانا.

هل تقابلت مع أي شخص لم يَمُت المسيح لأجله؟ هل قابلت شخصًا ما لم يُطهِّره موت المسيح ويجعله في علاقة سليمة مع الله؟ الإجابة: لا، لأن هذا الشخص لم ولن يولد؛ فنحن الأفراد الذين مات المسيح لأجلهم، حتى نحصل على غفران الخطايا.

تغيير القلب

ربما تريد أن تسأل: «لو أن الوصايا العشر غير نافعة، لماذا نزعج أنفسنا بدراستها؟» أنا سعيد لأنك سألت هذا السؤال، هناك شيء واحد أخير بشأن الناموس.

الوصايا العشر مهمة لنا؛ لأنها عندما تُظهِر لنا خطيتنا، تقودنا -بكل ما نشعر به من خزي- للمسيح، حتى نحصل على الغفران، ويمكننا أن نصبح أحياءً من خلال الرب يسوع المسيح الذي مات عن كل واحد فينا. ماذا يفعل يسوع عندما يدخل حياتي؟ يكتب ناموسه على قلبي، وهذا يعني أنه يغير رغباتي وطموحاتي، ويغير اتجاه حياتي ويعطيني القوة للتغيير، وعندما يأتي المسيح لحياتي، فإن بر الناموس يصبح مُتمَّمًا فيَّ. فأجد

محبة جديـــدة نحو الرب، وأرغب في أن يكون هـــو الأول، ويكون لديَّ اهتمام جديد بيوم الرب، واهتمام جديد نحو الآخرين، وعندما أرى الشهوة والطمع أبتعد عنهما، وأبتعد عن كل تلك الأشياء التي هي خطية.

وأُظهِر أني أســلك في الناموس، وأتمِّم بر الناموس بســبب تغيير قلبي.

في إحدى المرات، عندما كنت على متن طائرة، أخرجت كتابي المقدس وبدأت أقرأ، وجاءت المضيفة وقالت: «يجب ألا نســكب القهوة على هذا الكتاب الصالح، أليس كذلك؟»

فأجبت: «فعلاً، يجب ألا نسكبها».

وبعد برهة تكلمت معي امرأة أخـــرى ثم توقفت، وتحدثنا مرة أخرى وقالت: «أتعرف، منذ أربع سنوات، كان الكتاب المقدس كتابًا ميتًا بالنسبة لي، ثم حدث شيء ما لا يمكنني أن أشرحه، وأصبحت لا أستطيع الاكتفاء من هذا الكتاب، إني أقرأه بنهم».

فأجبت: «أعرف ما حدث، هل قرأتِ كتابًا مملاً، ثم في يوم ما، تقابلتِ مع الكاتب؟ وبعدها تلتقطين نفس الكتاب وتقولين: ‹أعرف من الذي كتب هذا› فهو أكثر كتاب شيق على مستوى العالم بالنسبة لكِ».

«نعم هذا ما حدث معي، لقد تقابلت مع الكاتب».

عندمـــا تتقابل مع كاتب كلمة الله، يبدأ فـــي أن يكتب الكلمة على قلبك بدلاً من أن يزج بها في رأســك. وتبدأ تشــعر بالرغبــة في قراءتها بدلاً

مـــن تركها، وتتوق أن تراها تعمل فـــي حياتك، بدلاً من أن تقول: «لماذا يخبرني الله بهذا؟»

يُظهِـــر هذا التغير القلبي أنك تُبتَ عن خطيتك، وأن الله قد غفرها لك، وأن المســـيح الحي قد دخل قلبك. والآن، تم ناموس البر فيك؛ لأنك تسلك بحسب الروح لا بحسب الجسد. وعندما تسير في تلك الحياة، تتحول أنت أيضًا إلى تجســـيد حي للوصايا العشـــر، حيث تحيا بها وتتنفسها وتُظهِر محبتك نحو الرب، ونحو الآخرين، وتصبح مهمة بالنسبة لك.

فيما تقـــرأ، هل قلت الوصايا ســـريعًا وقلت لنفســـك: «أنا أحفظ تلك الوصيـــة»؟ أم هـــل قلت: «نعم، أنا على ما يرام فـــي تلك الوصية»؟ ثم تكتشف فيما بعد: «لا لم أتمِّم هذه»؟ هل لاحظت أنك وجدت أمورًا مختلفة كنت تتجاهلها؟ حسنًا، لم تكن هذه هي النقطة الأساسية.

النقطة الأساسية هي أننا عندما نعرِّض أنفسنا للناموس ونحفظه - وهو مـــا لم نفعله - نفهم أنه لا يمكن لأحد أن يكون بارًّا بالناموس، ونكتشـــف طبيعتنـــا الخاطئة، هل يزعجك هذا؟ هل بدأت تقول: «يا الله، ما هذا الذي يمكنني أن أفعله»؟

يقول الله: «لا شـــيء، لقد فعلت هذا، لقد قدمت المسيح كذبيحة خطية، والآن، أنت تعرف خطاياك، وتعرف استحالة التخلص منها، ولكن اسمع: لقـــد أخذت خطيتك ووضعتها على المســـيح، وقد مات عنك. فإذا أتيت له واعترفـــت بها وطلبت منه أن يغفرها لـــك ودعوته أن يدخل ويغير قلبك وذهنك وحياتك، فسيفعل».

إلـــى أي مدى وصلت في كل هذه الأمـــور؟ عندما تنظر لحياتك، هل

يمكنك أن تقول: «كان هذا هو حالي، وهذا هو حالي الآن»؟ هل يمكنك أن تقول: «أظهر لي الناموس خطيتي وقادني للمسيح وحصلت على الغفران، فالمسيح الحي أتى إلى حياتي بروحه وغيرني، والآن، لديَّ رغبة في أن أحيا بطريقته»؟ إذا كان الأمر هكذا، فاعرف أنك مختلف.

وإذا لم يحدث هذا، فلابد وأن يحدث؛ لأنه إذا لم يحدث فلن تنجح جهودك في حفظ الناموس هنا على الأرض كما هو الوضع في السماء، فهنا سيبدو مجهودك الضعيف بلا جدوى، حيث إنه لم يفعل شيئًا لكي يجعل الأمور مع الله على ما يرام؛ فالله فقط يمكنه أن يغير روحك، عندما تأتي له بالتوبة، فالجهود التي ليست من كل القلب لحفظ الوصايا، لن تفتح الطريق للحياة الأبدية؟

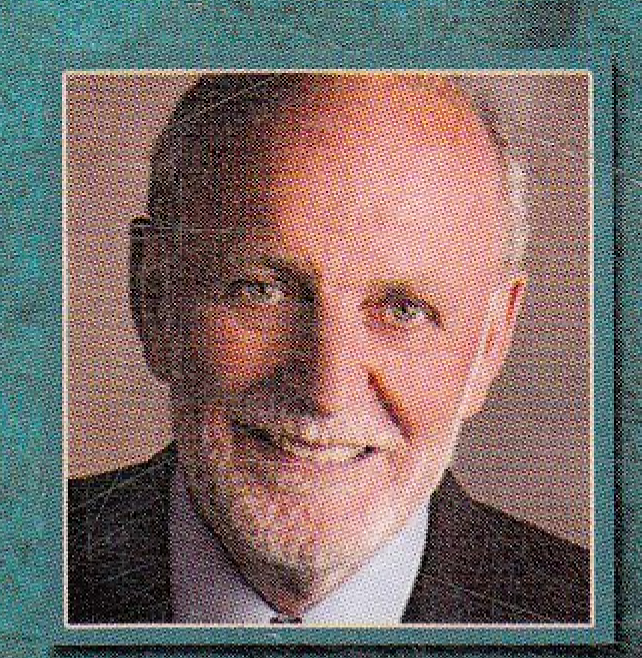
أين أنت اليوم؟ هل أنت بحاجة لتوجيه التزامك الأول لله؟ إذا كانت الإجابة نعم، فلِمَا لا تقضي وقتًا لكي تفعل هذا الآن؟ أم هل لديك التزام نحوه ولكنه بعيد عن المكانة السليمة؟ انتهز هذه الفرصة لكي تراجع ما فعله الله لأجلك، واقضِ وقتًا معه في الصلاة، لكي تصحّح الأمور.

ثم اقضِ بعض الوقت لتتعلم معنى أن تعيش وفقًا للقواعد.

يعرف معظمنا ما هي الوصايا العشر، ولكن هل نفهم فعلاً معناها؟ قرر كثيرون في العالم - الذي تتغير فيه المعايير بصفة مستمرة - أن تلك المجموعة الخاصة بالأخلاقيات قد أصبحت غير مناسبة لهذا العصر.

يفحص "ستيوارت بريسكو" بأسلوبه المباشر والمشجِّع تلك المبادئ العشرة مبدأً تلو الآخر، ويطبقها على أمور الحياة الحالية وعلى الأمور المتعلقة بالإيمان: ما معنى أن تتجنب الزنا في العالم الحالي؟ أو ما معنى أن تحفظ يوم الرب، أو أن تتمم التزاماتك نحو والديك، أو أن تزرع الاستقامة في حياتك؟ ما علاقة تلك الوصايا بيسوع المسيح؟ ففي أثناء حياة ابن الله وتعليمه، قدم المعاني الكاملة للطاعة والغفران التي تجذب انتباهنا.

"الوصايا العشر: الحياة حسب الوصايا" يقدم أدوات للفهم للشخص الذي لديه تساؤلات، ويؤكد من جديد للمؤمن على الفرق بين أن نضع قواعدنا فيما نمضي في الحياة، وأن نتبع الطريقة المؤكدة التي أعلنها الله لنا.



على مدار ثلاثة وثلاثين عامًا، عمل "ستيوارت بريسكو" مع الشباب والرعاة والمُرسَلين والقادة في أكثر من مئة دولة، وقد استخدم خبرته وفطنته وتعاليمه الكتابية لخدمة قطاع عريض من المواقف والاحتياجات من خلال شرائط الفيديو وشرائط الكاسيت وأكثر من خمسة وعشرين كتابًا بما فيها كتاب:
"The Fruit Of The Spirit: Cultivating Christian Character" وهو
راعي كنيسة "إلم بروك" في "بروكفيلد، ويسكونسين



Prepare the way
www.ptwegypt.com